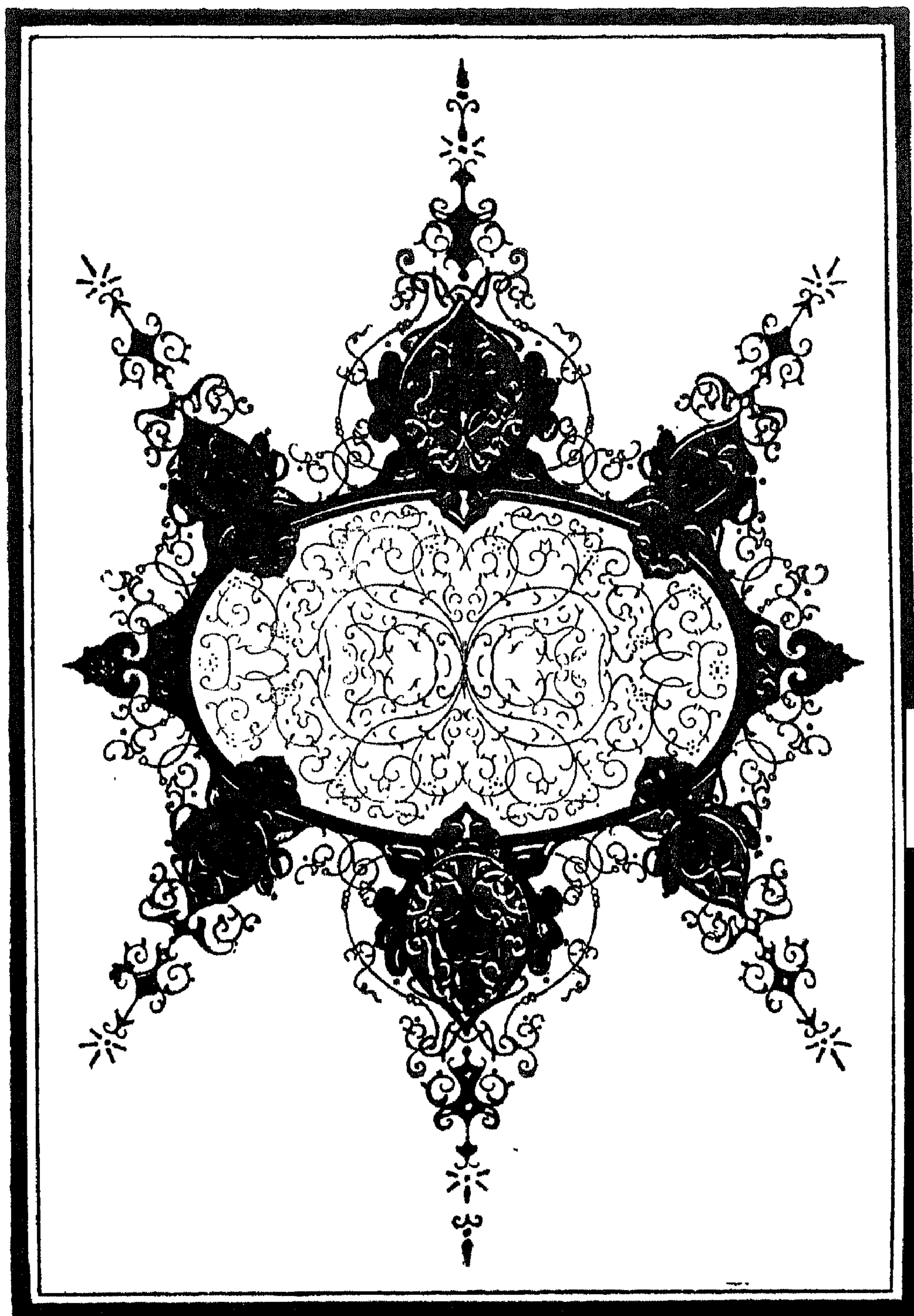
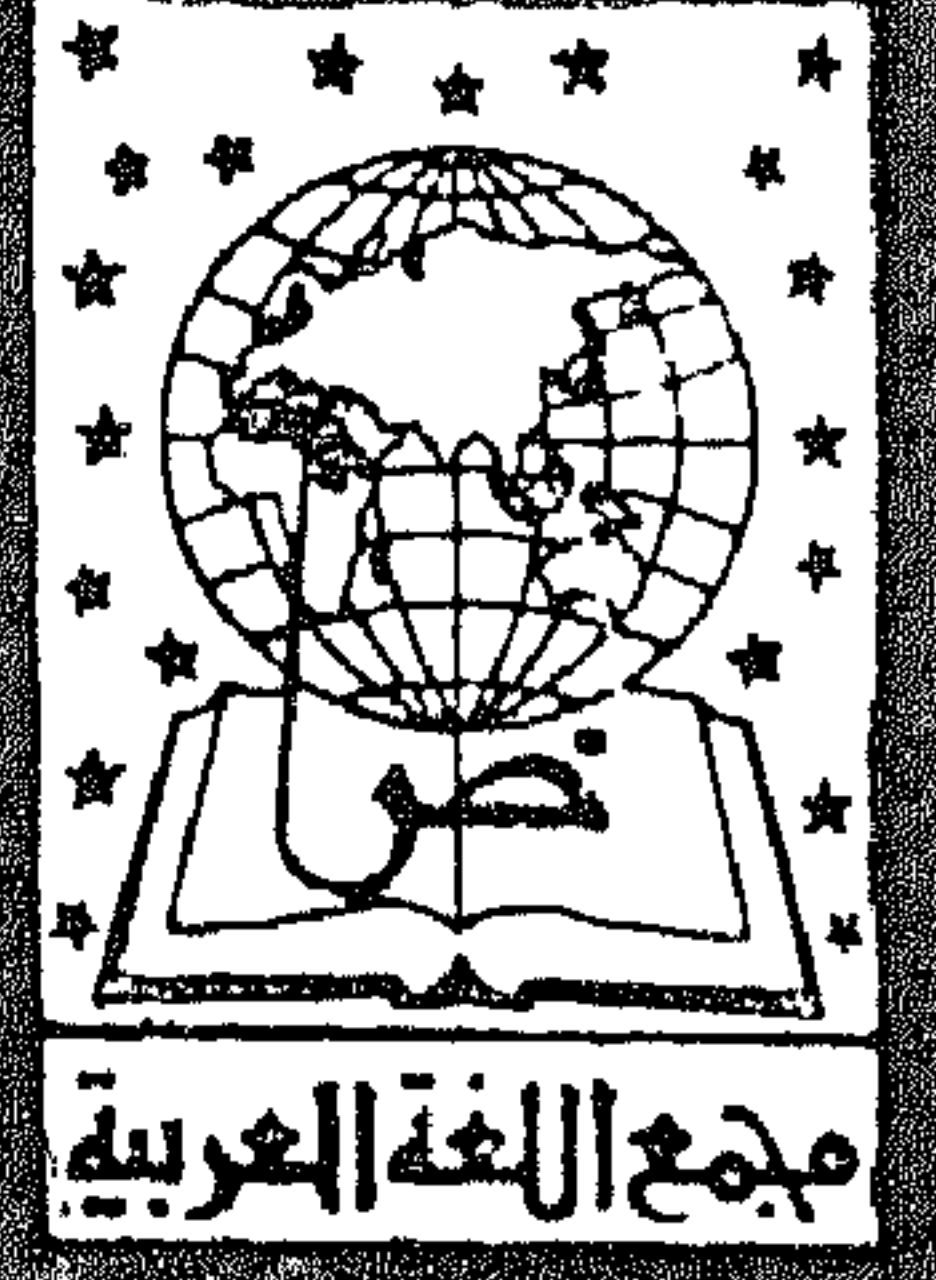


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الثاني والثلاثون

شوال ١٣٩٣ هـ
نوفمبر ١٩٧٣ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع مراد - الجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الثاني والثلاثون

شوال ١٣٩٣ هـ

نوفمبر ١٩٧٣ م

المشرف على المجلة:

د. إبراهيم أنيس

رئيس التحرير:

إبراهيم التريزى

الفهرس

تصدير:

- الكنى اليها بالسلام
والكنى اليها السلام
للدكتور ابراهيم انيس

ص ٧

بحوث ومقالات:

- المصطلح النحوى
للدكتور ابراهيم مذكور

ص ١٤

- الشيخ خالد الازهرى
للدكتور الشيخ محمد الفحام

ص ١٨

- الحركة العلمية في عصر المامون
للدكتور عبد الحليم منتصر

ص ٢٥

- ما معنى يوم التغابن ؟
للدكتور احمد الحوفى

ص ٢٠

- ابو عمرو الشيبانى
للدكتور مراد كامل

ص ٢٥

- تحقيق لسان العرب
للأستاذ عبد السلام هارون

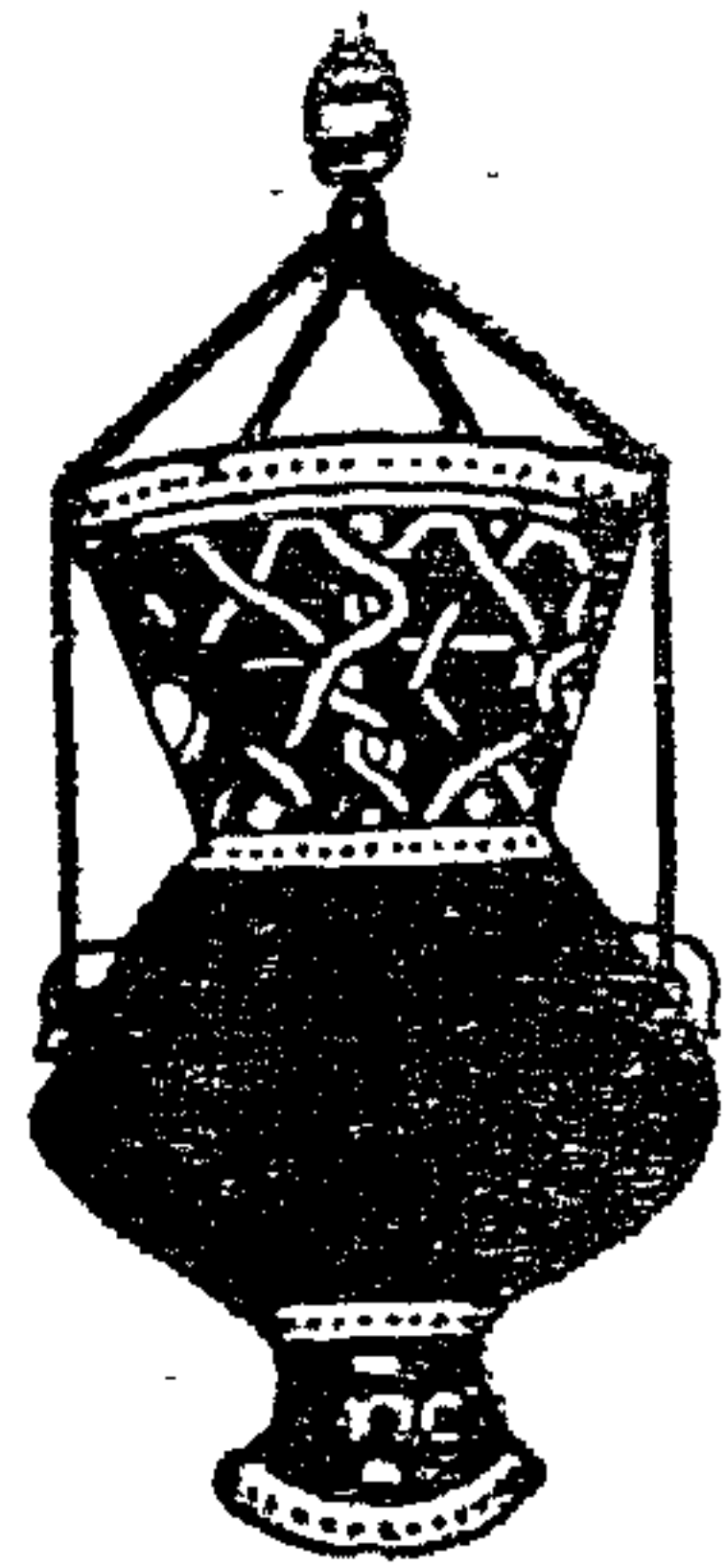
ص ٤٠

- تجارب أدبية صامتة
للأستاذ ابراهيم اللبان

ص ٥٥

- (٢) تخريج نصوص أرسططالبة
من كتاب الحيوان للجاحظ
للدكتور طه الحاجرى

ص ٦٢



- الطريقة التكاملية لتعليم اللغة العربية
للدكتور فؤاد البهى السيد
- الأحجية في الشعر العربي
للأستاذ محمد قنديل البقلى

ص ٨١

ص ١١٤

تعريف ونقد :

- رأى جديد من قديم :
المؤنث كالمذكر
في القاب المناصب والأعمال
للأستاذ محمد شوقي أمين
- مصادر الدراسة الأدبية
« الفكر العربى الحديث فى سير اعلامه »
تأليف : الأستاذ يوسف أسعد داغر

ص ٩٦

تعريف ونقد :

الأستاذ محمد عبد الفنى حسن

ص ١٢٦

- المصطلح الجيولوجى
للدكتور محمد يوسف حسن

ص ١٠٠

شخصيات مجتمعية :

- فى القرآن والعربية :
دراسة فى صيغتي « فعل وافعل »
للدكتور أحمد علم الدين الجندى
- كلمة الدكتور عبد الرزاق محيى الدين
فى استقبال الدكتور ناصر الدين الأسد

ص ١٠٥

ص ١٢٨



- كلمة الدكتور محمد مهدي علام ص ١٣٨
- كلمة الدكتور ناصر الدين الأسد ص ١٤٣
- كلمة الأستاذ زكي المهندس في استقبال : الدكتور أحمد الحوفي والدكتور حامد جوهر والدكتور ابراهيم الدمرداش ص ١٥٣
- كلمة الدكتور ابراهيم انيس في استقبال الدكتور أحمد الحوفي ص ١٥٤
- كلمة الدكتور أحمد الحوفي ص ١٥٩
- كلمة الدكتور عبد الحلیم منتصر في استقبال الدكتور حامد جوهر ص ١٦٤
- كلمة الدكتور حامد جوهر ١٦٩
- كلمة الأستاذ ابراهيم اللبان في استقبال الدكتور ابراهيم الدمرداش ص ١٧٣
- كلمة الدكتور ابراهيم الدمرداش ص ١٧٩
- عضو راحل :
- كلمة الأستاذ عبد السلام هارون في تأبين المففور له الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ص ١٨٣
- كلمة الدكتور ابراهيم محمد نجا ص ١٨٩
- كلمة الأسرة ص ١٩٣

أَلِكْنِي إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ وَأَلِكْنِي إِلَيْهَا السَّلَامِ

للدكتور إبراهيم أنيس

تعبير قديم ورد في شواهد شعرية لاتقبل الشك ، وتوقف القدماء من اللغويين إزاءه طويلاً يحاولون تأصيله وتفسير معناه . فنراهم من حيث تأصيل المادة اللغوية فريقين ، منهم من يذهب إلى أن التعبير « أَلِكْنِي » مستمد من الجذر « أَلِك » ، وآخرون يؤولون أنه من « لَأَك » ، وكلا الفعلين الثلاثيين بمعنى أرسل رسالة أو تحمل رسالة .



ويبدو أن ابن بَرِّي كان يرى أن التعبير « أَلِكْنِي » من المادة « أَلِك » ، إذ ينسب إليه صاحب اللسان هذا النص :

« ويقال أَلِك بين القوم إذا ترسل أَلِكاً وألوكاً ، والاسم منه الأَلوك وهي الرسالة ، وكذلك الأَلوكة والمألُكة ، والمألُك ، فإن نقلته بالهمزة قلت : أَلِكْتُهُ إليه رسالة والأصل أَلِكْتُهُ ، فأخرت الهمزة بعد اللام ، وخففت بنقل حركتها على ما قبلها وحذفها ، فإن أمرت من هذا الفعل المنقول بالهمزة قلت : أَلِكْنِي » .

هو إذن يذهب إلى أن الثلاثي « أَلِك » دخلت عليه الهمزة فأصبح « أَلِك » وأن فعل الأمر من هذا الأخير جاء في الشواهد المروية على صورة أَلِكْنِي ، دون أن يبين لنا بوضوح كيف اصرار إلى ذلك .

أما ما ينسبه صاحب اللسان إلى ابن الأنباري فأوضح وأدق في بيان مذهب الفريقين من العلماء ، قال :

« والأصل في أَلْكَنى أَلْكَنى فحولت كسرة الهمزة إلى اللام وأسقطت الهمزة
قال : ومن بنى على الألوك قال : أصل أَلْكَنى أَلْكَنى ، فحذفت الهمزة الثانية تخفيفاً ! !

ويبدو أن الفيروزآبادي كان ينتصر للرأي القائل : إن أَلْكَنى أصلها أَلْكَنى ، إذ لا يشير إلى التعبير « أَلْكَنى » إلا في مادة لَأْكَ فيقول :

« وأَلْكَنى إلى فلان أبلغه عنى ، أصله أَلْكَنى حذفت الهمزة وألقت حركتها على ما قبلها .
وقد تبين لنا في بحث سابق^(١) بما لا يدع مجالاً للشك أن المادة الأصلية للدلالة تحمل الرسائل أو إرسالها هي « لَأْكَ » ، وأن « أَلْكَ » فرع لها مقلوب .

ولانتصور من أجل ذلك أن تعبيراً قديماً مثل « أَلْكَنى » - يكون مشتقاً إلا من الأصل الأصيل « لَأْكَ » ، ونؤثر أن تكون أَلْكَنى أصلها « أَلْكَنى » لا غير .

بقي أن ننظر في تفسيرهم لمعنى هذا التعبير ، فنرى أنهم اتجهوا في ذلك إلى رأي عجيب ، وحاولوا جاهدين - ومع قدر غير قليل من التكلف والتعسف - تطبيقه على الشواهد الشعرية التي ورد فيها هذا التعبير ، ثم خرجوا لنا بتفسير يقولون فيه مرة إن المعنى معكوس ، فقد كان مقتضى التعبير أن يكون معناه أرسلنى إليها برسالة ، ولكن معناه الحقيقي هو : « كن رسولى إليها بهذه الرسالة » ، أى أن المخاطب مُرْسَل والمتكلم مُرْسِل ! ! ولما اصطدموا بالشاهد :

أَلْكَنى يا عتيق إليك قولاً ستهديه الرواة إليك عنى

قالوا : وقد يكون المُرْسَل هو المُرْسَل إليه ! !

فينسب صاحب اللسان إلى ابن بَرِّى مانصه :

(١) انظر في الجزء الثلاثين من المجلة بحثاً تحت عنوان (ملك ، ملاك ، ملائك ، ملائكة) .

« الكنى إليها برسالة ، وكان مقتضى هذا اللفظ أن يكون معناه أرسلنى إليها برسالة إلا أنه جاء على القلب ، إذ المعنى : كن رسولى إليها بهذه الرسالة ، فهذا على حد قولهم : « ولا تهبىنى الموماة أركبها » أى ولا أتهيبها ، وكذلك الكنى لفظه يقضى بأن المخاطب مرسل والمتكلم مرسل ، وهو فى المعنى بعكس ذلك ، وهو أن المخاطب مرسل والمتكلم مرسل . »
ثم يقول بعد ذلك :

« وقد يكون المرسل هو المرسل إليه ، وذلك كقولك : الكنى إليك السلام ، أى :
كن رسولى إلى نفسك بالسلام !! »

وجاء فى اللسان أيضاً :

« وقال ابن الأنبارى : الكنى إليه ، أى كن رسولى إليه ، وقال أبو عبيد فى قوله :
« الكنى ياعيينُ إليك عنى » أى أبلغ عنى الرسالة إليك !! »

وفى رأى بعد الذى تقدم أن الأمر أهون من أن نتصور فيه عكس المعنى ، أو أن نتصور بايزعمونه من أن المخاطب فى الظاهر مرسل والمتكلم مرسل ، وفى الباطن على العكس ؛ وأهون كذلك من أن نتصور فيه أن المرسل قد يكون المرسل إليه ، كما يقول هؤلاء العلماء !!

والتأصيل الواضح الذى ينطبق على كل الشواهد المروية ، دون تعسف أن يقال إن الثلاثى « لأك » ومعناه أرسل قد زيدت عليه الهمزة فأصبح « الأأك » بمعنى جعله يرسل . وذلك مثل الثلاثى « دخل » حين تلحقه الهمزة فيصبح : « أدخل » ، لا يتصور سوى أن يقال فى : « أدخله الدار » ، جعله يدخل الدار ، ويكون الأمر منه « أدخلنى الدار » أى اجعلنى أدخل الدار . وعليه فالثلاثى « لأك » بمعنى أرسل حين يصبح « الأأك » يكون معناه ؛ جعله يرسل .

ولم ينحدر إلينا من استعمالات هذا الفعل المزيد بالهمزة سوى فعل الأمر فى التعبير . « الكنى » ، فلم يرد له فى الشواهد المروية ماض ولا مضارع . وتؤكد لنا هذه الظاهرة أن

التعبير قديم متوغل في القدم . فلم يبق من آثاره إلا الأمر في صورة الكنى التي يكون معناها اجعلنى أرسل .

ولانشك إذن في أن الكنى أصلها « أَلِكْنِي » ، فلما نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، وقلبت الهمزة إلى حرف مدّ مناسب لحركة ما قبلها ، كان مقتضى ذلك أن يصبح أَلِيكْنِي ، فحذفت ياء المدّ ، ولم يكن من الممكن بقاؤها لأن الحرف الذي بعدها ساكن ، ومن ثمّ صار « أَلِكْنِي » وهو التعبير المروى .

والفعل أَلِكْنِي قد يتعدى بنفسه أى اجعلنى أرسل إليها السلام ، وقد يتعدى بالباء على أساس تضمنه معنى « بعث » أى اجعلنى أبعث إليها بالسلام . ولاغرابة لذلك أن يرد التعبير « أَلِكْنِي » في شواهد مرة أَلِكْنِي إليها السلام ، وأخرى أَلِكْنِي إليها بالسلام .

والمخاطب في التعبير « أَلِكْنِي » ، في معظم الشواهد ، غير محدد ، هو كل من يتصور أن يخاطب في مثل هذه الأحوال ، فالخطاب لمجهول لنا ، قد يكون قرين الشاعر أو شيطانه . ولاشك أن قولنا : « اجعلنى أرسل » يساوى تمام المساواة « دعنى أرسل » . ولاضير إذن أن نوثر في شرح الشواهد المروية استعمال « دعنى أرسل » لتوضيح معنى « أَلِكْنِي » ، فنجد أن المعنى واضح كل الوضوح ، ولايتطلب في أى منها بشيئا من التكلف أو التعسف . فابن أبى ربيعة حين يقول :

أَلِكْنِي إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ يَنْكُرُ إِلَيَّ بِهَا وَيَشْهَرُ

هو على طريقة شعراء العرب في خطابهم من نجهل ، يريد أن يقول : دعنى أبعث إليها بالسلام وإنى قانع بذلك لأن اتصالى بها فوق هذا قد يفسّر بأمر منكر وقد يشهر به بين العرب .

وكذلك قول الشاعر :

أَلِكْنِي إِلَيْهَا بِخَيْرِ الرُّسُولِ لِأَعْلَمَهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبِيرِ

معناه دعنى أبعث إليها بخير رسول لأعلم القوم بحقيقة الأمر .

وعمر بن شاس حين يقول :

أَلِكْنِي إِلَى قَوْمِ السَّلَامِ رِسَالَةً بَأْيَةِ مَا كَانُوا ضِعَافًا وَإِلَى عَزَلَاةٍ

يريد أن يقول : دعني أرسل إلى قومي السلام في شكل رسالة : إذ لم يكونوا ضعافاً ولا عزلاً .

ويروى بيت عمرو بن شأس برواية أخرى :

أَلْكِنِي إِلَى قَوْمِي السَّلَامِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ إِلَهُهُ فَمَا كَانُوا ضِعَافًا وَلَا عَزْلًا
أَي دَعْنِي أَرْسَلْ إِلَى قَوْمِي السَّلَامِ وَرَحْمَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . فَهَمَّ شَجْعَانٌ وَفَرَسَانٌ .
وقد يكون المخاطب محددًا ، نُصِّصَ عَلَيْهِ فِي صَلْبِ الشَّاهِدِ . كَمَا فِي الشُّوَاهِدِ الْآتِيَةِ .
فليس يتطلب تفسيرنا لقول الشاعر :

أَلْكِنِي يَا عَتِيقُ إِلَيْكَ قَوْلًا سَتَهْدِيهِ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي

شيئاً من اللف والدوران ، فالعنى واضح ككل الوضوح . فيقول الشاعر : دعني ياعتيقُ أرسل إليك قولاً كريماً سيصبح أنفس هدية تصلك من قبلي . أو تروى لك عنى . وكذلك الشأن مع ما يذكره صاحب اللسان (أَلْكِنِي يَا عَتِيقُ إِلَيْكَ قَوْلًا) .
ولكثرة وُرُودِ هذا التعبير مصحوباً بالمعمول في صورة السلام أو سلاماً أو قولاً ونحو ذلك ، أصبح من الممكن أن يجيء وحده . وأن يكون المعمول حينئذ مفهوماً ضمناً مثل قول النابغة :

أَقُولُ وَإِنْ شَطَطَ بِي الدَّارُ عَنْكُمْ إِذَا مَا لَقِينَا مِنْ مَعَكَ مُسَافِرًا

أَلْكِنِي إِلَى النِّعْمَانِ حَيْثُ لَقِيْتَهُ فَأَهْدِي لَهُ اللَّهُ الْغَيْوْثَ الْبَوَاكِرَا

ومعناه : أقول وأنا بعيد عن الديار لكل مسافر من قبيلة معدّ : دعني أرسل معك تحية إلى النعمان ، متعه الله بالخير العقيم .
والمخاطب في الشاهدين معروف غير مجهول ، هو في الشاهد الأول « عتيق » .
وفي الشاهد الثاني كل مسافر يلقاه من معدّ .

لم يبق بعد كل ماتقدم إلا ما ينسبه صاحب اللسان إلى زيد بن حارثة . من أنه قال :

أَلْكِنِي إِلَى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِيًا فَيَأْتِي قَطِينُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ

وللببيت رواية أخرى هي : أَحْنُ إِلَى قَوْمِي

وقصة زيد بن حارثة كما جاءت فيما روى عن الصحابة^(١) تتلخص في أنه كان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهر مواليه ، اختطف في الجاهلية صغيراً ، وأتى به إلى سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، ووهبته خديجة وهو في الثامنة من عمره للنبي صلى الله عليه وسلم حين تزوجها ، فأعتقه ، وتبناه ، وزوجه بنت عمته ، واستمر الناس يسمونه زيد بن محمد ، حتى نزلت آية « ادعوهم لأبائهم » وهو من أقدم الصحابة إسلاماً ، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة .

أما المناسبة التي قال فيها هذا الشعر فهي أن ناساً من كلب كانوا يحجون فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال لهم : أبلغوا عنى أهلى هذه الأبيات فيانى أعلم أنهم جزعوا على ، قال :
أحنّ إلى قومي وإن كنت نائياً فيانى قعيد البيت عند المشاعر
فكفّوا عن الوجد الذى قد شجاكم ولا تعملوا فى الأرض نصن الأباغر
فيانى بحمد رب الله فى خير معشر كرام معدّ كائراً بعد كائبر
فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه . وبعاء أبوه وعمه ، واستدلا على موضعه ، وكان بينهما وبين النبي الكريم حوار ممتع انتهى بأن اختار زيد البقاء فى صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانصرف أبوه وعمه وقد طابت نفوسهما ، واطمأننا عليه .

وعلى فرض صحة رواية اللسان (ألكنى إلى قومي) يكون المعنى دعنى أرسل إلى قومي سلامى وشوقى ، فيانى وإن شطمى فى المزار ، وبعدت عن الديار ، فقد أصبحت فى حمى البيت الحرام ، وفى كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله الكرام ، فكفّوا عن الوجد والشجو من أجلى ، فيانى فى أسعد حال .

نخلص مما تقدم إلى أن التعبير : « ألكنى إليها بالسلام ، وألكنى إليها السلام » لا يَحتمل إلا معنى واحداً واضحاً كل الوضوح هو :
دعنى أبعث إليها بالسلام ، ودعنى أرسل إليها السلام .

المشرف على المجلة
ابراهيم انيس

وبالله التوفيق .
نوفمبر ١٩٧٣

(١) أسد الغابة ج ٢ ص ٢٢٤ ، الأعلام ج ٣ ص ٩٦ ، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٤٢ .



المصطلح النحوي

للدكتور إبراهيم مدكور



بين علوم اللغة من أولها
ظهورا ، وحديث أبي
الأسود الدؤلي (٥٦٧)

خير شاهد على ذلك ، وإن كنا لانسلّم بأنه
وضع شيئا في علم النحو . وكل ما حدث أنه
شعر بالاحسن في قراءة القرآن ، فاقترح أسوبا
لشكله ، والاحسن مدعاة للبحث عن قواعد
الإعراب . ولا غرابة في أن تكون البصرة
أول مدينة إسلامية قامت فيها مدرسة نحوية ،
فقد اختلطت فيها الأجناس والثقافات ،
وفشا اللحن . وحاول اللغويون أن يجدوا
سبيلا لهدرته أو تخفيفه ، وكانت إلى جانبهم
نماذج من أجروميات أخرى بين سريانية
ويونانية : ومن الثابت أن النحو السرياني ،
وهو متأثر بالنحو اليوناني ، قد وضع
بنصيين ، وهي على اتصال بالبصرة ،
في القرن السادس الميلادي قبل الإسلام
بقليل وكان من بين المشتغلين به يعقوب
الرهاوي (٥٦٨) الذي عرفه العالم العربي

وفي البصرة قام الرعيل الأول من النحاة ،
وكانوا لغويين وأدباء قبل أن يكونوا نحاة ،
وعلى رأسهم ابن أبي اسحق الحضرمي (٥١٧)
الذي وضع كتابا في «الهمز» ، وكان قياسا

يحاول أن يجمع الأشباه والنظائر في ضوابط
محددة . وتلميذ له عيسى بن عمر الثقفي (٥٤٩)
الذي ألف كتابي «الجامع» و«الإكمال» ،
وتوسع في القياس كما صنع أستاذه . ثم
جاء الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) شيخ البصريين
وواضع أول معجم لغوي كبير في العربية ،
ومؤسس علم العروض . وقد أحل الشكل
بالحركات محل الشكل بالنقط ، وضيق دائرة
القياس على عكس ما صنع عيسى بن عمر ،
ولم يقس إلا على الأشيع والأعم . وليس ببعيد أن
يكون قد وقع بصره على شيء من قواعد
الأجرومية في اللغة السنسكريتية ،
ولم تعرف له كتب نحوية ، ويظهر أنه
استودع سره في هذا لدى تلميذه سيويوه
(٥١٨٠ هـ) أكبر نحاة البصرة . وقد خلف
لنا التلميذ الذائع الصيت «الكتاب» ، وهو
أكبر أثر باق من نحو البصريين الأولين
وعليه اعتمد أنصاره فيما بعد ، فسطوا فيه
ما بسطوا ، وشرحوا ما شرحوا ، ونقدوا ،
واستدركوا . وهو مؤلف جامع ، يمزج
بين النحو واللغة والأدب ، ويشتمل على
العناصر الأساسية لعلم النحو العربي . أخذ فيه
سيويوه عن الخليل خاصة ، وعن بعض

اللغويين والنخاعة السابقين كأبي عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) ويونس بن حبيب (١٨٢ هـ) ولكن نخطئ إن زعمنا أنه قاعد قواعد النحو على الصورة التي ظهرت بها فيما بعد . وقد قام على أمرها شيوخ البصريين كالمبرد في القرن الثالث ، وأبي علي الفارسي وابن جنى في القرن الرابع ، ولهما في القياس باع طويل ، والزنجشري في القرن السادس ، وابن يعيش في القرن السابع .

وقد أخذ الكوفيون عن البصريين ، ومدرستهم متأخرة عنهم بنحو مائة سنة ، وهي إلى السماع أميل ، وهذه هي النقطة الجوهرية التي تفصل بين المدرستين . ولمدرسة الكوفة أعلام لا يقلون شأننا عن أعلام البصرة ، وعلى رأسهم الكسائي (١٨٩ هـ) مؤسس المدرسة ، ومنافس سيبويه ، وتلميذه الفراء (٢٠٧ هـ) الذي توسع في التفريعات ، والحزئيات . وتلاه ثعلب (٢٩١ هـ) ، وهو من أنجب تلاميذ المدرسة الكوفية . ويظهر أن السياسة عززت جانب الكوفيين بعض الشيء ، لأنه كان من كبارهم مربو الخلفاء والأمراء ، فكان الكسائي معلم الأمين والمأمون ، والفراء معلم أولاد المأمون ، وابن السكيت (٢٤٥ هـ) معلم أولاد المتوكل . ومع هذا لم يمتد نشاطهم في المشرق أكثر من قرنين ، وقد رُفد للمذهب البصري الغلبة عليهم : وأدى التقاء البصريين مع الكوفيين في بغداد وحوارهم معهم إلى قيام مدرسة

نحوية ثالثة هي مدرسة البغداديين ، ومن أشهر رجالها ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، وأبو حنيفة الدينوري (٢٩٢ هـ) . وقد أخذوا بطرف من المذهب البصري وآخر من المذهب الكوفي ، ولكنهم لم يتركوا نظرية واضحة المعالم ؛ وما وصلنا عنهم قليل ، وينصب على مسائل فرعية ، ومدرستهم دون نزاع أقل شأنًا من المدرستين السابقتين .

والأندلس وبلاد المغرب يد في تاريخ الدراسات النحوية ، قامت فيها مدرسة رابعة على رأسها ابن مضاء القرطبي (٥٩٠ هـ) الذي حمل على نظرية العامل البصرية حملة عنيفة ، وأثر السماع على القياس في اللغة ، وأهل شمال أفريقيا والأندلس أميل إلى الأثر والسماع في الفقه والنحو على السواء . ومن رجال هذه المدرسة ابن معطي (٥٦٣ هـ) الذي أسس سنة كتابة النحو شعراً في قصيد طويل . وجاراه ابن مالك (٦٧١ هـ) في صنيعة وبزّه فيه . والمدرسة الأندلسية مدرسة موفقة كمدرسة بغداد ، وإن تكن أعمق بحثاً ، وأميل إلى المذهب الكوفي الذي وجد طريقه إلى الأندلس قبل المذهب البصري فعززته وردت إليه ما فقدته في الشرق . واستطاع ابن مالك أن يكون نحواً يلازم بين الطرفين ، ويأخذ في الاعتبار بعض الآراء الكوفية ، وإن اعتمد أساساً على المذهب البصري ، وهذا النحو هو الذي قدر له أن يسود في القرون الأخيرة . وعرف ابن هشام المصري (٧٦٠ هـ) كيف

يعرضه عرضاً دقيقاً منسقا في كتبه المختلفة وخاصة في كتابه « مغنى اللبيب » .

تلك هي المدارس التي عنيت بعلم النحو ، وصاحبته في نشأته ونموه . وقد اصطاحت على لغة موحدة تداولتها فيما بينها ، استمدت مصطلحاتها من علوم سابقة ، أو أنشأتها لإنشاء . ومن أمثلة هذه المصطلحات الحرف والحركة ، الاسم والفعل والجملة ، المقصور والممدود ، المنصرف وغير المنصرف ، الإعراب والبناء . ولم تتكوّن هذه المصطلحات لأول وهله ، بل عدّلت وهدّبت ، نمت وتطورت . ثم استقرت منذ القرن الثالث للهجرة ، وأصبحت مألوفة للنحاة على اختلافهم ، ولا يزال درس النحو يعتمد عليها إلى اليوم . واستوعبت الدراسات النحوية معظم نشاط المثقفين في القرون الستة الأخيرة . وكثيرا ما يلاقي شبابنا اليوم عنقا في تعلمها والوقوف على تفاصيلها ، وقد دُعِيَ إلى تيسير النحو على الناشئين منذ أواخريات القرن الماضي ، ولا تزال هذه الدعوة قائمة . وخطونا فيها خطوات لا بأس بها . وجددير بنا أن نتابعها أسوة بنحو الإنجليزية بين اللغات الحية :

ولا شك في أن النحو العربي في مادته ومصطلحه ثروة طائلة قد يقوى عليها الباحثون والمتخصصون ، ولكنها دون نزاع عبء ثقيل على جماهير الناشئين . ولذلك دُعِيَ إلى تيسير تعليمه منذ أواخريات

القرن الماضي ، ونظما في سبيل ذلك خطوات بعض المشتغلين به والقائمين على تعليمه ، ويكفي أن نشير من بينهم إلى حفي ناصفت صاحب « قواعد اللغة العربية » ، وهو أول كتاب معاصر قصد به تيسير هذه القواعد وعرضها في صورة مركزة مختصرة . وسار على نهجه على الجارم في « النحو الواضح » ، الذي عوّل فيه كثيراً على المثال والعبارة لاستخلاص القاعدة . وفي أول العقد الرابع من هذا القرن اضطلع الدكتور بهي الدين بركات بأعباء وزارة المعارف ، ولمس خطر هذه المشكلة في بلد ينادى بنشر الفصحى وتعميم التعليم ، وقصد إلى مواجهتها ، وكون لذلك لجنة من رجال اللغة العربية في الوزارة وكبار أساتذة كلية الآداب بالجامعة . وانتهت هذه اللجنة إلى مشروع مكتمل عرض على مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٥ ، وقد درسه طويلا ، ثم انتهى إلى إقراره بتعديل يسير ، وطالب خاصة بأن توضع على أساسه كتب نحوية جديدة ، ولم ير بأساً من أن يتولى وضعها ، وإلا فإنه يطلب أن يراجعها قبل نشرها ، وقبل وضعها في أيدي التلاميذ .

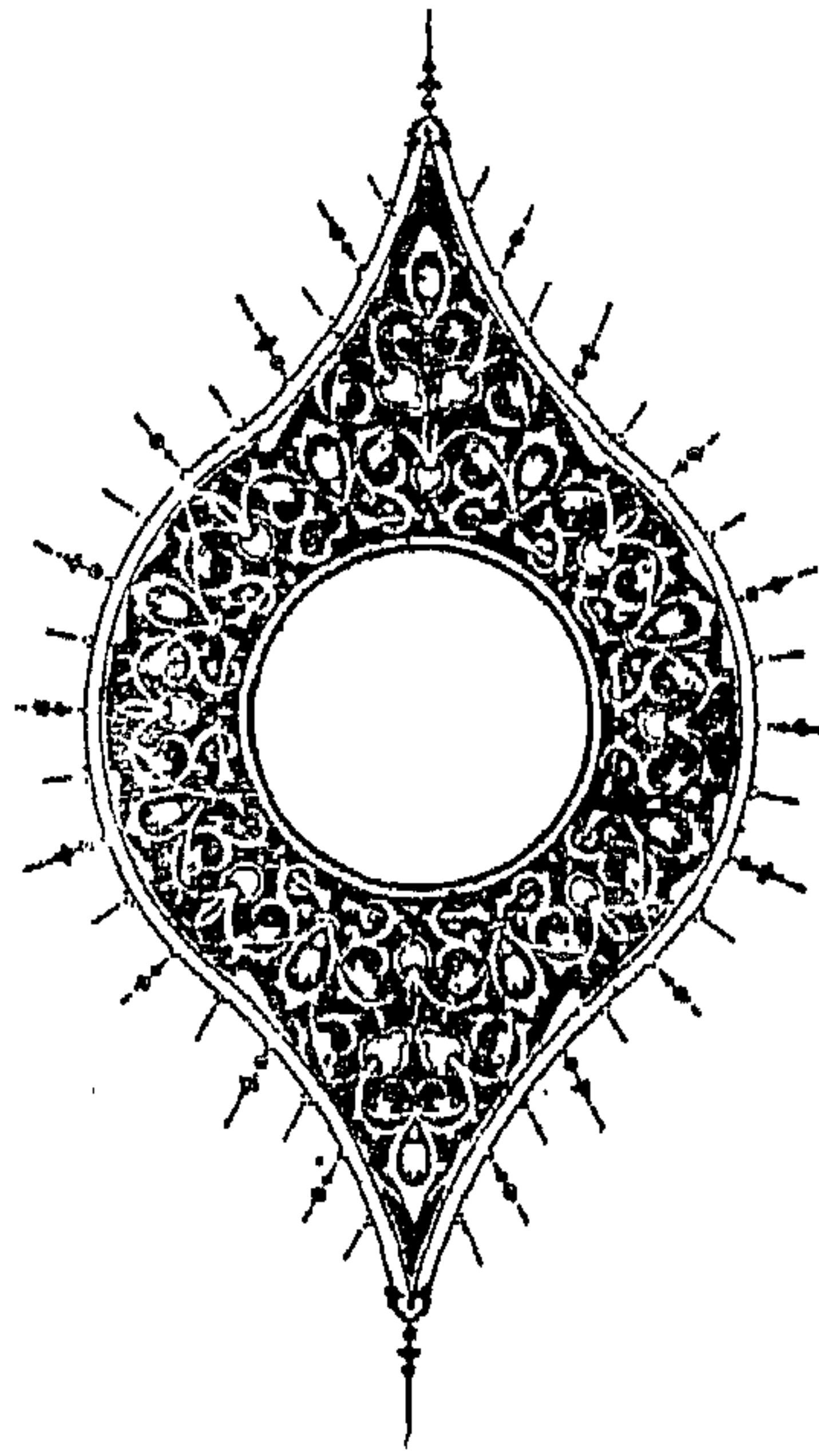
وأريد في عام ١٩٦١ تنفيذ هذا المشروع فوضعت فيه على عجل كتب مدرسية لأعلم للمجمع بها ، ولم يلبث التنفيذ أن توقف لشكوى بعض المدرسين في الغالب ، وبخاصة مدرسو اللغة العربية في سوريا ،

وهيأ حاولت الوزارة تدارك الأمر دون
جلوى . ولاتزال المشكلة قائمة ، وزاد
أبنائنا من العربية قليل ، وإقبالهم عليها
ضعيف : وما أجددنا أن نواجه هذا
الموقف مواجهة صادقة ، أسوة بما اتبع في
تعليم الأخرومية في بعض اللغات الحية ،
وبخاصة الإنجليزية ولا يشك أحد أن المقصود

هو تعلم اللغة ذاتها ، وسبيل ذلك القراءة
السليمة السهلة الملائمة ، والمتدرجة مع أعمار
التلاميذ ، أما الإعراب والقاعدة فلا ياجأ
إليها عادة إلا عند الغموض وتعذر الفهم .

ابراهيم مدكور

الأمين العام للمجمع



الشيخ خالد الأزهرى

للدكتور الشيخ محمد الفحام

٨٣٨ - ٥٩٠٥ / ١٤٢٤ - ٢٠١٤٩٩

اسمه ونخلدت ذكره . ومع هذا لم يأخذ
واحد منهم لقب « الأزهرى » ولا لقب
« الشيخ » .

ولقد بحثت عن المراجع التي يظن
وجوده بها وحديثها عنه فعثرت على اثني عشر
مرجعا منها وكلها مطبوعة . وهى :

١- الأعلام للزركلى - الجزء الثانى
بالصحيفة ٣٣٨ .

٢- الخطط التوفيقية - لعلى باشا مبارك
الجزء العاشر بالصحيفة ٥٣ .

٣- الضوء اللامع ، فى أعيان القرن التاسع
للسخاوى ، الجزء الثالث بالصحيفتين
١٧١ ، ١٧٢ .

٤- الكواكب السائرة ، بأعيان المائة
العاشرة - لنجم الدين الغزى . الجزء الأول
بالصحيفة ١٨٨ .

٥- إيضاح المكنون ، للبغدادى ، الجزء
الأول بالصحيفتين ١١٨ - ٢٩٣ وبالجزء
الثانى بالصحيفتين ٢٢٩ ، ٥٤٣ .

للبحث عن تاريخ هذا



العالم الجليل والمؤلف

العظيم ما عرفته فى مؤلفاته من الدقة
والسهولة . وما لاحظته من لزوم لقب
« الشيخ » ووصف « الأزهرى » له .

وكم من شيوخ تعلموا فى الأزهر ودرسوا
فيه وتركوا آثارا قيمة من التأليف النافعة
الباقية بقاء الدهر ولم تلزمهم هذه النسبة
« الأزهرى » بل يكثروا ذكرهم على اللسان
وفى الكتب المؤلفة من غير أن يتصدرهم
لقب « الشيخ »

وها نحن أولاء نذكر كثيرا منهم
بأسمائهم المجردة فنقول : ابن هشام وجلال
الدين السيوطى وجلال الدين المحلى والجوجرى
والدمنهورى والسخاوى والجبرتى والمقرزى
وابن عقيل والأشمونى والشمنى والدمامينى
وغيرهم .

وكلهم تغذى بلبان الأزهر وتربى تحت
سقفه وأسهم فى نشر علومه وترك آثارا أحييت

ليوسف إيليان سر كيس - الجزء الأول
بالصحيفتين ٨١١ ، ٨١٢ .
وقد أفدت من مطالعة هذه المراجع كلها
المعلومات الآتية : -

الشيخ خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن
محمد بن أحمد الجرجي (الجرجوي، الجرجاوي)
الأزهري الشافعي النحوي الوقاد - وكنيته -
ككل من سمى خالدا - أبو الوليد - أمالقبه
فزين الدين . وانفرد الميرزا محمد باقر
الموسوي الخوانساري الأصبهاني في كتابه -
روضات الجنات - يذكر لقبه : « أبي
الفضل » بدلا من « أبي الوليد » . وذكر
أن « الأزهري » منسوب إلى الإمام أبي
منصور الأزهري اللغوي المشهور صاحب
كتاب التهذيب .

ومن هذا نعلم أنه ليس منسوبا إلى
الأزهر كما اشتهر عند الناس والله أعلم .
ويظهر أن لقب الأزهري كان مشهورا
في عصر الشيخ خالد ، عرف به كثير من
العلماء ، فقد ورد على لسان الشيخ خالد عند
بدئه شرح الأجرومية هذه العبارة :
« حماني عليه الشيخ عباس الأزهري »
وذكر عند شرحه على الجزرية أنه تلقاها
عن شيخه « عبد الدائم الأزهري » .

٦- بدائع الزهور في وقائع الدهور .
لابن إياس ، الجزء الثاني بالصحيفتين
٣٦١ ، ٣٦٢ .

٧- دائرة المعارف الإسلامية « الطبعة
الفرنسية » مقالة بقلم « بروكلمان »
بعنوان « الأزهري » الجزء الأول صحيفة
٥٥٠ والجزء الثاني بالصحيفة ٢٧ والجزء
الثاني من الملحق لبروكلمان بالصحيفة ٢٢ .

٨- روضات الجنات ، في أحوال العلماء
والسادات ، للخوانساري ، الطبعة
الثانية بمدينة « طهران » بالصحيفة ٢٧٠ .

٩- شذرات الذهب ، في أخبار من
ذهب ، للعماد الحنبلي ، الجزء الثامن
بالصحيفة ٢٦ .

١٠- كشف الظنون ، في أسماء الكتب
والفنون ، لحاجي خليفة بالصحائف ١٢٤ ،
١٥٤ ، ٤٨٣ ، ٩٥٢ ، ١٣٣٢ ، ١٧٩٦ ،
١٧٩٧ ، ١٧٩٨ ، ١٨٠٠ .

١١- معجم المؤلفين - تراجم مصنفين
الكتب العربية لعمر رضا كحالة - الجزء
الرابع بالصحيفة ٩٦ .

١٢- معجم المطبوعات العربية والمعربة ،

أما لقب الوقاد فقد ذكر المؤرخون في بيانه أنه كان يشتغل بإيقاد مصابيح الأزهر وأن فتيلة سقطت منه على كراسة بعض الطلبة فشمته وعيره بالجهل فترك الوقادة وأكب على طلب العلم وبرع فيه ، وخاصة علم العربية . وقد كان اشتغاله بالعلم على كبر . قيل كان عمره ستا وثلاثين سنة . وقد ولد بمدينة جرجا سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة تقريباً . وتحول وهو طفل مع أبويه إلى القاهرة فحفظ القرآن ودرس العمدة ومختصر أبي شجاع ، وعاش بالقاهرة كل حياته وجاء في روضات الجنات عند ترجمة الشيخ خالد هذه العبارة « وكان قد سكن الشام » . ولم نجد لها في غيره .

شيوخه :

قرأ العربية على يعيش المغربي ، نزيل سطح الأزهر وداود المالكي والسنهوري ولازم الأقفرائي في العضد وحاشيته ، والتقى الحصني في المعاني والبيان والمنطق والأصول والصرف . وأخذ قليلاً عن الشمني

وعن العباد والمناوي وقرأ على الجوجري وإبراهيم العجلوني والزين الأبناسي ، وأخذ الفرائض والحساب عن السيد علي تلميذ ابن المجدي واليسير عن الشهاب السجيني والزين المارداني ، وسمع يسيراً عن السنحاوي . وقد شهد له وقرظ بعض كتبه محيي الدين أبو عبد الله الكافيجي المتوفى سنة ٨٧٩ هـ شيخه وشيخ جلال الدين السيوطي . قال السنحاوي : وبرع في العربية وشارك في غيرها وأقرأ الطلبة ولازم تغر بيردي القادري فقرره في المسجد الذي بناه للداودار بخان الخليلي ، وكان ينزل بخانقاه « سعيد السعداء » .

ومن تلاميذه القسطلاني صاحب كتاب « إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري » المتوفى بالقاهرة سنة ٩٢٣ هـ .

مؤلفاته :

أما مؤلفاته فقد عرفت بالسهولة وانتفع بها كثير من الناس ولا تزال قيمتها في الأوساط العلمية وخاصة الأزهرية لما عرف عن مؤلفها من الإخلاص وأكثرها لا يخرج عن دائرة النحو واللغة ومنها واحد في الأصول .

وقد وصل إلى علمنا منها ستة عشر مؤلفاً :

١- المقدمة الأزهرية - وأولها «الكلام في اصطلاح النحويين عبارة عما اشتمل الخ». وقد ظلت مدة طويلة تدرس في الأزهر بعد الأجرومية .

٢- شرح المقدمة الأزهرية . وأوله « الحمد لله على جميع الأحوال » وقد طبع هذا الشرح في بولاق سنة ١٢٥٢ هـ .

وقد ألف الشيخ حسن العطار أحد شيوخ الأزهر السابقين المتوفى بالقاهرة حاشية على هذا الشرح طبعت ببولاق سنة ١٢٨٤ هـ وبالقاهرة ١٣١٧ هـ .

وألف الشيخ محمد مجاهد أبو النجا حاشية أخرى طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٢ هـ. وألف الشيخ أبوبكر الشنواني المتوفى سنة ١٠١٩ هـ حاشية على الشرح المذكور أولها الحمد لله على كل حال .

وألف الشيخ زين الدين منصور سبط الطبلاوى شرحاً للأزهرية ممزوجاً سماه « العقود الجوهريّة في حل ألفاظ الأزهرية » أوله « الحمد لمن جمع الكمال في خلاصة خلقه » فرغ من تأليفه ٩٩٩ هـ .

وألف الشيخ محمد الإمباني أحد شيوخ الأزهر السابقين تقريراً على كل من حاشيتي العطار وأبي النجا - وهو مطبوع عدة طبعات .

٣- إعراب الأجرومية وأوله « الحمد لله على ما أنعم » .

٤- شرح الأجرومية وأوله الحمد لله رافع درجات المنتصبين الخ ثم قال : هذا شرح ينتفع به المبتدى ولا يحتاج إليه المنتهى حملنى عليه الشيخ عباس الأزهرى الخ .

وقد طبع لأول مرة في أمستردام بهولانده سنة ١٧٥٦م ثم طبع في بولاق ١٢٥٩ هـ وألف عليه حاشية محمد مجاهد أبوالنجا طبعت في بولاق ١٢٨٤ هـ وفي تونس سنة ١٢٩٠ هـ ثم طبع في القاهرة ١٣٠٥ هـ ، ١٣٠٦ هـ ، ١٣١٩ هـ ومع هذه الطبعة الأخيرة تقرير للشيخ محمد إمباني أحد شيوخ الأزهر السابقين .

٥- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب - وهو شرح ممزوج لكتاب الإعراب عن

قواعد الإعراب الذي ألفه أبو محمد عبد الله
ابن يوسف الشهير بابن هشام مؤلف كتابي
المغنى والتوضيح والمتوفى بالقاهرة سنة
٥٧٦١ هـ. والمتن معروف باسم « الإعراب
عن قواعد الأعراب » وهو مشتمل على
أربعة أبواب: الأول « الجمل وأحكامها »
الثاني « في الجار والمجرور » الثالث
« في عشرين كلمة » والرابع « في الإشارة
إلى عبارة محررة ». وأول الشرح « الحمد لله
الملمم لحمده » وهو على صغره مفيد ينبغي
لطالب العربية أن يطلع عليه ويدرسه وقد
فرغ من تأليفه سنة ٨٩٨ هـ وقد طبع في
استامبول سنة ١٢٨٥ هـ وفي القاهرة ١٢٩٥ هـ.

وقد سبق الشيخ خالد في شرح هذا
الكتاب شيخه الكافياجي المتوفى ٨٧٩ هـ .
وقد وصف الشيخ جلال الدين السيوطي
تلميذ الكافياجي شرحه هذا بأنه أجل
مؤلفاته وأنفعها .

٦- تمرين الطلاب في صناعة الإعراب
وهو كتاب أعرب فيه ألفية ابن مالك
إعراباً تفصيلياً وأوله « الحمد لله الذي
رفع قدر من أعرب بالشهادتين » وجاء
في آخره أنه فرغ من تأليفه في يوم

الإثنين ٢٧ من شهر رمضان سنة ٨٨٦ هـ .
وقد عرف الشيخ خالد - لتأليفه هذا
الكتاب باسم « المعرب » كما عرف ابن
هشام باسم الموضح لتأليفه كتاب التوضيح
أو أوضح المسالك .

وقد طبع هذا الكتاب بتونس سنة
١٢٩٠ هـ وسنة ١٢٩٢ هـ وطبع ببولاق سنة
١٢٩٤ هـ وفي غيرها ١٢٨٩ هـ و ١٣٠٥ هـ ، ١٣٠٨ هـ
١٣١٠ هـ وطبع كثيراً بعد ذلك .

وقد سبق الشيخ شهاب الدين أحمد
ابن الحسين الرملي الشافعي المتوفى ٨٤٤ هـ
الشيخ خالد الأزهري في تأليف كتاب
أعرب فيه الألفية .

٧- التصريح بمضمون التوضيح - وهو
شرح على أوضح المسالك إلى ألفية ابن
مالك ، وهو المعروف بالتوضيح لابن
هشام الأنصاري . ومن أجل هذا الشرح
عرف الشيخ خالد باسم « المصريح » .

وعلى هذا الشرح حاشية للشيخ يس بن
زين الدين العليمي الحمصي المتوفى سنة ١٠٦١ هـ
وأول الشرح « الحمد لله الملمم لتحميدته »
وقد فرغ من تأليفه يوم عرفة سنة ٨٩٦ هـ
وقد طبع ببولاق سنة ١٢٩٤ هـ وبمطبعة محمد

مصطفى سنة ١٣٠٥ هـ وبالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٦ وله طبعات أخرى متعددة .

٨- « الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الأزهرية » .

والمقدمة الجزرية هي المعروفة باسم المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه .

وهي في علم التجويد ، ألفها الشيخ محمد بن محمد الجزري الشافعي المتوفى سنة ٨٣٣ هـ وأولها :

يقول راجي عفو رب سامع

محمد بن الجزري الشافعي

والشرح ممزوج بالمتن ، وأوله « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب » وذكر فيه أنه تلقاها عن شيخه « عبد الدائم الأزهرى » وأنه أتم تأليفها سنة ٨٦٧ هـ والحواشي الأزهرية مطبوعة على حجر بالقاهرة بمطبعة حسن الطوخي وبالمطبعة الشرفية ١٣٠٤ هـ .

٩- الألفاظ النحوية أو ألفاظ الشيخ خالد . وهو كتاب صغير يشتمل على اثنتين وثلاثين صحيفة من القطع الصغير طبع بمطبعة حجرية بالقاهرة ١٢٨١ هـ .

وقد جاء في الأعلام للزركلي عند ترجمة الشيخ خالد وفي دائرة المعارف الإسلامية

« الطبعة الفرنسية » عند ترجمة « الأزهرى » أن هذا الكتاب مخطوط. فلعلهما لم يطلعا عليه مطبوعاً . فقد اطلعت عليه وعندى منه نسخة مطبوعة سنة ١٢٨١ هـ .

وقد جاء في مقدمته « وبعد فإني نظرت في علم العربية ، ووقفت على دقائقه وحقائقه وراجعت كل كتب أهل العربية وتصانيفهم فوجدتها مشتملة على أبيات من الشعر مصعبة المباني متمحصنة المعاني . وقد ألغز قائلها إعرابها ودفن في غامض الصنعة صوابها ، وهي في الظاهر فاسدة قبيحة وفي الباطن جيدة صحيحة . وقد كان العلماء المتقدمون كالأصمعي وغيره يتساءلون عنها ويتماحنون بها ، أردت أن أجمع منها ما تيسر لأوضح مشكله وأبين مجمله مشيراً إلى موضع النكتة منه غير مستقل بإيراد النظائر والأمثال فيفضي إلى الضجر والملال .

وقد بدأ هذه الألفاظ بتوجيه الحديث الشريف : « إن من أمن الناس على في صحبتته وماله أبو بكر » وختمها بالبيت :

إنَّ هندا المليحة الحسناء

وَأَيَّ من أضمرت لخيلاً وفاء

وتقدير البيت الإعرابي والمعنوي :

عِدِي يَا هِنْدُ الْمَلِيحَةَ الْحَسَنَاءَ وَعَدًّا
مثل وعد من أضمرت وفاءً لخيْلٍ

فإن مؤلّفة من « إ » أمر من وَآى بمعنى
وَعَدَ والنُّونُ المشددة للتوكيد وهو خطاب
لمؤنثة حذفت ياؤها لالتقاء الساكنين .

و « هند » منادى و « المليحة » صفة مرفوعة
تبعاً للفظ و « الحسناء » صفة منصوبة تبعاً
للمحل أو صفة لمفعول به محذوف تقديره
المرأة .

وإني لأنصح بالاطلاع على هذه الألفاظ

لطرفتها وكثرة فائدتها .

١٠- الزبدة في شرح قصيدة البردة ،
والمراد بها قصيدة البردة التي ألفها البوصيري .

وأولها : أما بعد حمد الله مستحق التحميد
فقد سألتني أيها الأخ النجيب - أن أضع
شرحاً لطيفاً على بردة المديح ، مشتملاً على
بيان لقائها أهم توضيح فأجبتك لما سألته .

وقد فرغ من تأليفه في رجب سنة ٩٠٣هـ
والظاهر أنه آخراً مؤلفاته - رضى الله عنه .

١١- شرح الكافية لابن الحاجب ،

مخطوط داما دزاده باستامبول برقم ٥٨ ،
٦٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

١٢- شرح العوامل المائة للجرجاني

مخطوط بدار الكتب المصرية في ٨٨ ورقة
برقم ١٧٩ نحو .

١٣- تقييد في الحمد والشكر مخطوط
بمكتبة الرباط برقم ٥٤٤ .

١٤- بلوغ الأهل في فن الزجل مخطوط
بالمكتبة الحميدية باستامبول برقم ١٢٧٣ .

١٥- الثمار اليانعة في الأصول مخطوط
بالمكتبة الآصفية بالهند فهرست الجزء
الأول ص ٩٢ .

١٦- تفسير آية « فلا أقسم بمواقع
النجوم » مخطوط بالمكتبة الآصفية بالهند
فهرس الجزء الأول ص ٥٣٢ .

توفى الشيخ خالد - رحمه الله تعالى -
بعد تأديته فريضة الحج وعودته إلى
« بركة الحاج » قريبا من شبين القناطر
في يوم ١٩ من المحرم سنة ٩٠٥هـ الموافق
٢٦ من أغسطس ١٤٩٩ م ونقل إلى تربة
الدوادر « يشبك » حيث دفن بها
- رحمه الله تعالى - .

محمد الفحام

عضوالمجمع

الحركة العلمية في عصر المأمون

للدكتور عبد الحليم منتصر

وكذلك كانت تعقد مجالس العلم والحلقات العلمية في قصور الخلفاء والأمراء ومنازل العلماء ، ودور الكتب والمكتبات وكذلك في المساجد ، فكانت هذه وتلك تؤدي ماتوئديه الجامعات ومعاهد العلم في الوقت الحاضر ، فقد ثبت أن درست بالمساجد ، علوم اللغة والمنطق والطب والميقات ، ويروى أن ابن خلدون كان يلقي درسه في الطب في الأزهر ظهر كل يوم .

ثم انتقلت مجالس العلم وصالونات الأدب والاجتماعات العلمية من قصور الخلفاء والمساجد إلى المدارس فقد زاد الإقبال على هذه الحلقات ، وتعددت الحلقات في المسجد الواحد في الوقت الواحد ، مما أحدث من الضجة والضوضاء ، ماغدا معوقاً ، واتضح صعوبة استعمال المساجد للتدريس والصلاة . ثم إن المعارف ازدادت تنوعاً ، وازدادت أسباب الجدل في دروسها ، مما لم يكن يتفق ومهابة المساجد وجلالها .

وقد عني كثير من الكتاب والمؤلفين بدراسة النهضة الأدبية والاجتماعية والسياسية في عصر المأمون ، ويهمننا في هذا الحديث أن نلقى بعض الضوء على الحركة العلمية

أن يتفق المؤرخون على أن عصر المأمون ، إنما هو أزهى عصور



الحضارة العلمية في العصر الإسلامي ، ومنهم من يقول إن الحضارة الإنسانية مدينة للمأمون ، الذي قاد الحركة العلمية أروع قيادة ، ويقول المستشرق « هوجز » إن عصر المأمون أزهى فترة في تاريخ النهضة بالعالم الإسلامي ، إذ كان الخليفة نفسه ، عالماً من أساطين العلماء ، واختار أصحابه ورجال الدولة ، من الصفوة الأفاضل في الشرق والغرب ، هذا إلى جانب الأساتذة والمشيرين والمترجمين والمفكرين الذين عسى بهم بلاطه ، وزين ملكه . ويقول سيد أمير علي « إن بلاط المأمون كان يموج بجمهرة عظيمة ، من رجال العلم والأدب والشعراء والأطباء والفلاسفة ، الذين استدعاهم المأمون من جهات متعددة من العالم المتمدين ، وشملهم جميعاً بعناية مهمماختلفت مشاربهم وجنسياتهم . وقد استفادت هذه المجالس وتلك الاجتماعات العلمية من التطور العلمي والترجمة اللذين كانا طابع ذلك العصر ، ووجدت هذه العلوم طريقها إلى مجالس المأمون فازدهرت ونمت نموا عظيماً .

والترجمة في عصر المأمون ، باعتبارها الأساس الذي قامت عليه النهضة العلمية في العصر الإسلامي ، الذي كانت بمثابة الزاد الذي اغتذت منه أوروبا في عصر نهضتها وحتى قال « سارتون » مؤرخ العلم في العصر الحديث : « كان لابد من ظهور الخوارزمي والصفوي وابن الهيثم والرازي وجابر وابن سينا والبيروني ، حتى يتسنى ظهور جاليليو وكبلروكوبرنيق ونيوتن ودالتن ومن إليهم » ويقول أيضاً : « لولا أعمال العلماء العرب ، لاضطر علماء النهضة الأوروبية ، أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون » .

ونعاق على ذلك فنقول : « إنه لولم تصيبنا محنة المغول والتتار والترك والاستعمار ، لكانت هذه النهضة التي تفانح بها أوروبا تكون من نصيب الأمة العربية ، وتتقدم عليها في التاريخ بضعة قرون ، وتكون لغتها هي العربية » . فقد كانت العربية لغة العلم ، فكل من أراد أن يترك علما تقرأه الناس لحأ إلى اللغة العربية ، فكتب وألف بها .

وتقول الدكتورة « سيجريد هونكه » في كتابها فضل العرب على أوروبا ، أو شمس الله على الغرب : « إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية ، وإن الدين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جدا ، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد .

إن العرب ظلوا ثمانية قرون يشعرون على العالم ، علما وفنا وأدبا وحضارة ، كما أخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات إلى النور ، ونشروا لواء المدنية ، أنى ذهبوا في أقاصى البلاد ودانها ، سواء في آسيا أو أفريقيا أو أوروبا ثم تنكر أوروبا على العرب هذا الفضل .

وقد مرت الترجمة في العصر العباسي بثلاثة أدوار : الأول من خلافة أبي جعفر المنصور ، إلى وفاة هارون الرشيد ، أي من عام ١٣٦ إلى ١٩٣ هـ . وقد نبغ في هذا العهد عدد من الترجمة ، نذكر منهم « يحيى بن البطريق » « وجورج جيوس بن بختيشوع » ، و« عبد الله بن المقفع » « ويوحنا بن ماسويه » وغيرهم . وقد ولد المأمون في السنة التي استخاف فيها هارون الرشيد سنة ١٧٠ هـ ولذلك سماه المأمون تيمنا وقد ولي المأمون الخلافة سنة ١٩٨ هـ ، وبها يؤرخ العصر الثاني من عصور الترجمة الذي استمر حتى سنة ٣٠٠ هـ واشتهر من الترجمة قسطا بن لوقا البعلبكي وحنين بن إسحق ، وابنه إسحق بن حنين وعيسى بن يحيى ، وثابت بن قررة الحراني .

وقد بذل المأمون جهده في استخدام الترجمة ، وكان ينفق في ذلك بسخاء ، حتى ليقال إنه كان يدفع وزن ما يترجم ذهباً وكان يحرض الناس على قراءة الكتب ، ويرغمهم على تعليمها ، واقتدى به الكثيرون من أهل دولته في بغداد ، فتفاطر إليها المترجمون من أنحاء العراق والشام وفارس ، وفهم النساطرة واليعاقبة ، والصابئة ، والمجوس والروم والبراهمة . يترجمون من اليونانية

والفارسية والسريانية والسكندرانية والقبطية واللاتينية وغيرها . وكثر في بغداد الوراقون وباعة الكتب ، وتددت مجالس العلم والمناظرة ، وأصبح هم الناس البحث والمطالعة وظلت تلك النهضة مستمرة بعد المأمون إلى عدد من خلفائه .

أما ترجمة الدور الثالث ويبتدئ من سنة ٥٣٠٠ هـ ، وينتهي في منتصف القرن الرابع الهجري ، فكانوا أكثر اشتغالا بالمنطق والطبيعة ، منهم متى بن يونس ، وسانان ابن ثابت بن قررة ، ويعده حنين بن إسحق شيخ ترجمة العصر العباسي ، باع اهتمامه بترجمة الآثار اليونانية مبلغا عظيما ، فكان يجوب الأقطار في طلبها والحصول عليها مثال ذلك كتاب البرهان لحالينوس الذي كان نادر الوجود في القرن الثالث الهجري ، وقال عنه حنين إنني بحثت عنه بحثاً دقيقاً وجبت في طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى الإسكندرية ، ولم أظفر إلا بما يقرب من نصفه في دمشق .

وقد ترجم حنين إلى العربية سبعة من كتب أبقراط ، وترجم إلى السريانية من كتب حالينوس خمسة وتسعين ، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين كما راجع وأصلح ما ترجمه تلاميذه . كذلك ترجم ستة كتب إلى السريانية ، وسبعين كتابا إلى العربية كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التي كانت ترجمت إلى السريانية ، ونقل أيضاً ثلاثة من كتب أوريباسوس ، وذلك بخلاف ما نقله من كتب

الفلسفة وغيرها لأفلاطون وأرسطو . وبلغت تأليفه الخاصة نحو ثلاثين كتاباً .

ومن أشهر تأليفه كتاب العشر مقالات في العين ، ويعتبر هذا الكتاب أقدم ما ألف في أمراض العيون بطريقة علمية منظمة . وقد نشره وحققه مايرهوف « ومن أخذ أعماله ترجمة كتاب الشريح لحالينوس .

أما ابنه إسحق ، فقد كان أوحد عصره في علم الطب ، وكان يلحق بأبيه في النقل والترجمة وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها وله تصانيف كثيرة في الطب والمنطق بلغت خمسة عشر كتاباً .

ومنهم ثابت بن قررة ، وابناه إبراهيم وسانان ، وحفيده ثابت وإبراهيم ، وكانوا من خيرة المترجمين ، وبلغت مؤلفات ثابت ثلاثة وعشرين كتاباً ، منها خمسة في الطب وباقيها في الحساب والهندسة والفلك ، غير ما نقل للأوائل من كتب المنطق ، والرياضيات والطب ، وكان يجيد اللغة اليونانية والسريانية والعبرية ، وترجم في الرياضيات والمنطق والطب والتنجم . ونبغ ابنه سنان بن ثابت في الطب .

ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي ، كان طبيباً حاذقاً ، عالماً باللغات اليونانية والسريانية والعبرية نقل كتباً كثيرة من اليونانية إلى العربية ، وأحصى ابن الندم ماله من كتب ، سوى ما نقل وشرح ، فبلغت خمسة وثلاثين كتاباً .

وفي عهد المأمون نبغ الخوارزمي ، الذي ولاه المأمون منصباً في بيت الحكمة ، برز في الرياضيات والفلك ، وهو أول من ألف في الجبر ، بل أول من استعمل كلمة جبر للعلم المعروف بهذا الاسم ، ولكتابه في الجبر قيمة علمية تاريخية ، ومنه عرف الغربيون علم الجبر . والخوارزمي أول من وضع كتاباً في الحساب ، هو الأول من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة . بقي زمنا طويلا مرجعا للعلماء ، وبقي عدة قرون معروفاً باسم الغوريتمى نسبة للخوارزمي . وكذلك ألف الخوارزمي في الفلك ، وله بحوث مبتكرة فيه ، وله زيغ يعرف بزيغ الخوارزمي ويعتبر الخوارزمي من المحددين للجغرافية بطليموس .

وكذلك ظهر موسى بن شاعر في عصر المأمون ، وسطح هو وبنوه الثلاثة محمد وأحمد وحسن في سماء العلم ، نبغوا في الرياضيات وخاصة الهندسة والفلك ، كانوا محل رعاية المأمون فقد انقطعوا للعلم .

كتبوا في الآلات والحيل (الميكانيكا) واستعملوا القانون المعروف بقانون هيرون لتقدير مساحة المثلث ، إذا علم طول كل ضلع من أضلاعه ، ويعزى إليهم القول بالحاذبية العمومية بين الأجرام السماوية . يربط كواكب السماء بعضها ببعض ، ويجعل الأجسام تقع على الأرض . وقد كلفهم المأمون بقياس محيط الأرض . وقد قدروه

بنحو أربعة وعشرين ألف ميل . وقد اختاروا مكانين منبسطين ، أحدهما في صحراء سنجان ، حيث نصبوا الآلات وقاسوا الارتفاعات والميل والأفق ، وعلموا أن كل درجة من درجات الفلك يقابلها $\frac{1}{3}$ ٦٦ ميلا ، وتوافق الحساب مع ما عملوه في أرض الكوفة ، وهو عمل علمي قيم .

وقد أحضر المأمون أيضاً « حنين بن إسحق » ، وكان فتي السن ، وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى اللغة العربية ، وإصلاح ما ينقله غيره : ومما يحكى عنه أن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب مثلاً بمثل . وقال أبو سليمان المنطقي ، إن بني شاعر ، كانوا يرزقون جماعة من النقلة ، منهم حنين بن إسحق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قررة كانوا يرزقونهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة .

ويقول « صاعد الأندلسي » : إنه لما أفضت الخلافة . إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، تم ما بدأ به جده المنصور ، فأقبل على طلب العلم في مواضعه ، وداخل ملاك الروم ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب ، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبتليموس ، واستجاد لها مهرة الترجمة ، وكلفهم أحكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن ، ثم حض الناس على قراءتها ، ورغبهم في تعليمها ، وكان

ذلك هو عبد الله المأمون ، الذي قاد أكبر نهضة علمية في العصر الإسلامي ، كان له الفضل أعظم الفضل في حركة النقل والترجمة والتأليف العلمي ، في المعارف بعامة ، والمعارف العلمية بخاصة . ولذا جاز لنا أن نقول بحق ، إن الحضارة الإنسانية مدينة لعبد الله المأمون ، الخليفة العباسي ، الذي رعى العلم والعلماء ، وسخا في الإنفاق على العلم والحركة العلمية ، وجمع في بغداد صفوة من العلماء والمترجمين ، وأنشأ دور الكتب والمراصد وتاهت بغداد على سائر العواصم بالخليفة العالم « عبد الله المأمون » .

عبد العظيم منتصر
عضو الجمع

يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ، ويلتذ بمذاكرتهم ، علما منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده ، وأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة ، وزهدوا فيما يرغب فيه الصيغ والترك ، ومن نزع منزعهم من التنافس في دقة الصناعة العلمية ، والتباهي بأخلاق النفس والتفاخر بالتقوى ، إذ علموا أن البهائم تشركهم فيها ، وتفضلهم في كثير منها ، فلهذا السبب ، كان أهل العلم مصابيح الدجى ، وسادة البشر ، وأوحشت الدنيا لفقدتهم^(١) .



ما معنى يَوْمِ التَّغَابِنِ

للدكتور أحمد الحوفي



القرآن الكريم أسماء
كثيرة ليوم

القيامة ، منها يوم التغابن في قوله سبحانه
وتعالى : « يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ،
ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابِنِ » (١) .

فما معنى التغابن .

لابد لمعرفة هذا المعنى من أن أعرض
ما قاله بعض المفسرين لأنه يمثل رأيهم
جميعا ، وأعقب على ما قالوه ، ثم
أعتمد على اللغة لعلى أهتدى إلى صواب .

(١)

ذكر الطبرى أن اليوم سمي يوم
التغابن ، لأن أهل الجنة يغيبون فيه أهل

النار ، وعزز رأيه هذا بروايتين عن
مجاهد وعن قتادة (٢) .

لكنه لم يوضح سبب هذا الغيب أو
طريقته ، ولسنا نستطيع أن نتصور أن
الناس يغيب بعضهم بعضا في هول القيامة .
ورهة الحساب .

ثم إن غَبِنَ أهل الجنة لأصحاب النار
لا يُسَمَّى تغابنا ، لأن الغيب من طرف
واحد ، والتغابن إذا فسرناه بما فسره
الطبرى وهو الظلم لابد أن يكون تفاعلا
من طرفين .

وذهب الزمخشري إلى أن التغابن
مستعار من تغابن القوم في التجارة ،
وهو أن يغيب بعضهم بعضا ، لأن السعداء
نزلوا منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها
لو كانوا سعداء ، ولأن الأشقياء نزلوا
منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو
كانوا أشقياء ، وقال إن في هذا تهكما
بالأشقياء ، لأن نزولهم ليس بغيب ،
وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم ،
ولكن التغابن في ذلك اليوم هو التغابن
في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا
وإن جلت وعظمت (٣) .

(١) سورة التغابن آية : ٩ (٢) تفسير الطبرى ٢٨ / ٧٩ (٣) تفسير الزمخشري ٤ / ١٠٥

وهذا تقسيم عجيب من الزمخشري ،
لأنه من غير المعقول أن يغيب السعداء
الأشقياء على وهم لاحقيقة له ، وهو أنهم
نزلوا في منازل الأشقياء التي كان الأشقياء
يستحقونها لو كانوا سعداء ، وأن
الأشقياء نزلوا في منازل السعداء التي كانوا
يستحقونها لو كانوا أشقياء .

على أن هذا لا يتفق وقوله تعالى في
وصف أهل الجنة : « وَنَزَعْنَا مَا فِي
صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ
مُتَقَابِلِينَ ^(١) » فكيف يغيب أهل السعادة
أصحاب الشقاء ؟

وقد عقب النيسابوري على رأى الزمخشري
بقوله : في تسمية القسم الأخير تغابنا
نظر ، إلا أن يفرض أن نزول الشقى
في ذلك المنزل يزيد عذابه ، وزيادة
العذاب سبب تضييق المكان عليه .

ثم قال : ويجوز أن يفسر التغابن
بأنه أخذ المظلوم حسنات الظالم ، وحمل
الظالم خطايا المظلوم ، وإن صح مجيء
التغابن بمعنى الغبن فذلك واضح في حق

كل مقصر صرف شيئاً من استعداده
القطرى في غير ما أعطى لأجله ^(٢) .

وهذا رأى مردود ، لأن أخذ المظلوم
حسنات الظالم ، وتحمل الظالم خطايا
المظلوم يتنافى والعدل الإلهي المطلق الذي
نطقت به آيات كثيرة ، مثل قوله
سبحانه وتعالى : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
رَهِينَةٌ ^(٣) » ، وقوله تعالى : « مَنْ اهْتَدَى
فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَأِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ^(٤) »
وقوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ ^(٥) » وقوله سبحانه : « وَنَضَعُ
الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا ^(٦) »

أما ابن كثير فقد ذكر رواية عن ابن
عباس وتادة ومجاهد أن يوم القيامة
سمى يوم التغابن لأن أهل الجنة يغبنون
أهل النار ، وذكر رواية عن مقاتل بن
حيان أنه لا غبن أعظم من أن يدخل
هؤلاء الجنة ويذهب الآخرون إلى النار ^(٧)

(٢) تفسير النيسابوري على هامش الطبري ٢٨ / ٧٩

(٤) سورة الإسراء ١٥

(٦) سورة الأنبياء ٤٧

(١) سورة الحجر ٤٧

(٢) سورة المدثر ٣٨

(٥) سورة النساء ٤٠

(٧) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٧٥

وقد سبق تفنيده هذا الرأي وإبطال دعوى الغبن ، لأن أهل الجنة استحقوا بإيمانهم وعملهم ، ولأن أصحاب النار استحقوا بكفرهم ، فلا غبن ولا عدوان .

وهناك رأى آخر قاله أبو حاتم أحمد ابن حمدان الرازى وهو أن اليوم سمي يوم التغابن لأن المغبون هو الذى انكشفت سرائره فى ذلك اليوم ، فيظهر ما اكتسبه فى الدنيا من عبادة غير الله بعد أن قدر أن اهتدى وأنه ينجو ، فيكون أمره كما قال الله عز وجل : « وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ^(١) » فهذا هو المغبون ، مثل المغبون فى الدنيا الذى يشتري سلعة أو يبيعها فيقدر أنه ربح ، فإذا انكشف أمره ظهر أنه خسر ، فيقال له مغبون ^(٢) . ولكن هذا تعليل غير مقبول ، لأن الذى عبد غير الله تعالى يستحق العقاب ، فلا يسمى مغبونا ولأن التغابن تفاعل ، وشتان ما بين الغبن والتغابن .

وأما مجمع اللغة العربية فإنه فسر التغابن بأنه تفاعل كما سبق فى قول

الزمخشري وابن كثير ، لأن السعداء فى الدنيا نزلوا فى ذلك اليوم منازل الأشقياء ، ولأن الأشقياء فى الدنيا نزلوا فى منازل السعداء ، إذ تبدو الأشياء لهم بخلاف مقاديرهم فى الدنيا ^(٣) .

وإذا كنت قد رددت على هذا الرأى فإننى أزيد على ما تقدم أنه كان الجدير بتسمية اليوم فى هذه الحالة أن يسمى يوم الإنصاف أو يوم التبادل أو ما شا كل هذا ، وأضيف رداً آخر أنه ليس من الحتم أن يصير سعداء الدنيا إلى شقاء ، وأن يصير أشقياء الدنيا إلى سعادة ، وليس من الصواب أن نعلل لتسمية اليوم بتقديرهم أو بظنهم وهم فى دنياهم .

ثم ذهب الأستاذ عبد الكريم الخطيب إلى أن اليوم سمي يوم التغابن لأن الناس يرون فيه أنهم غبنوا أنفسهم فى الدنيا ، فلم يأخذوا حقهم كاملاً فيها ، ولم يستوفوا المطلوب منهم للحياة الأخرى ، فكل إنسان يبدو له فى يوم القيامة أنه مغبون فى دنياه سواء أكان محسناً أم مسيئاً ، أما المحسن فلأنه لم يزد إحساناً ليزداد ثواباً ، وأما المسيئ فلأنه

(١) سورة الفرقان ٢٣

(٢) مجمع الفاظ القرآن الكريم مادة غبن .

(٣) كتاب الزينة لأبي حاتم الرازى ٢/٢٢٧

يرى أنه ظلم نفسه إذ أطلق العنان
لشهواته^(١) .

والرد على هذا أن اليوم يوم حزن وندم
وحسرة وتأنيب شديد للنفس ، وليس
يوم غبن أو تغابن بمعنى الظلم أو الشعور
بظلم .

(٢)

لنرجع إلى اللغة عسى أن نهتدى إلى
المعنى المراد من الكلمة في الآية الكريمة .

جاء في اللغة : غَبَنَ الرجل الرجل في البيع
يَغْبِنُهُ - من باب ضرب - أي خدعه
وظلمه ، والتغابن أن يغبن القوم بعضهم
بعضا .

وغَبِنَ الرجل رأيه وغَبِنَ في رأيه غَبْنًا
وغَبْنًا - مثل فهم يفهم فهما وفرح يفرح
فرحًا - أي نسيه وأغفله وجهله وضعفه
وغلط فيه .

وغَبِنَ فلانٌ فلانًا يَغْبِنُهُ غَبْنًا - من
من باب ضرب - أي مرَّ به وهو مائل
فلم يره ولم يفطن له^(٢) ، وفي هذا المعنى
مثل ما في السابق من غفلة ونسيان
واشتغال .

(١) التفسير القرآني للقرآن ٢٨/٩٨

(٣)

وأغلب ظني أن المفسرين أخذوا
معنى التغابن من الغبن بمعنى الظلم ،
والعجيب أن ابن منظور مؤلف لسان
العرب ذهب مذهبهم ولم ينتبه إلى بقية
ما ذكره في المادة نفسها .

ثم تكلموا له تفاعلا بين اثنين كل
منهما يغبن الآخر ، أو تفاعلا بين الانسان
ونفسه ، فهو في نظرهم مثل التنازع
والتشارك والتقاتل والتنادي .

لكنني أرجح أن التغابن تفاعل بين
اثنين بمعنى آخر ، لأنه من الغبن على
وزن الضرب ، وقد نصت اللغة على أن
معناه الإغفال والذهول ، حيث إن الذهول
الشديد والإغفال الصارف والاشتغال
الطاغى يعم الناس جميعا ، فينحصر
كل منهم في نفسه ، ويذهل عن سواه ،
وينصرف عن أحب أحبائه ، فهو إذن ذاهل
ومذهول عنه ، ومن هنا يتحقق التفاعل
أي تبادل الذهول والاشتغال والغفلة .

وليس من المستطاع أن نتصور ذهولا
أشد مما صوره سبحانه وتعالى في قوله :
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ

(٢) لسان العرب مادة غبن .

السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ^(١) .

وفي قوله تعالى «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» ^(٢) .

أو أن التغابن من الغبن أو الغبن - على وزن ضرب وسبب - بمعنى النسيان والجهل والغفلة والانصراف ، لأن الناس يوم القيامة يصابون بأهوال تفزعهم وتذهلهم وتشغلهم وتنسيهم ، فيصير كل منهم في ذهول شديد ونسيان تام ، ولكن الصيغة جاءت على وزن تفاعل للمبالغة لا للدلالة على مشاركة ، ولها نظائر كثيرة في اللغة منها تبارك الله تعالى أي تقدس ، وتعالى الله أي علا علوا كبيرا ، وتقادم العهد أي قدم جدا ، وتناول

الزمن أي طال كثيرا ، وتفاقم الأمر أي اشتد اشتدادا ، وتناثر الحب أي انتشر انتشارا ، وتكاثر الناس أي كثروا كثرة ، وتوافدوا أي قدموا وفودا ، وتحامى الرجل كذا أي احتفى منه احتفاء ، وتصاغرت نفس فلان أي صارت صغيرة ذليلة ، وتعاطى الشيء أي تناوله مرات ، وتمائل العليل للشفاء أي قاربه .

وليس في صيغة من هذه الصيغ تفاعل أو مفاعلة بين اثنين أو طرفين .

وسواء ذهبنا إلى أن التغابن تفاعل من الغبن بمعنى الذهول الطاغى والاشتغال الفادح ، أو أنه مبالغة من الغبن بهذا المعنى ، فإن هذا أو ذلك أولى بالقبول من القول بأن التغابن من الغبن بمعنى الظلم أو الخداع ، وأسلم مما يجره هذا القول من تكلف وافتراض ، وأقرب إلى المعنى اللغوي الذي نصت عليه المعاجم ، وأجدر بهول يوم القيامة كما صوره القرآن الكريم .

أحمد الحوفي
عضو المجمع

(١) سورة الحج ١ - ٢ .

(٢) سورة هود ٢٤ - ٢٧ .

أبو عمرو

الشيبياني

للدكتور مراد كامل

للسيوطي ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها
للسيوطي ، وطبقات النحاة واللغويين للقاضي
شبهة :

وقد أوردت هذه المصادر على حسب
ترتيبها الزمني :

إن ما وصلنا عن حياة الشيبياني قليل :
ولد في شهر رمضان بالكوفة ، وعاش
أكثر حياته في الكوفة ثم انتقل إلى بغداد حين
أصبحت بغداد مركزا يستهوى العلماء إليه .

كان الشيبياني من علماء اللغة المرموقين في
عصره تتلمذ عليه كثير من العلماء نذكر
منهم ابن السكيت وأبي عبيد والطوسي
واللحياني والامام أحمد بن حنبل .

لم تنوه لنا المصادر بسنة مولده ، واختلفت
في سنة وفاته : ذكر القفطي في الانباه أنه
توفي سنة ٢٠٦ هـ وفي موضع آخر ٢١٦ هـ
وجاء في تاريخ بغداد أن سنة وفاته ٢١٠ هـ
وحدد المرزباني في المقتبس سنة وفاته ٢١٣ هـ
وهي السنة التي ذكرها صاحب الفهرست
وابن خلكان .

أما إذا أردنا أن نحقق عام وفاته رجعنا
إلى بعض الملابسات في حياته لنتبين السنة :
يشير ياقوت في الإرشاد إلى نزاع قام بين
الشيبياني وبين اسماعيل بن حماد من المعتزلة
المتوفى سنة ٢١٢ هـ وذلك حول رأى
المعتزلة في خلق القرآن . وفي رواية أخرى
لهذا الحادث ورد في لسان الميزان لابن حجر

أبو عمرو إسحاق بن
مرار الشيبياني. يذكر
في المعجم بكنيته



« أبو عمرو » ولما كان معاصره أبو عمرو بن
العلاء يذكر بنفس الكنية في كتب اللغة ،
حدث اللبس أحيانا : وفرق أبو عبيد بينهما
فذكر الشيبياني بكنيته فقط وذكر أبا عمرو بن
العلاء باسمه كاملا تفاديا للبس وسار على
هذا النهج في كتابه « غريب المصنف »
وقد رجعنا إلى ترجمته في كتاب المعارف
لابن قتيبة ، والزبيدي في طبقات النحويين
واللغويين ، ونور القبس المختصر من المقتبس
للمرزباني ، وكتاب الفهرست لابن النديم ،
وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ونزهة
الألباء في طبقات الأدباء لابن الإنباري ،
وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت
الحموي ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة
للقفطي ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
لابن خلكان ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ،
وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

بين ٩٠ سنة و١١٩ سنة وعلى هذا يكون عام مولده نحو سنة ١٢٠ هـ .

تلقى الشيباني علمه على يد أساتذة مشهورين ذكر منهم الذهبي في ميزان الاعتدال: ركن الشامي المتوفى سنة ١٦٠ هجرية ، وذكر منهم الأزهرى في تهذيب اللغة : المفضل الضبي .
وجه الشيباني همه في جمع الأشعار والألفاظ .

أخذ الشيباني عن علماء اللغة ومنهم من له تأليف في اللغة ، أخذ عن أبي زياد الكلابي وهو يذكر : أنشدني الكلابي أو أنشدني أبو زياد بلحمة أبيه ومصادره في اللغة - فيما عدا الكلابي - من العسير لإثباتها لأن أكثر المصادر اللغوية التي يحتفل أنه أخذ منها أو استعان بها تعد في حكم المفقودة .

أما مصادره في الشعر فأكثرها معروف :
١ - دواوين الشعر وقد عددها ابن النديم في الفهرست ، هذا وقد ترضى لها أحمد الطرابلسي في رسالته بالفرنسية عن نقد الشعر عند العرب .

٢ - أشعار القبائل أي أنه كان يجمع ديوانا لشعر كل قبيلة على حدة ، وتوصل إلى جمع أكثر من ثمانين ديوان . ذكر ذلك ابن النديم في الفهرست والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وابن الأنباري في نزهة الألباء ونص ذلك « فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفها وجعله

على لسان الشيباني يذكر أن هذا الجدل تم بعد أن عين ابن حماد قاضيا لبغداد بفترة قصيرة . ويحدد الطبري هذا الحدث بسنة ٢٠٨ هـ ، ويخيل لي أن هذا الجدل وقع على الأرجح عام ٢٠٨ هـ لأنه كما يذكر الطبري - كان في عصر المأمون الذي دخل بغداد سنة ٢٠٤ هـ وأخذ تفضيله لرأى المعتزلة يتطور حتى وصل قمته في المرسوم الذي أصدره سنة ٢١٢ هـ . ولهذا نستبعد أن تكون سنة وفاته ٢٠٦ هـ .

فاذا قدرنا أن الشيباني عاش بعد جدله مع ابن حماد بعض الوقت وكما ذكر ابن حجر أن هذا حدث بعد أن عين ابن حماد قاضيا لبغداد بفترة قصيرة ، وأخذنا في الاعتبار أيضا ما ورد في تاريخ بغداد بأن وفاته وقعت في نفس السنة التي توفي فيها أبو العتاهية وهي سنة ٢١٣ هـ رجحنا أن ما ذكر عن أن وفاته كانت سنة ٢١٣ هـ هو أرجح تاريخ .

وجاء في تاريخ بغداد أن الشيباني عاش ٩٠ سنة ، وفي تهذيب اللغة للأزهري أنه عاش ١٠٠ سنة ، وفي الانباه للقفطي أنه عاش ١٠٢ سنة ، وفي الفهرست لابن النديم أنه بلغ ١١٠ سنة ، وفي نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني أنه عمر ١١٨ سنة ، وفي نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري أنه عاش ١١٩ سنة . أي أن الشيباني على اختلاف الآراء يكون قد عاش

من هذه الدواوين التي وقعت له كانت بخط الشيباني ، ومع ذلك لم نظفر بالشواهد التي أوردها الآمدي من هذه الدواوين في كتاب الجيم للشيباني .

يقول الدكتور طه حسين في كتابه « في الأدب الجاهلي صفحة ١٩١ طبعة ١٩٢٧م » وهناك رواية كوفي لم يكن أقل حظاً من صاحبيه هذين (يقصد : حمادا وخلف) في الكذب والنحل ، كان يجمع شعر القبائل حتى إذا جمع شعر قبيلة كتب مصحفاً بخطه ووضعها في مسجد الكوفة ، ويقول خصومه : إنه كان ثقة لولا إسرافه في شرب الخمر . وهو أبو عمرو الشيباني ، ويقولون إنه جمع شعر سبعين قبيلة . وأكبر الظن أنه كان يؤجر نفسه للقبائل ، يجمع لكل واحدة منها شعراً يضيفه إلى شعرائها . وليس هذا غريباً في تاريخ الأدب . . . إلا إذا فسدت مروءة الرواة كما أفسدت مروءة حماد وخلف وأبي عمرو الشيباني ، وإذا أحاطت بهم ظروف مختلفة تحملهم على الكذب والنحل ككسب المال والتقرب إلى الأشراف والأمراء والظهور على الخصوم والمنافسين ونكاية العرب نقول : إذا فسدت مروءة هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف كان من الحق علينا ألا نقبل مطمئنين ما ينقلون إلينا من شعر القدماء .

وأنه لمن العسير أن نبدي رأياً في الدواوين التي جمعها الشيباني لأننا لم نعثر على

في مسجد الكوفة حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه » وقد ترجم المستشرق سلهايم هذه الفقرة في كتابه عن الأمثال العربية أن مجموعة هذه الدواوين علق في مسجد الكوفة ، والمفهوم قطعاً أن هذا الخبر يشير إلى أن الشيباني كان كلما انتهى من جمع ديوان نسخ نسخة من المصحف وعلقه في مسجد الكوفة . ويخيل إلى أن العالم في القرون الأولى للإسلام كان عليه أن يعنى بالقرآن وما يتصل به من دراسات ، وأنه إذا اهتم بغير ذلك من الدراسات أن يكفر عن ذلك بنسخ صورة من القرآن عن كل كتاب يولفه ويضع نسخة القرآن في المسجد .

والحقيقة أنه لم يصل إلينا أي ديوان من هذه الدواوين إلى الآن . وفي القرن السابع عشر الميلادي وقع لعبد القادر البغدادي ديوان أشعار تغلب وديوان أشعار بني محارب وقد ذكر ذلك في خزنة الأدب . وإذا رجعنا إلى ديوان الهذليين للسكري ، وهو الديوان الفريد الذي وصل إلينا من دواوين القبائل ، قدرنا أن دواوين القبائل كانت على هذا المنوال . ويذهب أجمد الطرابلسي في رسالته عن نقد الشعر عند العرب أن ديوان الهذليين للشيباني أفاد منه السكري .

وحين ألف الآمدي كتابه المؤلف والمختلف كان تحت يده عدد من دواوين القبائل ، وربما كان من بينها بعض الدواوين التي جمعها الشيباني ، وذكر أن ثمانية

ديوان واحد منها إلى الآن ، وإنه ليس من اليسير أن نجمع هذه الدواوين من بطون الكتب لأن المؤلفين الذين أتوا بعده استعانوا بنصوص مختلفة ولم يقتصروا على الأخذ عن الشيباني .

وقد نجح في بعض الحالات أن نستقصى ما جمعه الشيباني فهو يستشهد من معلقة زهير بن أبي سلمى بتسعين شاهدا في كتاب الجيم ، ونحن نعلم أن معلقة زهير وصلت إلينا في نصين : نص للأصمعي في شرح الشعراء الستة للشنتمارى ، ونص متأخر لثعلب أو للسكري وهذا النص اعتمد بدوره على نصوص مختلفة ومنها نص الأصمعي ونص الشيباني :

وتتفق رواية الأصمعي مع الشيباني في ٤١ شاهدا من قصيدة زهير فيما عدا خمس أبيات يقول الأصمعي إنها مولدة ، ويقول ثعلب في هذا « ورواه أبو عمرو والمفضل وزعم الأصمعي أنها مولدة » وتتفق رواية كتاب الجيم مع شرح ثعلب وللأصمعي فيها قراءة مختلفة . وفي بعض الحالات تتفق قراءة ثعلب مع ما جاء في كتاب الجيم وثعلب يرجع بها إلى الشيباني ، وأحيانا نجد أن الشاهد في كتاب الجيم يختلف عن شرح ثعلب على الرغم من أن ثعلب ينسبها إلى الشيباني وهو على ما يظهر يتفق مع الأصمعي مثلا في كتاب : « الجيم » أو اسر يمزع مزرع الطباء « وعند الأصمعي « عوابس يمرعن

مرع الطباء واختلاف القراءة راجع إلى الرسم أى من أخطاء النساخ ، وعند ثعلب « جوانح يخالجن خلع الدلاء » . ونلاحظ أن أكثر شواهد معلقة زهير عند الشيباني لم ترد عند الأصمعي ولكنها وردت في شرح ثعلب وهي ٣٧ شاهدا . ويتبقى من التسعين شاهدا للشيباني اثنا عشر بيتا لم نجدها عند الأصمعي أو عند ثعلب ونخلص من هذا أن ديوان زهير الذى استشهد به الشيباني في كتاب الجيم كان أكمل مما كان تحت يد الأصمعي .

وعلى الرغم من الاتفاق في الرواية ، في كثير من المواضع ، بين الشيباني وبين ثعلب أو السكري ، فإن الأصل ، الذى أخذ عنه كل منهما لم يكن واحدا ، وتعليلنا لهذا الاختلاف بين ما أورده الشيباني في كتاب الجيم وبين ما ذكره ثعلب عن الشيباني ، أن ثعلب حين أخذ عن الشيباني لم يأت بالقراءات المختلفة ولكنه - على الأرجح - اكتفى باحداها .

والذى جرى في حالة زهير نراه قد حدث حين ذكر الشيباني غيره من الشعراء أى أن مصدره كان أوفى من المصادر التى وقعت لنا .

فالشيباني قدم لنا في الواقع مادة غزيرة من الشعر العربى القديم .

أما عن صحة الشعر الذى انفرد الشيباني به ، وبخاصة عن شعراء الجاهلية والمخضرمين

فعلينا أن نحتاط قبل أن نصدر حكماً إذا كان الشعر صحيحاً أو منحولاً .

وقد يدلنا على مقدار ما يقع للشيباني من شعر واختياره الصحيح من المنحول ، ما جاء في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت :

« وحدث يونس بن حبيب قال : دخلت على أبي عمرو الشيباني وبين يديه قمطر فيه أمعاء من الكتب يسير ، فقلت له : أيها الشيخ ، هذا علمك؟ فتبسم إلي وقال : إنه من صدق كثير» وروى هذا الخبر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : « هذا جميع علمك - . . . إنه من صدق كثير» وأورد القفطي هذه العبارة في إنباه الرواة على أنباه النحاة : « هذا جميع عملك . . . إنه من صدق كثير » أما ابن الأنباري في نزهة الألباء في طبقات الأديباء فذكر هذا هذا الخبر بشكل مخالف : « هذا جميع علمك . . . هذا من صندوق كبير» ولاندرى من أين استقى ابن الأنباري هذا النص . وأقدم نص لهذا الخبر ما جاء في تاريخ بغداد .

ومهما يكن من أمر فإن هذا الخبر يراد به أن الشيباني كان ناقدًا للشعر ، ولاندرى بماذا نعلل أن الشيباني استشهد بأبيات لزهير شك في نسبتها الأصمعي .

مؤلفاته :

كتاب النوادر وقد ذكره الخارزنجي في تكملة العين والأزهري في التهذيب . وصحح

أخطأه أبو القاسم علي بن حمزة البصري في كتاب التنبهات على أغلاط الرواة وتحدث ابن النديم عن كتاب النوادر مرتين في الفهرست .

وكتاب خلق الإنسان وقد ذكره الفهرست لابن النديم .

وكتاب النحلة جاء ذكره أيضا في الفهرست .

وكتاب الإبل ذكره المرزباني في نور القبس المختصر من المقتبس .

وكتاب غريب الحديث ذكره ابن النديم في الفهرست ، ويعزى كتاب بهذا العنوان لابنه عمرو بن أبي عمرو الشيباني .

كتاب شرح الفصيح ذكره له الفهرست وهو غير كتاب فصيح ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ويذهب المستشرق فلوجل في كتابه عن المدارس النحوية أن كتاب الفصيح يعزى إلى أبي عمر الزاهد المسمى غلام ثعلب ، ومن هنا جاء اللبس .

وقد ضاعت مؤلفاته بعد موته بفترة قصيرة ووقع لابن النديم كتاب النوادر كما وقع لعبد القادر البغدادي ديوانان من الدواوين التي جمعها الشيباني ، وجاء ذلك عند ذكر مصادره في كتاب خزانة الأدب . ولم يصل إلينا من مؤلفاته إلا كتاب الجيم والذي يشار إليه في بعض المصادر بكتاب الحروف .

مراد كامل

عضو المجمع

تحقيق لسان العرب

في الجزء الحادي عشر من طبعة بولاق

للأستاذ عبدالسلام هارون

وليس للغروف هنا وجه ، ولا هي مما
يصح في العربية . وصوابها « عُرُوف »
كما في المخطوطة والحماسة برواية
التبريزي . كما أن رواية المرزوقي في
الحماسة ١٥٣٥ : « عروف » بالعين
والراء المهملتين ، وفسره بأنه البليغ
المعرفة بالبیداء ، أو هو الصبور . وقال
المرزوقي : « ويروى : جواب بيد آية
عروف » .

٧٣٣ - (زحف) ٣٠ س ٤ وببيروت
١٣٠ والمخطوطة ، قول بشر بن أبي
خازم :

قال ابن أم إياس ارحل ناقتي
عمرو فتبلغ حاجتي أو تُزحفُ

ولم تضبط « عمرو » في المخطوطة .
وصواب أوله : « فيلى ابن أم أناس »
وبمنع « أناس » من الصرف للضرورة ،
كما في ديوان بشر ١٥٥ والخزانة ١ : ١٤٩
هارون ، والقصائد السبع الطوال ٥٠٠ . قال
البغدادي : « وأم أناس بنت ذهل بن
شيبان . وعمرو هو عمرو بن حُجر

(٤)

٧٣٠ - (رجف) ١١ س ٢٤ وببيروت
(١١٢ : ٩) والمخطوطة ، قول الراجز :
* ظلّ على رأسه رجيف *
والشطر بهذا الوضع مختل الوزن ،
وصواب إنشاده :
* ظلّ لأعلى رأسه رجيف *

كما في مجالس ثعلب ٤٥٣ وهو ثاني
أشطار أربعة أنشدها ثعلب .

٧٣١ - (رعف) ٢٢ س ٢ وببيروت
١٢٣ والمخطوطة : « قال عمرو بن لجأ »
والشاعر إنما هو « عُمَر » . وهو عمر بن
لجأ بن حدير ، شاعر راجز فصيح
إسلامي ، وقعت المهاجاة بينه وبين جرير .
الأغاني ١٩ : ٢٢ والنقائض ٤٨٧ - ٤٩١
وابن سلام ١٥٠ والمرزباني ٤٧٨ والموشح
١٢٧ - ١٢٩ والشعراء . وانظر تاج العروس
(لجأ) .

٧٣٢ - (ريف) ٢٨ س ١٢ وببيروت
١٢٩ قول الراجز :

* جواب بيداء بها عُرُوف *

(١) متابعة لما نشر في الأجزاء السابقة من المجلة .

الكندي « كما أن صواب الضبط «عمرو»
بالجر . وأما « أرْحَلُ » فقد وردت في
المخطوطة « ازحل » بالزاي ، وصوابُهما
« أرْحَلُ » بالراء و برفع المضارع كما في
المراجع المتقدمة .

٧٣٤ - (زحلف) ٣١ س ١٥ وببيروت
١٣١ والمخطوطة أيضاً : « وقال مزاحف
العقيلي » . وليس في شعرائهم من يدعى
« مزاحفاً » ، وإنما هو « مزاحم » . وهو
مزاحم بن عمرو ، شاعر بدوي إسلامي
صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن
جرير والفرزدق . وكان جرير يصفه
ويقرظه ويقدمه . انظر الأغاني ١٧ : ١٥٠
والخزانة ٣ : ٤٥ بولاق .

٧٣٥ - (زلف) ٤٠ س ٩ « قال له
إني حججت من رأس هراً وخارك » وفي
المخطوطة : « رأس هر أو حارك » بالحاء
المهملة . وصوابهما « من رأس هر أو خارك »
كما في طبعة بيروت ١٤٠ . وفي اللسان :
« خارك موضع من ساحل فارس يربط
فيه » . وانظر معجم البلدان .

٧٣٦ - (سخف) ٤٦ س ١٦ وببيروت
١٤٦ والمخطوطة أيضاً قول الشاعر :

ولقد رأيتك بالقوادم مرة
وعلى من سدف العشى لياحُ
والصواب « رياح » بالراء كما في
اللسان (روح ٢٩١) وشرح القصائد
السبع الطوال ١٥٠ وفي اللسان أن « رياح »
بكسر الراء وقال : « فسره ثعلب فقال
إن معناه وقت » . وفي اللسان (روح) :
« بالقوادم نظرة » . والقوادم : اسم
موضع في بلاد غطفان ، وفيه يقول زهير :
عفا من آل فاطمة الجواء
فيمن فالقوادم فالحساء

٧٣٧ - (سلف) ٦٢ س ٧ - ٩ وببيروت
١٦١ والمخطوطة : « والسلفَة بالضم :
الطعام الذي تتعلل به قبل الغداء . . .
وهي اللهنة يتعجلها الرجل قبل الغداء » ،
صوابهما « الغداء » بفتح العين وبالذال
المهملة ، وهو الطعام بعينه ، أو هو طعام
الغدوة أول النهار ما بين صلاة الغداة
وطلوع الشمس .

٨ ٧٣ - (شرف) ٧٥ س ٦ وببيروت

١٧٣ والمخطوطة أيضاً قول بشر :

وطائر أشرف ذو حذرة

وطائر ليس له وكر

والصواب « ذو جردة » كما في الحيوان

٦ : ٢٨٧ ، ٣٢١ وقد جاء في اللسان في

تفسيره : « قال عمرو : الأشرف من

الطير الخفاش ، لأن لآذانها حجماً ظاهراً .

وهو منجرد من الزف والريش » .

وهذا النص مقتبس من الحيوان

٦ : ٣٢١ حيث ورد هذا التفسير مع

خلاف يسير . وعمرو هذا ، هو أبو عثمان

عمرو بن بحر الجاحظ . وبشر هو بشر

ابن المعتمر المتكلم .

٧٣٩ - (شسيف) ٧٧ س ١٨ وببيروت

١٧٦ والمخطوطة كذلك ، قول ابن مقبل

إذا اضطغنت سلاحى عند مغرضها

ومرفق كرتاس السيف إذ شسفا

وصواب روايته « ثم اضطغنت

سلاحى » كما في اللسان (رأس) عند

نقله لتصحيح ابن برى . وقبل هذا

البيت في الديوان ١٨٦ :

وأيلة قد جعلت الصبح موعدها

بصدرة العنس حتى تعرف السدفا

٧٤٠ - (شسيف) ٨٢ س ٩ وببيروت

١٨٠ قول الشاعر :

تغترق الطرف وهى لاهية

كأنما شف وجهها نؤف

والصواب « نؤف » كما في المخطوطة .

وديوان قيس بن الخطيم ١٠٤ والنؤف ،

أصله بضمه واحدة على النون ، وحرك

بضمه أخرى على الزاى للوزن . وفسره

ابن منظور بأنه الضعف الحادث عن

النزيف ، أو هو الجرح الذى ينزف عنه

دم الإنسان . وهو اسم من النزف بالفتح .

وأول القصيدة :

رد الخليط الجمال فانصرفوا

ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

٧٤١ - (صيف) ١٠٥ س ٩ وببيروت

٢٠٢ والمخطوطة أيضاً قول أبي زبيد :

كل يوم ترميه منها برشق

فمصيف أوصاف غير بعيد

والرشق بالفتح : الرمي ، وبالكسر :

الوجه من الرمي . و « مصيف » خطأ ،

٧٤٤ - (طرف) ١١٨ س ٩ وببيروت
٢١٥ قول الحطيئة :

وما كنت مثل الهالكى وعريسه

بغى الود من مطروفة الود طامح

والذى فى المخطوطة وديوان الحطيئة

٦٣ : « مثل الكاهلى » ، فكان من

الواجب أن يبقى النص كما هو وينبى على

صوابه . والهالكى : الحداد ، وقيل

الصيقل . وكان الهالك بن عمرو بن أسد

ابن خزيمه حدادا ، فنسب إليه الحدادون ،

كما قيل لبنى أسد القيون . قال لبيد :

جنوح الهالكى على يديه

مكباً يجتلى نقب النصال

وقال آخر :

ولاتك مثل الهالكى وعريسه

سقته على لوح سمّ الذراح

٧٤٥ - (طقف) ١٢٤ س ١ وببيروت

٢٢١ قول علقمة الفحل :

يظلُّ فى الحنظل الخطبان ينقفه

وما استطف من التنوم مَحْدوم

وهذا صواب ، لكن الذى فى المخطوطة

« محدوم » بالدال المهملة ، فكان ينبغى

والصواب « فمصيب » من الإصابة ،
أى يصيب الهدف ، وهذا الصواب قد
ورد فى اللسان (رشتى) وديوان أبى زبيد
ص ٤٢ .

٧٤٢ - (ضعف) ١٠٧ س ٢ - ٣

وببيروت ٢٠٤ والمخطوطة : « ابن الأعرابى :

رجل مضعوف ومبهوت ، إذا كان فى

عقله ضعف » . و « المبهوت » لا وجه

له هنا ، فإنما هو المأخوذ بغتة ، أو الذى

يواجه بالكذب ، أو الذى يكذب عليه .

وصوابه « مهبوت » بتقديم الهاء ، وهو

الذى فى عقله هبته ، أى ضعف . ويقال

مهبوت وهبيت أيضاً . قال طرفة :

فالهبيت لا فؤاد له

والتشبيت قلبه قيمه

٧٤٣ - (ضيف) ١١٣ س ٥ وببيروت

٢١٠ والمخطوطة ، عند قول البعيث :

لقى حملته أمه وهى ضيفة

فجاءت بيتن للضيافة أرشما

قال : « وحرّفه أبو عبيدة فعزاه إلى

جرير » . صوابه « أبو عبيد » ، كما فى

اللسان (رشم) . وانظر المخصص ٣ : ٦٦

١٧ : ٣٠ .

أن ينبه عليه . ورواية « مخذوم » تطابق
رواية ديوان علقمة ١٣٠ والمخذوم من
الحذم وهو القطع . وفي المفضليات ٣٩٩ :
« مخذوم » بالخاء والذال المعجمتين ،
والروايتان بمعنى واحد ، يقطع ما استطف
من التنوم لياًكله .

٧٤٦ - (طفف) ١٢٧ س ٥ وببيروت
٢٢٣ والمخطوطة أيضاً قول الكميت :
أوين إلى ملاطفة نخضود
مآكلهن طفطاف الربول
صوابه « لمآكلهن » كما في الصحاح .
والبيت لم يرد في ديوان الكميت تحقيق
دارد سلوم .

٧٤٧ - (طفف) ١٢٧ س ٨ وببيروت
٢٢٣ والمخطوطة أيضاً : « وأنشد :
* تحدم طفطافاً من الربول *
مع إهمال النقط في « تحدم » ،
والوجه « تحدم » بالذال المعجمة قبلها
حاء معجمة أو حاء مهملة ، ومعناه تقطع .
وانظر التنبيه ٧٤٥ .

٧٤٨ - (ظلف) ١٣٤ وببيروت ٢٣٢
والمخطوطة كذلك . الملحوظ أن هذه المادة
وردت في اللسان سابقة لمادة (ظفف)

وهو خلاف الترتيب المعهود ، فهو سهو
من ابن منظور أعجل عن تنسيقه ، فكان
من الواجب أن ينبه الناشر عليه .

٧٤٩ - (عجف) ١٣٨ س ٥ وببيروت
٢٣٤ والمخطوطة أيضاً : « قال مرداس بن
أذنة » مع إهمال النون والتاء في المخطوطة ،
وإنما هو « مرداس بن أدية » كما في
الصحاح . و « أدية » بهيئة التصغير هي
أمه أوجدته . وأبوه حدير ، أو عمرو بن
حدير . وكنيته مرداس أبو بلال . وهو
من الخوارج على معاوية ، خرج سنة ٥٨
وانظر الاشتقاق ٦٧ ، ٢١٩ وجمهرة ابن
حزم ٢٢٣ ونوادير المخطوطات ٢ : ١٧٠

٧٥٠ - (عقف) ١٦٠ س ٥ وببيروت
٢٥٤ والمخطوطة : « والعقافة خشبية في
رأسها حُجْنة يمدُّ بها الشيء » ، صوابه
« يحتجن بها الشيء » كما في التهذيب
١ : ٢٦٧ . وأصل الحجْنة حجْنة المغزل ،
أي صنارته المعوجة في رأسه .

٧٥١ - (عكن) ١٦١ س ١٥ وببيروت
٢٥٥ قول أبي ذؤيب :

فهن عكوف كنوح الكري
م قد شف أكبادهن الهوى

منشداً ؟ والصواب « للقطامي » كما في
المخطوطة ، كما أن البيت وهو :

وحسبتنا نزع الكتيبة غدوة
فيغيثون ونرجع السرعانا

للقطامي في ديوانه ١٨ . وانظر المقاييس
(غيف) ومجالس ثعلب ٥٢٥ .

٧٥٥ - (قرف) ١٨٧ س ٥ وببيروت
٢٨٠ والمخطوطة : وقال النابغة :

وقارفت وهي لم تجرب وباع لها
من الفصافص بالنمى سفسير

ومن عجب أن يسكت ابن منظور على
هذه النسبة الخاطئة ، وإنما البيت لأوس
ابن حجر في ديوانه ٤١ واللسان (سفسر
٣٧ ونم ٧٣) .

٧٥٦ - (قرقف) ١٩٠ س ٨ وببيروت
٢٨١ : « القرقف : طير صغار كأنها
الصعاء » . صواب ضبطه « القرقف »
بضم القافين كما في التهذيب والقاموس
ونص القاموس على ضبطه « كهدهد » .
وأما القرقف بفتححتين فهي الخمر .

٧٥٧ - (قعف) ١٩٥ س ٢ وببيروت
٢٨٧ والمخطوطة ، قول الراجز :
* يقفن باعاً كفراش الغضرم *

صوابه « الهوى » بتشديد الياء مع
الضم كما في التهذيب ، وكما سبق في
التصحیح رقم ١٥٩ والبيت من قصيدة
مرفوعة الروي مع التشديد ، وأولها :

عرفت الديار كرقم الدوا
ة يرقمها الكاتب الحميري

والهوى في البيت بمعنى المهوى ، أي
المحبوب . وهو على حذف مضاف كما
يقولون ، أي فقد المهوى .

٧٥٢ - (غرف) ١٧١ س ٢٥ و ١٧٢ س ٢
وببيروت ٢٦٥ والمخطوطة أيضاً : « وقال
عمرو بن لجأ » ، صوابه « عمر بن لجأ »
كما سبق في التصحيح رقم ٧٣١ .

٧٥٣ - (غرف) ١٧٢ س ١ وببيروت
٢٦٥ والمخطوطة أيضاً قول عمر بن لجأ :
* تهمزه الكف على انطوائها * .

وإنما هي « تهمزها » كما في المقاييس
(عزل) ؛ إذ أن الراجز يعني مزادة من
مزاد الماعز .

٧٥٤ - (غيف) ١٧٩ س ٢٥ وببيروت
٢٧٣ : « وأنشيد القطامي » . وهو من
التحريفات الخاطئة ، ومثي كان القطامي

صوابه « قاعا » بالقاف ، كما في التهذيب ١ : ٢٦٧ . وقد ورد على هذا الصواب في اللسان (غضرم) .

٧٥٨ - (قحف) ١٩٥ س ٨ وببيروت ٢٨٧ والمخطوطة كذلك ، قول الراجز :

اقتَعَفَ الجَلْمَةَ منها واقتَثَتْ

فإنما تقدحها لمن يرث

وواضح أن الكلام أمر لا إخبار ،

والصواب :

* واقتَعِثِ الجَلْمَةَ منها واقتَثِثِ *

كما ورد في التهذيب .

٧٥٩ - (قلف) ٢٠٠ س ٤ وببيروت

٢٩١ والمخطوطة : « القِلْفُ والقِنْفُ

واحد ، وهو الغرير واليَفْنُ إذا يبس » ،

صوابه « والتَّقْنُ » كما في التهذيب .

وليس لليَفْنِ هنا وجه ، فإن اليَفْنَ

الشيخ الكبير الفاني . وإنما المراد التقن ،

وهو الطين الرقيق يخالطه حمأة .

٧٦٠ - (كشف) ٢١٠ س ٢٠

وببيروت ٣٠٠ قول الشاعر :

فماذم حاديهم ولافال رأيهم

ولاكشفوا إن أفزع السرب صائح

ولاوجه للحادي هنا ، وإنما المراد مدح

القوم أنفسهم بالجود والحكمة والثبات

في القتال . والوجه « فما ذم حاديهم »

كما هو واضح في المخطوطة . والحادي :

المعطي ، حذاه حذواً : أعطاه . وفي

شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٤١٨ :

« فما ذم حاديهم » بالجيم ، وهي رواية

صحيحة أيضاً . والجدادى : السائل والمعطي

كذلك ، فهو من الأضداد . قال شاعر :

جدوت أناسا موسرين فما جدوا

آلا الله فاجدوه إذا كنت جاديا

وعجز هذا البيت في شرح القصائد

السبع هو : « ولا كشفوا إن أفزع الحمى

خائف » .

٧٦١ - (نزف) ٢٣٩ س ١٠ وببيروت

٢٣٦ قول قيس بن الخطيم :

تغترق الطرف وهي لاهية

كأنما شف وجهها نُزْفُ

والبيت من قصيدة له مطوية الضرب

كلها ، فالصواب « نُزْفُ » بضم الزاي

أيضاً كما في المخطوطة وديوان قيس .

وقد سبق الكلام عليه في التصحيح

٧٤٠

٧٦٢- (نوف) ٢٥٧ س ١١ وببيروت
٣٤٢ والمخطوطة أيضا :

ولدت ترابيه رأسها
على كل رابية نيف
لكن في المخطوطة « رأسها » بالنصب .

والصواب « وردت برابية رأسها » كما
في المقاييس (نيف) ، أي بلغت وأشرفت
عليها . وقد عنى أن رأس تلك الرابية
يطول رهوس غيرها من الروابي . وقارب
مصحح بولاق الصواب فقال : « لعله
ولدت برابية ، واحدة الروابي » .

٧٦٣- (وصف) ٢٧٢ س ١٧ وببيروت
٣٥٦ : « واتصف الشيء ، أي صار متواصفاً » .
والوجه « متواصفاً » على صيغة اسم المفعول ،
أي صار موصوفاً يصفه بعض الناس لبعض .
وقد وردت الصادمهلة الضبط في المخطوطة .

٧٦٤- (وظف) ٢٧٤ س ١ وببيروت
٣٥٨ والمخطوطة : « وسحاب أوظف :
في وجهه كالحمل الثقيل » ، والوجه
« كالحمل الثقيل » . والخمل ، بفتح
الخاء المعجمة وسكون الميم : هذب القטיפه
ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

والسحب توصف بأنها ذات هيدب ، وهو
ما يتدلى منها مثل الهدب ، كقول عمرو
ابن الأثم في المفضليات ١٢٦ :

تألق في عين من المزن وارق
له هيدب داني السحاب دقوق

وقول أوس بن حجر (ديوانه ١٥) :

دان مسف فويق الأرض هيدبه
يكاد يلمسه من قام بالراح

٧٦٥- (وقف) ٢٧٨ س ١٤ وببيروت
٣٦١ والمخطوطة : « أبو عبيد : الموقفان
من الفرس : فقرتا خاصرتيه » . صوابه
« أبو عبيدة » كما في التهذيب ، والنص
ثابت في كتاب الخيل لأبي عبيدة ص ٨٨-
٨٩ .

٧٦٦- (وقف) ٢٧٨ س ١٤ وببيروت
٣٦٢ والمخطوطة : « ثم يغلى على الغراء
بصدأ أطراف النبل فيجئ أسود لازقا »
والصواب « يغلى » كما في التهذيب .
يغلى عليه ، أي يوضع عليه . يقال علاه
على الشيء وعلاه عليه ، أي جعله فوقه .
ومنه ما أنشده الجاحظ في الحيوان ٦ : ١٥٣ :

وتبني له جيلان من نحتها الصفا
قصوراً تعالی بالصفيح وتكلس

٧٦٧- (وقف) ٢٧٩س ٢ وببيروت
٣٦٢ : « وأنشد :

* شيبا موقفا * »

وفي المخطوطة : « سيبا موقفا » بالسین
المهملة المضمومة ومع إهمال نقط ما بعد
الياء ، والصواب « شَبَّابًا » كما في التهذيب
على أن الذي في ديوان العجاج ٤٩٧ بتحقيق
عزة حسن :

كأن تحتى ناشطا مجأفا

مذرعاً بوشيه . موقفا

٧٦٨ - (وقف) ٢٧٩س ٣ وببيروت
٣٦٢ والمخطوطة ، قول الشاعر :

لها أمٌ موقفةٌ ركوبٌ

بحيثُ الرقوُ مرتعُها البريرُ

صوابه « وَكوبٌ » بالواو كما في
التهذيب وكما في اللسان (وكب ، رقا)
والكلام في وصف ظبية وخشفها . والمراد
بالو كُوب التي تمشي في دَرَجَان ، أو التي
تواكب ولدها وتلازمه . أمَّا الركوب بالراء
فلا وجه لها هنا . والظباء لا يركبها الناس .

٧٦٩- (أبق) ٢٨٣س ١٦ وببيروت

(ج ١٠ : ٣) والمخطوطة عند قول الشاعر :

ألا قالت بهانٍ ولم تابقُ

كبرتَ ولا يليقُ بك النعيم

« قال ابن بري : البيت لعامر بن كعب
ابن عمرو » . وصوابه كما في نوادر أبي
زيد ١٨ : « عامان بن كعب » أو « غامان
ابن كعب » . وانظر ابن يعيش ٤ : ٦٢ .

٧٧٠- (أبق) ٢٨٣س ٢٤ قول زهير :

القائد الخيل منكوبيا دوائرها

قد أحكمت حكيمات القد والأبقا

والوجه « دوابرها » بالياء كما في
المخطوطة وطبعة بيروت ص ٤ وديوان
زهير ٤٩ . ودائرة الحافر : مؤخره .
و « دوائرها » صحيحة في ذاتها مع مخالفتها
لرواية المخطوطة والديوان ، لكنها خطأ
في أداء الأصل . ودائرة الحافر : ما أحاط
به من الثنن ، وهي جمع ثنة بمعنى مؤخر
الرسغ . وقد وردت رواية « دوائرها » في
اللسان (حكم) .

٧٧١- (أفق) ٢٨٥س ٢٠ وببيروت

ه قول أبي وجزة :

ألا طرقت سعدى فكيف تأفقت

بنا وهي ميسانُ الليالي كسولُها

وردت كلمة « ميسان » في المخطوطة
مجردة من الضبط ، ووجه ضبطها
« ميسان » بكسر الميم وهي مفعال من

الوسن ، وهو النعاس . ومنه قول الطرماح :

كل مكسالي رقاد الضحى

وعنة ميسان ليل التمام

٧٧٢- (أفق) ٢٨٦ س ١١ وببيروت

٦ : « وأنشد لعمر بن قنعاص » . وفي

المخطوطة : « بن قنعاش » بالشين

وكلاهما خطأ ، والصواب « عمرو بن

قعاس » كما في الاشتقاق ٤١٢ ومعجم

المرزباني ٢٣٦ . وفي الاشتقاق : « ومنهم -

أى من مراد - عمرو بن قعاس بن

عبد يغوث الشاعر . وقعاس من التقاعس »

وفي اللسان (قعس) : « وعمرو بن

قعاس من شعرائهم » . وفي مستدركات

تاج العروس : « وككتاب : عمرو بن

قعاس بن عبد يغوث المرادى ، شاعر » .

٧٧٣- (أفق) ٢٨٧ س ١١ وببيروت

٧ والمخطوطة أيضاً : « والأفقة : المرقة

من مرق الإهاب » ، صوابه « من مرق »

كما في التهذيب . والمرقة بتسكين

الراء : الصوفة أول ما تنتف ، وقيل هو

ما يبقى في الجلد من اللحم إذا سلخ .

٧٧٤- (أيق) ٢٩٣ س ١٥ وببيروت

١٢ والمخطوطة قول الطرماح :

وقام المها يعقلن كل مكبّل

كما رُضُ أيقاً مذهب اللون صافن

صوابه « رُضن » بالصاد المهملة كما

في التهذيب وديوان الطرماح ١٦٤ واللسان

(صفن) ، كما أن وجه الرواية في

« يعقلن » هو « يُقْفِلِنَ » كما في الديوان

والمقاييس واللسان (صفن) . وفي اللسان

عند إنشاد البيت : « المها : البقر ،

يعنى النساء . والمكبّل ، أراد اليهودج .

يُقْفِلِنَ : يَسُدُّنَ . كما رُضن : كما

قيّد وألزق » .

٧٧٥- (بستق) ٣٠٢ س ١٢ وببيروت

٢٠ قول الأعرابي :

ولم يُسْتَبَّ ساكنها عشاء

بكشخان ولا بالقرطبان

صوابه « يَسْتَبُّ » بالبناء للمعلوم ،

كما في المخطوطة . واستبَّ القوم : سبَّ

بعضهم بعضاً . ولم أجد نصاً عليه في

اللسان والقاموس . لكن في المعجم الوسيط

« واستبوا : سبَّ بعضهم بعضاً » .

وورد في قول مهلهل في الحيوان ٣ : ١٢٨

أودى الخياز من المعاشر كلهم

واستبَّ بعدك يا كليب المجلس

٧٧٦- (بعق) ٣٠٤ س ١٤ وببيروت
٢٢ والمخطوطة قول رؤبة :
وجُود مروان إذا تدفقا
جُودٌ كجُود الغيث إذ تبَعُقا
الوجه « جُودٌ كجود » . والجُود ،
بالفتح : الواسع الغزير . والجود من
المطر : الذى لا مطر فوقه البتة . كما أن
الذى فى المخطوطة « وجود هرون » لكن
الذى فى الديوان ١١٤ : « وجود مروان »
كما فى المطبوعتين .

٧٧٧- (بلق) ٣٠٧ س ١٥ وببيروت
٢٥ قول امرئ القيس :
فليأت وسط قبابه بَلَقَى
وليات وسط قبيلسنه رَجَلَى
و « رَجَلَى » هى رواية الديوان ٢٠٤
وفسر الرجل فيه بأنه الرجال . لكن الذى
فى المخطوطة « رَحَلَى » بالحاء المهملة .

٧٧٨- (جبنثق) ٣١٧ س ١٥
وببيروت ٢٤ والمخطوطة . كذا وردت
المادة فى النسخ جميعها بتقديم الباء على
على النون فى رسم المادة ، وفى قوله :
« الجبنقة امرأة السوء » . وفى الشاهد
« بنى جبنثقة » نقلا عن التهذيب .

والذى فى التهذيب تقديم النون على
الباء . وكذلك هى فى القاموس . وقد
أهمل الجوهري هذه المادة .

٧٧٩- (جوق) ٣٢٠ س ٢ وببيروت
٣٧ والمخطوطة : « ويقال عدو أجوق
الفك ، أى مائل الشق » صوابه « مائل
الشدق » كما فى التهذيب والعباب .
وفى تاج العروس : « عدو أجوق الفك ،
أى مائل الشق . وفى العباب : الشدق » .

٧٨٠- (حقق) ٣٣٩ س ٧٢٦ وببيروت
٥٤ : « وفى حديث الزكاة ذكر الحِقِّقُ
والحِقِّقَةُ . والجمع من ذلك كله حُقِّقُ
وحقائق . ومنه قول المسيب بن علس :

قد نالنى منه على عدم
مثل الفسيل صغارها الحُقِّقُ

وفى المخطوطة : « حُقِّقُ » صوابهما
« حِقِّقُ » . والحِقِّقُ بكسر ففتح ، كما
فى كتاب سيبويه ٢ : ١٨٤ وهو القياس
الصرفى . وفى القاموس أن جمع الحِقِّقَةُ
« حِقِّقُ كعَنْب » . أما الحقائق فليست
جمع حِقِّقَةٍ ، بل هى جمع للجمع الذى
هو الحِقِّقُ . قال الجوهري فى الحقائق :
« وربما تجمع على حقائق مثل إفال

وأفائل « . وفي تاج العروس : « جمع
الحقق حُقق بضمّتين ككتاب وكتب » .
وقد عنى الشاعر بمثل الفسيل ما أعطاه
المدوح من إبل طوال . والفسيل :
صغار النخل .

٧٨١- (حقق) ٣٤١ س ٢٢ وببيروت
٥٧ : « فارتبعن فسمنت ولم يسمنا فقد
حقت واحدة ، ثم ضبعت ولم يضبعا
فقد حقت عليهما حقة أخرى ، ثم
لقحت ولم يلقحا . فهذه ثلاث حقات » .
وفي المخطوطة : « صعب » هكذا بإهمال
النقط والضبط وصواب ضبطها « ثم
ضبعت » . يقال ضبعت الناقة بالكسر
تضبع ضبعا بالتحريك ، وذلك إذا
اشتبهت الفحل .

٧٨٢- (حقق) ٣٤٢ س ٤ وببيروت
٥٧ والمخطوطة أيضاً قول أبي كبير
الهدلي :

هلاً وقد شرع الأسنه نحوها
مابين محتق بها ومشرم

والبيت في صفة حمير الوحش .
وقبله :

فاهتجن من فزع وطار جحاشها
من بين قارمها ومالم يقرم

وصواب أوله « وهلاً » كما في ديوان
الهدليين ٢ : ١١٥ وشرح السكري
١٠٩٣ . و « مشرم » صفة للطعن ،
ويروى : « مشرم » صفة للمطعون .

٧٨٣- (حقق) ٣٥٦ س ٢٣ وببيروت
٧٠ والمخطوطة قول ذى الرمة :

محاذيق تفضحى وهى عوج كأنها
نعوز . . . مستأجرات نوائح
وكتب مصحح بولاق : « قوله نعوز ،
كذا بالأصل على هذه الصورة مع بياض
بعده » . وصواب العجز وتماه كما في
ديوان ذى الرمة :

* بعوز الفلا مستأجرات نوائح *

٧٨٤- (حقق) ٣٦٩ س ١٩ والمخطوطة :
« قول عنتر يصف فرساً له » صوابه
« عنتره » كما صحح بذلك في طبعة
بيروت . ومن عجب أنها ترد في المخطوطة
« عنتر » بدون تاء . ولاريب أنه سهو
كتابي .

٧٨٥- (دردق) ٣٨٤ - ٣٨٥ وببيروت
٩٦ : « يقال مدسنى الرجل بلسانه
ومدقنى ودرقنى ، أى لينى وأصلح منى ،
يدرقنى ويمدسنى ويمدقنى » . صوابها

« مَلْسَنِي وَمَلَقْنِي وَدَرَقْنِي » و« يَدْرُقْنِي
وَيَمْلُسْنِي وَيَمْلُقْنِي » كما في التهذيب ،
وكما يفهم من المخطوطة ، إذ لا أثر فيها
للتشديد . وورد فيها « دَرَقْنِي » بفتح
الدال والراء الخفيفة ، كما ورد فيها
يملسنِي « بضم الميم بالسكون .

٧٨٦- (درdq) ٣٨٥س ٤ وببيروت
٩٦ والمخطوطة قول الأعشى :

وتعادى عنه النهارَ تواريه

٤ عراض الرمال والدرdaq
والصواب «والدرdaq» بالضم كما
في ديوان الأعشى ١٤٣ . والبيت من
قصيدة مرفوعة الروى أولها مبتور .
والبيت الثانى فيها :

يوم قَفَّتْ حمولهم فتولوا

قطَّعوا معهد الخليط فشاقوا

٧٨٧- (دق) ٣٨٩ : ١ وببيروت
١٠٠ : « وفي النوادر : هلال أدق ،
أى مستو أبيض ليس بمنتكَّب على أحد
طرفيه » . وفي المخطوطة : « بمنتكث »
بالتاء المثناة ، وصوابهما « بمنتكت »
بالتاء المثناة ، كما في التهذيب
وقال الجوهري : « يقال طعنه فنكته ،
أى ألقاه على رأسه فانككت هو » .

٧٨٨- (دق) ٣٩٥ س ٦ وببيروت
١٠٦ : « أبو عمرو : مريض دافق ،
إذا كان مدنفا محرَّضا » . وفي المخطوطة :
« محرصا » بالمهملة وبدون ضبط .
ولا وجه للتحريض هنا ، وصوابهما
« مُحرَّضًا » كما في التهذيب . والمحررض :
الذى أحرضه المرض فأفسد بدنه وأشنى
على الهلاك .

٧٨٩- (دهق) ٣٩٦ س ٢١ وببيروت
١٠٧ قول حجر بن خالد :

ونحلب ضرْسَ السيف فينا إذا شتا
سديفَ السنام تشتريه أصابعه
والكلمتان الأوليان من البيت مهملتا
الضبط في المخطوطة مع إهمال نقط
النون . والصواب « ويحلبُ ضرْسُ
الضيف » كما في الصحاح ، فإن الضررس
لا يحلبه الناس ، وإنما يستقطر هو الدسم
من الشحم على المجاز . والاشترام فى أ
البيت بمعنى الاختيار . وفي الصحاح « تستريه »
من قولهم : استرأى الشئ : استدعى
رؤيته .

٧٩٠- (ذوق) ٤٠٢ س ٧ وببيروت
١١٢ : « وذاق الرجل عسيلة المرأة ،
إذا أولج فيها إذاقة » . وفي المخطوطة :

« اداقة » ، والصواب « أدافه » كما في التهذيب . والأداف : الذكر . قال :
* أولجُ في كعشها الأدافا *
والأذاف ، بالذال المعجمة : لغة في الدال المهملة ، ولكن ما في المخطوطة يؤيد هذا التصحيح .

٧٩١- (رفق) ٤١٨ س ٥ وببيروت ١٢٦ : « وتخط عينها ويشد في ساقها ، خيط طويل » . والوجه « سباقها » كما في التهذيب والمخطوطة ، وإن كان في المخطوطة مهمل نقط الباء والياء . والسباقان : قيذان في رجل الجارح من الطير ، من سير أو غيره . ويقال سبقت الطائر ، إذا جعلت السباقين في رجليه .

٧٩٢- (رفق) ٤١٨ س ٩ وببيروت ١٣٢ والمخطوطة أيضاً :

ولم يدبغونا على تحلي
فيرمقُ أمرٌ ولم يعملوا
والصواب « ولم يُعملوا » كما في التهذيب . وفي اللسان « غمل (:
« أعمل فلانٌ إهابه ، إذا تركه حتى يفسد » . وأنشد للكميت :

كحائلة عن كوعها وهي تبتغي
صلاح أديم ضيعة وتغملُ

وقد ورد بيت الكميت محرفاً في اللسان (-لاً) فليصحح كما هنا .

٧٩٣- (روق) ٤٢٤ س ١٢ وببيروت ٣٢ والمخطوطة كذلك قول الطرمح :
عيناك غرباً شنه أسبلت
أرواقها من كين أخصامها

وكذا ورد في ديوان الطرمح ١٦٢ وفسره بقوله « الكين الموضع الأسفل » . ووجهه « كين » كما في التهذيب . والكين : شفة الدلو ، أو مائتي من الجلد عند شفة الدلو . وأخصام المزايدة : زواياها .

٧٩٤- (ريق) ٤٢٨ س ١٥ وببيروت ١٣٥ والمخطوطة وتاج العروس : « وقال هي لغة يمانية ثم فشئت في مصر » . وقد ضبطت في المخطوطة بسكون الصاد المهملة ، والصواب « في مضر » ، وهي التي تقابل اليمانية لاريب . ولا دخل لمصر - حرسها الله - في لهجات العربية . « في الجزء الثاني عشر من طبعة بولاق »

٧٩٥- (زلق) ٩ س ٢٢ وببيروت ١٤٤ والمخطوطة قول رؤبة :

* أو حادر الليتين مطوى الحنق *
وقد وردت الكلمة الأخيرة من الشطر

مهملة النقط في جميع النسخ . والصواب
« الحَنْقُ » كما في المقاييس وديوان
رؤبة ١٠٤ واللسان (جدر) . وكلمة
« حادر » مصحفة أيضا ، ووجهها
« جادر » بالجيم كما في المراجع السابقة
واللسان (جدر) ، يقال جدرت عنقه
جَدْرًا ، إذا انتبرت .

٧٩٦- (سملق) ٣٠ س ١٨ وببيروت
١٦٤ والمخطوطة ، قول رؤبة :
مَرَّتْ كَجِلْدِ الصَّرْصِرَانِ الْأَمْهَقِ
صوابه « مَرَّتِ » كما في التهذيب
وديوان رؤبة ١٨٠ . والمرت : القصر التي
لانبات فيها . وقبله :

إذا أنفأت أجوافه عن سملق *

٧٩٧- (سوق) ٣٣ س ٣ وببيروت
١٦٧ قول الشاعر :
وهل أنا إلا مثل سيقه العدا

إن استقدمت نجر وإن جبات عقر
والصواب « نجر » بالحاء المهملة كما
في المخطوطة والتهذيب وما في اللسان (جباً) .

٧٩٨- (سوق) ٣٤ س ١٨ وببيروت
١٦٨ والمخطوطة أيضاً قول الحماسي :

كشفت لهم عن ساقها
وبدا من الشر الصراح

بإسكان حرف الروى ، وهو ضبط
لايستقيم ، لأن المقطوعة مضمومة الروى ،
وأولها :

يابؤس للحرب التي
وضعت أراط فاستراحوا
فكيف يتصور أن يكون الروى
بالسكون في هذا البيت ؟ !

٧٩٩- (سوق) ٣٥ س ١٧ وببيروت
١٦٨ قول العجاج :

* هذكَ سَوَاقِ الحَصَادِ المَخْتَضِرِ *

صواب ضبطه « سَوَاقِ » بضم السين
في الشطر وفي التفسير بعده كما في
التهذيب والقاموس : وديوان العجاج ٧١
بيروت . وجاء بعده في التفسير أيضاً
« الحَضَادِ : بقلة . صوابه « الحَصَادِ » .

وليس لحضد مادة في العربية إلا في
قولهم « الحُضْدُ » لغة في « الحُضُّضُ »
كما في تاج العروس .

٨٠٠- (شبرق) ٣٨ س ١٤ وببيروت

١٧٢ : « والشبرقة من الجنبية » .
وفي المخطوطة : « الحنبه » بالحاء المهملة
مع إهمال الضبط ، وصوابهما « الجنبية »
بالجيم وسكون النون ، كما في التهذيب .
والجنبية : ما يتربل من النبات في الصيف .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع

تجارب أدبية صامتة

للأستاذ إبراهيم اللبان

انني حينما بدأت

أذوق الأدب ،

مررت بمشاعر نفسية

مختلفة ، لم أستطع لها

إذ ذاك تعليلا . بل الواقع أنني لم أفكر حينذاك

في تعليل ، وما هممت به ولا حاولته .

من أوائل ذلك أنني أحسست وأنا أتصفح

لأول مرة ديوان الحماسة بشعور غريب ، ولكنه

قوى وعميق ، عندما قرأت ثلاثة أبيات لمتهم

ابن نويرة يرثي بها أخاه مالكا ، وهي قوله :

لقد لامني عند القبور على البكا

رفيقي لتذراف الدموع السوافك

فقال : أتبكي كل قبر رأيت

لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت له : إن الشجا يبعث الشجا

فدعني فهذا كسله قبر مالك

فالحق أني ماكدت أستتم قراءة هذه القطعة
القصيرة حتى شعرت بالحزن ينساب في
نفسي فياضا متدفقا من هذه الأبيات المفعمة
بالأسى ، والشجن المنبعث عن قاب جريح
وكبد مصدوعة حرى .

ولقد كان لقوله : « فدعني فهذا كله قبر
مالك » وقع خاص في قرارة نفسي ، فقد
أحسست من ثنياه بأن الحزن قد طغا على
الرجل ، فغير معالم الكون أمامه ، حتى
لأصبحت القبور كلها قبرا واحدا هو قبر
أخيه مالك ، فكلها يرد إليه عازب الحزن
وينكأ قرح فواده .

كانت هذه تجربة جديدة فريدة ، ولكنني
لم ألبث حينما أمعنت في قراءة شعر المراثي
أن شعرت بنفس الأثر ، ولكن بدرجة
أقل وأضعف ، فكله شعر حزين باك ،
يفيض بالأسى العميق ، والحزن المتقد ، فيغمر
نفس القارئ ، ويحرك منه أعمق المشاعر .

وهنا تذكرت كيف كنت أشعر عند قراءة
شعر الوصف إذ كان لا يؤثر في نفسي أقل
تأثير ، بل الواقع أنه كثيرا ما كان يشير الملل
والسامة في نفسي ، وأطبق الكتاب وأضعه
جانبا .

كان هناك فارق ولكنى إذ ذاك لم أتبينه ،
ولم أعرف طبيعته ولا حاولت معرفتها .
زالت عنى إذن نظرتى الأولى إلى الشعر
التي كانت تسوى بين فنونه ، ولا ترى
الفروق العميقة القائمة بينها .
هذا كل ما حدث .

أما الذكرى الثانية التي لا تمحوها الأيام
فهي أنى تتبعت مرة قصة قديمة أظن أن اسمها
كان قصة «غريب وعجيب» وهي قصة قديمة
كانت تمتاز بقوة التصوير ، وكان خيالى إذ
ذاك فى عنفوان قوته ، فكنت فى أثناء قراءتها
أرى أشخاصها يمرون أمامى تباعبا يتحدثون
ويتحركون ثم يختفون .

أما البيئة التي كانت تجرى فيها حوادثها ،
فقد حلت محل الحقيقة المحيطة بى ، فأحسست
كأنى قد انتقلت إليها ، وأصبحت أعيش
فيها . أتردد بين دورها وقصورها ، وأسرح
البصر فى أشجارها وأنهارها ، وقد استهوتنى
هذه التجربة الساحرة حتى مالت الشمس إلى
الغروب . فلم أكف عن القراءة ، بل مضيت
فيها حتى تكاثف الظلام ، وأخذت معالم
الكلمات تفقد وضوحها . وتصعب قراءتها ، ثم
غمرها الليل بظلمته فاخفت تماما .

وحدث مثل هذا أو أكثر منه حينما وقعت
فى يدى بعد ذلك قصة منقولة عن الفرنسية
فى سلسلة مسامرات الشعب المعروفة ،
وأخذت أقرأها بنهم شديد فقد نقلتني هذه
القراءة من عالم الواقع إلى عالم الخيال مرة

أخرى ، ولكنها نقلتني هذه المرة إلى أوربا
بجملها وروعة مناظرها ، ووضعتنى بين
فريق من أهلها أشاركهم أفراحهم ، وأقاسمهم
آلامهم ومتاعبهم .

وقع هذا فى مطلع حياتى الأدبية ، فكانت
جدته وقوته تنتشلى من عالم الواقع الحامد الممل
إلى آفاق جديدة سعيدة . كنت فى الواقع أرتاد
عالم الأدب لأول مرة ، وأنتقل فى شعابه ،
وأطوف فى مدنه وقراه ، وبين جباله وأنهاره
وأثقل بين سكانه وقطانه . فيفتننى هذا أى
فتنة ، ويسحرنى أى سحر . كانت حياة جديدة
وعوالم مجهولة ، قد تفتحت أبوابها فجأة
أمامى فكنت كالسائح ، الذى يهبط أرضا
لا يعرفها ولا عهد له بها ، فيجول فيها
مأخوذاً بجدتها وجمالها .

ومنذ ذلك الحين اندفعت فى قراءة
القصص ، ولكن الحق أن المعارض التي أقامها
الكتاب ومؤلفو القصص لم تكن إذ ذاك تعنى
فى نظرى الا سلاسل متصلة الحلقات من
وقائع فردية ليس لها أية صبغة نظرية . فكان
الذى يعجبني منها هو الأخيلة البارعة التي
يحكوها المهرة من كبار المؤلفين والقصاص ،
وما تثيره حوادثها فى النفس من انفعالات
متتابعة مختلفة الأنواع . أما الأفكار والمبادئ
التي يرمى إليها هؤلاء الأدباء فقد كانت فى
أفق فكرى لم أصل إليه بعد .

كانت هذه التجارب أغنى بكثير من
تجربة شعر الرثاء وأشد منها إثارة .

ولكنى - كما قلت فيما سلف - لم أكن قد وقفت بعد على طبيعة القصة أو طبيعة الشعر أو حقيقة الأدب ، وإن كان هذا لم يحل دون تذوق محدود للشعر والأدب أعقب ولعا شديدا بالقصة بوجه خاص .

وفي هذه الحقبة من حياتي وقعت في يدي قصص عربية مختلفة أذكر « منها ألف ليلة وليلة » ، وقصة سيف بن ذي يزن .

وهكذا وجدته قد بدأت رحلتي الأدبية وأخذت أمارس التذوق الأدبي دون أن أعرف طبيعته ، أو أتبين حقيقته . وكان بطبيعة الحال تذوقا محدودا في سعته ومداه .

ولما بدأ النقد الأدبي يظهر في مصر جعلت أتبع ما يجيء به النقد ، وكان أكثره وأظهره إذ ذاك يدور حول نقد الأسلوب نقدا لغويا فلم يستملي هذا النوع من النقد ، وعرفت قصوره وعجزه عن الوفاء بحاجتي ، ولكنى مع ذلك تابعت ما يكتبه النقاد اللغويون لأنه أيضا كان تجربة جديدة في أفق جديد لم أكن عرفته من قبل ، فكان له لذة الجدة والطفرة ، وإن لم يكشف لي عن أغوار التجربة الأدبية التي كنت أتطلع إليها ، وأتسوق إلى معرفتها ، تشوقا صامتا ولكنه عميق شديد بصمم .

لم يتطور إذ ذاك معنى الأدب في ذهني تطورا يذكر ، ولم أر في القصة أو المسرحية بوجه خاص ، إلا سلسلة متتابعة من الحوادث الجزئية تروى بجملتها وطاقاتها ، وتقدم متاعا روحيا يستطيع الإنسان أن يشغل به وقت

فراغه ، ويمضي به بعض الوقت في لذة ساحرة ، قد يكون سبب سحرها وفتنتها هذه النقلة التي تخرجنا بها من دائرة المؤلف المملول إلى الحديد الطريف من الناس ، والمناظر ، والحوادث .

وأخيرا حدث التطور الكبير الذي كنت أترقبه فأضفى على الفن معناه ورفع من قدره ، وأعلى من مكانته ، وزاد حي له وولعى به .

كنت أقرأ الكتاب الذي كتبه الأستاذ ننتشيب يعرض فيه جمهورية أفلاطون عرضا مشوبا بالنقد والتحليل ، ولما وصل إلى ضرورة مبدأ الصديق للأثر الأدبي ، اضطر إلى الإفصاح الكامل عما يعنيه ، ففرق في الأثر الأدبي بين عنصرين : العنصر الأول هو الحادثة الجزئية التي تقدمها القصة أو المسرحية ، والعنصر الثاني هو المبدأ العام الذي تمثله هذه أو تلك . أما العنصر الأول فليس من الضروري أن يكون صادقا . فلا يضر الأدب ، أو يضع من قيمة الأديب أن تكون القصة مصنوعة من بدايتها إلى نهايتها ، والأمر بخلاف ذلك بالنسبة للعنصر الثاني الذي تعبر القصة عنه بحوادثها ، وأشخاصها ، فلا مكان للتساهل فيه ، فيجب أن يكون المبدأ العام الذي تتضمنه صحيحا صادقا .

وهنا تنهت لأول مرة في حياتي الأدبية إلى أن القصة ، وإن كانت تبدو شيئا جزئيا حدث لأشخاص معينين في ظروف خاصة ،

ومعاني الحياة، فتبدو له تقلبات الحياة وتصاريح الأيام ، وقد اكتست معانيها ، ونمت عن حقائقها . الأدب في الواقع ازدياد في العلم والفهم ومعرفة جديدة بالناس وبالحياة الإنسانية عامة .

وربما كان أطرف ما قمت به إذ ذاك أني عزمت على أن أختبر صحة هذا المبدأ فيما قرأته من قبل من قصص كثير متنوع . وأذكر أنه كان من بينه قصة البوساء لفكتور هيجو ، وقصة مجدولين ، ورواية الأب لأحد كبار كتاب فرنسا السابقين ، وقصة في سبيل التاج ومسرحية يوليوس قيصر . وقد أسفر اختباري لكل هذه الآثار الأدبية عن نتيجة إيجابية أثبتت لي بما لا يدع للشك مجالا أن الأدب الرفيع لا يعنى بالأشخاص والحوادث الجزئية إلا بمقدار أثرها في المهمة الأدبية العليا . وهي تصوير المبادئ العامة . فليس للحوادث الجزئية من قيمة أدبية سوى أنها تعطى هذه المبادئ العامة لحما وعظما ، تعطىها جسما تحل فيه ، فتخرج بذلك من غموض التجريد إلى نور الواقع المعروف المأنوس .

ولا أحب أن أعرض كيف امتحنت هذا المبدأ في كل هذه الآثار التي أشرت إليها من قبل بصورة دقيقة مفصلة ، ولكنني سأكتفي ببعضها .

فمثلا حينما فكرت في مجدولين بدا لي أن هدف المؤلف هو أن يقدم صورة واضحة لطبيعة الفتاة المرححة ، التي تؤثر جو المرح

فإنها في الواقع ترمى إلى ما هو أبعد من هذا ، وأجل وأسمى وأعلى مكانة وقدرا ، فهمتها الحقيقية هي أن تصور للقارئ فكرة عامة ، أو تبرز له في مجرى الحوادث التي تعرضها ناموسا إنسانيا ، أو حقيقة اجتماعية أو كونية ، ولازلت إلى هذه الساعة أذكر الأثر النفسي العميق الذي تركته هذه النظرية في نفسي حينما اطلعت عليها لأول مرة .

كان هذا في الواقع كشفا أدبيا كبيرا أثر في فهمي للفن تأثيرا عميقا فكان أول ما تنبهت إليه أن الأشخاص والحوادث ليست صميم الفن أو الهدف الأعلى للفنان، بل الواقع أن الانفعال نفسه ليس أيضا إلا أمراً ثانويا . ثم مضيت أفكر، واستقر رأيي على أن الفنان الذي لا يلوح بفنه إلى فكرة عامة لا يمكن أن يدخل في عداد كبار الفنانين . وأن قارئ القصة أو المسرحية ، الذي يقف عند أشخاصها وحوادثها، ولا يلمح المغزى العام لها، لا نصيب له من رسالتها ، بل الواقع أنه لم يتذوقها حق تذوقها .

وهنا عرفت أني كنت مخدوعا في حياتي الأدبية السابقة ، فإني في الواقع لم ألمح المعنى العام للآثار الأدبية التي قرأتها ، وإنما لوت بمنظرها وأشخاصها وحوادثها لخوا خاليا من الفهم . فالأدب تفسير للحياة ، وإبانة عما تنطوي عليه وقائعها من مبادئ وأفكار ، ونواميس عامة . ومهمته الكبرى أن يمنح القارئ المتذوق عينا يرى بها حقائق الأشياء

واللهو والصاحب - مع ما يرافقه من استغلال وعدم إخلاص - على الحب العميق الصامت ، كما تكشف عن طبيعة الرجل المخلص حينما يعامل بغدر وعدم إخلاص .

أما مسرحية يوليوس قيصر فهي في الواقع عرض لجزء التاريخ من بعض نواحيه ، فهي ترينا أن القائد المنتصر في كل مكان يطمح إلى السلطة العليا تحت تأثير الإعجاب والملق ، وأن الأحرار يشعرون إذ ذاك بالخوف على حريتهم ، فيكيّدون له حتى لا يفجعهم فيها .

أما قصة الأب فتعرض علينا - في صورة واقعية واضحة - الأثر المحزن الذي يترتب على حياة موقوفة على فكرة الأبوة وحدها . فهذا تاجر مثر جمع ثروة طائلة وليس له إلا ابنة واحدة يحبها بكل قلبه ، وبخاصة بعد وفاة أمها ، ومن ثم وقف كل حياته على إسعادها ، فأفسدها بالتدليل ، ودمر نفسه و ثروته ، وأتعس ابنته .

وإجمال القول أن التجربة التي قمت بها قد أسفرت عن نجاح تام وأقنعتني بأن للأديب رسالة تحملها قصصه أو مسرحياته ، وهي في العادة فكرة عامة أو مبدأ عام تتضمنه الوقائع والحوادث ، ويشع من خلالها .

والأديب الحق هو الذي يتخذ من الأدب وسيلة لشرح معاني الحياة والكشف عن نوااميس الاجتماع . وهذا هو الذي رفع كثيرا من الكتاب في الماضي والحاضر إلى منزلة

معلمى البشرية وهدايتها : ومقياس نجاح الأديب هو ألا يتخذ من عرض الحوادث الفردية غاية لفنه بل يتخير من طوفان الحياة الإنسانية المتدفق ما ينطوى على مغزى عام ثم يعكف على إبراز هذا المبدأ العام حتى يصبح جليا واضحا للعيان ، فيعطى المتذوق بذلك عينا يرى بها ونظرا ثاقبا ، وقلبا واعيا وعلما جديداً بالناس والحياة :

وهكذا استطعت في تجارب أدبية متعاقبة أن أدرك أن الأدب يتركب من عناصر ثلاثة هامة ، وتتجلى هذه العناصر في القصة في أوضح صورها :

وزبما كان أظهر عناصر القصة هو الحوادث الجزئية والأماكن والأشخاص وما يثيره ذلك من خيال قوى رائع يفوق الواقع في بعض الأحيان ، وهذا هو العنصر الذي يستميل إليه الأطفال وغير المثقفين ، وبه يقنعون . وهو عنصر يخلق عالما آخر كثيرا ما يهرب إليه بعض الناس إذا آلمهم الواقع بشدائده وآلامه وحرمانه ، فيجدون فيه بعض الراحة والرضا :

ولكن هذا العنصر يقوم بدور هام آخر فهو أداة إثارة الانفعال بكل ضروبه :

وعنصر الانفعال في الواقع ضرورى لتكوين الأدب وتذوقه . فالقصة الباردة أو القصيدة الفاترة لا تلتقي من أحد حبا ، ولكن إثارة الوجدان القوى العنيف يقابل في بعض الأحيان بالرضا والارتياح :

أما العنصر الخيالي الذي ينقل الشعر إلى حدود تتأخر حدود العلم فهو ظهور الأفكار العامة أو النواميس الاجتماعية والإنسانية من ثنايا القصص والأدب عامة ، فإن هذا يرفع الأديب إلى مقام الهداية والإرشاد العام ، وتعليم البشرية وتثقيفها .

وهكذا ما زلت أتنقل من تجربة إلى أخرى فأستكشف من واحدة عنصراً من عناصر الأدب في صورة غامضة غير محددة ، ثم أغير في تجربة أخرى على عنصر ثان فثالث ، وقد كانت كلها تجارب تمهيدية غامضة ، بل الحق أنها كانت مجرد إحساسات مبهم لم تصل إلى درجة مرضية من الدقة والوضوح ، إلا حينما تسنى لي أن أقرأ بعض كتب النقد في اللغة الإنجليزية وبخاصة كتاب (بعض أصول النقد الأدبي) الذي كان له في نفسي وقع عميق حملني على نقل خلاصته إلى اللغة العربية . وقد أعانني هذه التجارب التي مررت بها في أثناء استكشافي لمعنى الأدب على فهم مواقف المختلفة إزاء كثير من ضروب الأدب . فقد كنت أتوق إلى معرفة سبب إثاري لشعر النسيب والرتاء ونفوري من شعر الوصف والمدح ، وكنت أتطالع إلى معرفة سبب استغراقي في قراءة كتاب ألف ليلة وليلة أو قصة الطفلة المفقودة ، وإلى فهم كثير من

الحالات النفسية التي كانت تتوارد عليّ فنسى في أثناء قراءة كتب الأدب ، فأصبح ذلك كله بعد هذه الاستكشافات واضحاً مفهوماً . فقد عرفت أن الذي استماني إلى النسيب والرتاء وبغض إلى الوصف والمدح وفرة عنصر الوجدان في الفنين الأولين والحناف العاطفي الذي يعانیه من يقرأ الوصف أو المدح .

وتبينت أن الخيال القوي هو سبب ولعي بكتاب ألف ليلة وليلة ، وأن هذا الكتاب وإن لم يكن له رسالة فكرية واضحة فله من سحر الخيال وجماله وبهائه ولألائمه ، ما جعله فتنة أدبية عالمية في الشرق والغرب .

أما الناحية الفكرية من الأدب ، فقد جاءني متأخرة جداً ، ولكنها كانت سراجاً منيراً كشف لي عن أخص خصائص الأدب وأعلى مميزات ، فتمكنت أن أرى في ضوءها أن مهمة الأدب الحقيقة ليست هو الخيال ولا حركة الوجدان وثورة الانفعال ، وإنما هي نقد الحياة والكشف عن المعاني التي تكمن في الحوادث والوقائع حتى العادية منها ، وأحسست إذ ذاك بأن الأديب يتولى عملاً كريماً ويتبوأ إلى جانب زميله العالم مقعد التعليم والتثقيف والإرشاد والتوجيه .

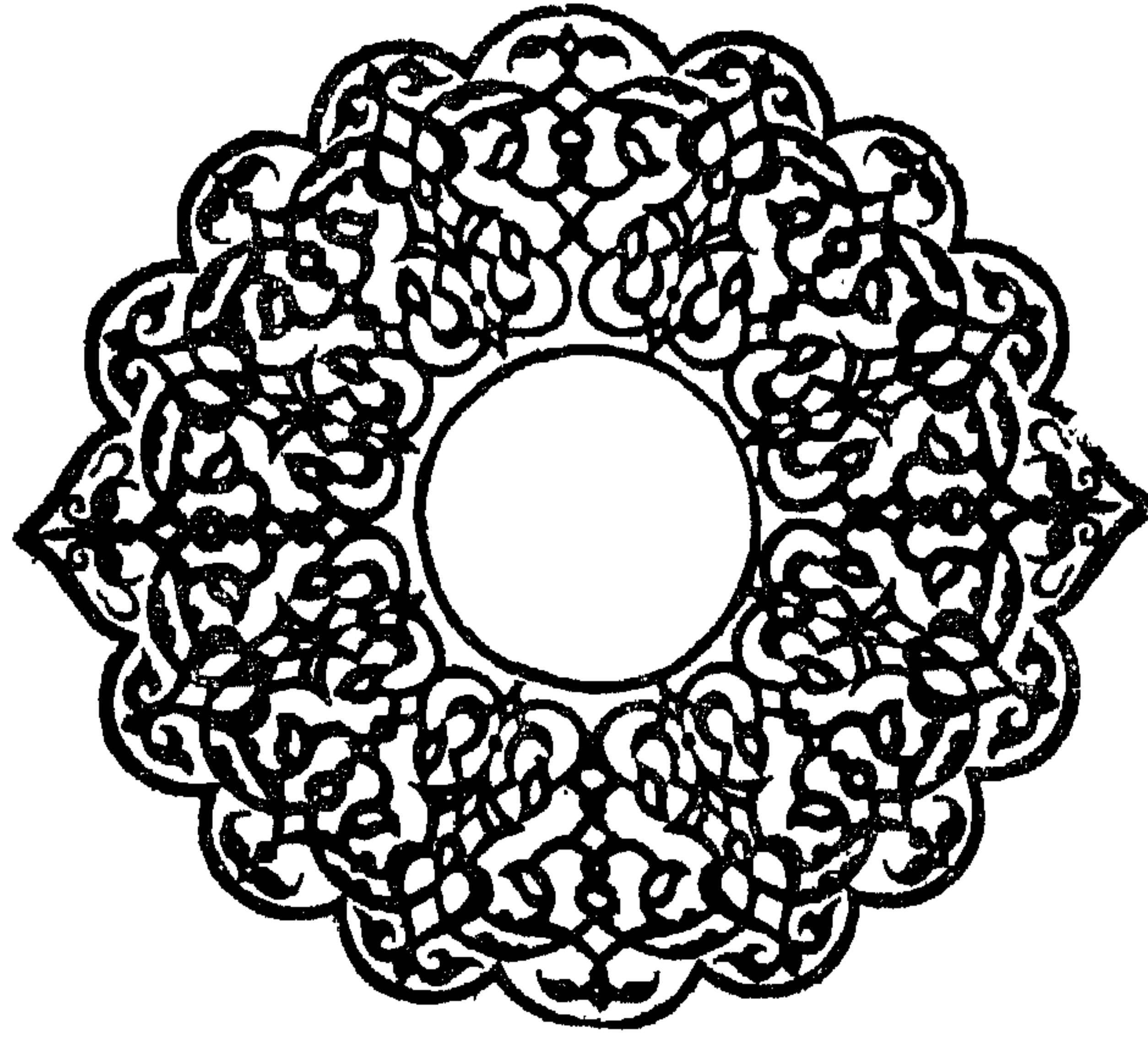
لنواميس الحياة تصويراً صادقاً ، إلا أنها
أبيات قليلة ، ولا تمس من جوانب الوجود
والحياة والأعماق البعيدة الغور التي يصل إليها
شعر أبي العلاء .

هذه لمحة قصيرة من بعض تجاربي الأدبية
العامّة الصامتة ، أوردتها كما هي ، على بعد العهد
بها ، ولعلها تمثل أيضاً تجارب الكثيرين غيري .

ابراهيم عبد المجيد اللبان
عضو المجمع

ولم أجد شعر الفكرة الذي يلتقي الضوء
الساطع على معالم الكون الكبرى ، وطبيعة الحياة
الإنسانية ، وصلات الأفراد والجماعات ،
وحقيقة العتائد وضروب المذاهب إلا في
لزوميات أبي العلاء المعري ، فهمت بها حُبّاً
منذ ذلك الحين إلى الآن .

صحيح أن لزهير بن أبي سلمى وللمتنبي
وغيرهما أبيات تنطوي على مبادئ عامة
مستمدة من التجارب الإنسانية ، ومصورة



تخریج نصوص أرسططالية في كتاب الحيوان للجماظ للدكتور طه الجاهري

وهذا الذي يشير إليه الجاحظ يقع في الفصل الثاني من الكتاب الثاني ، من تاريخ الحيوان ، في سياق كلامه عن أقدام الحيوان ، ما هو مشقوق منها وما هو غير مشقوق ، إذ يقول : « والخنزير له الهيئتان ، إذ يوجد في إيليريا Ilyrie وفي بيونيا Pénie خنازير ذات ظلف واحد^(٤) » .

وقد جاء ذلك في الترجمة العربية القديمة مجهولة الصاحب ، الموجودة قطع منها في المتحف البريطاني باسم « معرفة طبائع الحيوان البري والبحري » بهذه الصورة :

« فأما جنس الخنازير فمختلف ، لأنه في البلدة التي تسمى في اليونانية اللوريا ، والتي تسمى بأونيا ، وفي بلدان أخرى ، خنازير ليس لها في كل رجل إلا ظلف واحد^(٥) » .

الجزء الرابع

(٢)

٤٦ - قال الجاحظ : « وقال صاحب المنطق : أن الضباع تأكل النمل أكلا ذريعا . وذلك أن الضباع تأتي قرية النمل ، في وقت اجتماع النمل ، فتلحس ذلك النمل بلسانها بشهوة شديدة واردة قوية^(١) »

ولم أجد هذا في كل ما وقفت عليه من كلام أرسطو عن الضبوع . وإنما ذكر النمل على أنه طعام للذب في الفصل الثامن من الكتاب السابع من تاريخ الحيوان^(٢) . ويلاحظ أن حديثه عن الذب في ذلك يقع في عقب حديثه عن الضبوع :

٤٧ - قال الجاحظ : « وباب آخر مما ذكر صاحب المنطق ، فزعم أن من الخنازير ماله ظلف واحد^(٣) » .

(*) انظر الجزء التاسع والعشرين من المجلة .

(١) ج ٤ ، ص ٣٤ .

(٢) ج ٤ ، ص ٥٢ .

(٥) ورقة ٢٠ - ٢١ .

(٢) v. III, p. 41.

(٤) v. I, p. 115.

٤٨ - قال الجاحظ ، بعد النقل السابق عن صاحب المنطق : « قال : والانسان يلقى أسنانه وكذلك الحافر والحف . قال : والخنزير لا يلقى أسنانه البتة (١) » .

وقد جاء هذا أكثر تفصيلا ، في الفصل الثالث من الكتاب الثاني من تاريخ الحيوان ، على هذه الصورة : « والإنسان يفقد أسنانه كما تفقدها أيضا حيوانات أخرى ، كالحصان والبغل والحمار ، والإنسان يفقد أسنانه الأمامية ، ولكن ليس هناك حيوان يفقد أضراسه ، والخنزير لا يفقد أى سن من أسنانه (٢) » :

٤٩ - قال الجاحظ - بعد أن استطرد ، على طريقته ، إلى ذكر بعض المعارف العربية والأدبية المتصلة بسقوط الأسنان ، وبموضعها في بعض الحيوان - : « قال : وليس يجمد مرق لحم الحيوان السمين ، مثل الخنزير والفرس . وأما ما كان كثير الثرب ، فرقته يجمد ، مثل مرق لحم المعزى (٣) » .

ويقابل هذا النص في تاريخ الحيوان ، لأرسطو ، ما جاء في الفصل الثالث عشر من الكتاب الثالث ، حيث جعل الكلام عن دهن الحيوان وشحمه ، من قوله :

« والمرق الذى يتخذ من الحيوان السمين

لا يجمد ، مثل الفرس والخنزير ، وعلى العكس من ذلك المرق المتخذ من لحم الحيوان ذى الشحم ، فانه يجمد ، مثل مرق الضأن والمعزى (٤) » :

ومقارنة النصين تثبت من الاتفاق بينهما ما لا يدع شكاً في أن مرجع الضمير في كلمة « قال » عند الجاحظ هو صاحب المنطق : ٥٠ - قال الجاحظ ، في عقب النص السابق : « قال : والخنزير الذكر يقاتل في زمن الهيج ، فلا يدع خنزيراً إلا قتله ، ويدنو من الشجرة ويدلك جلدته ثم يذهب إلى الطين والحماة فيتلطخ به ، فاذا تساقط عاد فيه :

قال : وذكرورة الخنازير تطرد الذكورة عن الإناث ، وربما قتل أحدهما صاحبه ، وربما هلكا جميعا ، وكذلك الثيران والكباش والتيوس في أقطيعها ، وهى قبل ذلك الزمان متسامة . والجمل في تلك الحالة لا يدع جملا ولا انسانا يدنو من هجمته ، والجمل خاصة يكره قرب الفرس ويقاتله أبدا . ومثل هذا يعرض للذئبة والذئب : والأسد ليس ذلك من صفاتها ، لأن بعضها لا يأوى إلى بعض ، بل ينفرد كل واحد بلبوئته : وإذا كان للذئبة الأنثى جراء ساءت أخلاقها وصعبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوء خلقها في ذلك الزمان :

(٢) v. I, p. 129.

(٤) v. I, p. 288.

(١) ج ٤ ، ص ٥٢ .

(٢) ج ٤ ، ص ٥٣ .

والفيثاؤون يحمونها النزو ، لأنها إذا نزت
جهلت جهلا شديدا ، واعتراها هيج لا يقيم
له . وإذا كان ذلك الزمان أجادوا عقله ،
وأرسلوه في الفيلة الوحشية . فأما الخنزير
والكلب فإنهما لا يجهلان على الناس لمكان
الألفة .

قال : وزعم بعض الناس أن إناث الخيل
تمتلئ ريجا في زمان هيجها ، فلا يباعدون
الذكورة عنها ، وإذا اعتراها ذلك ركضت
ركضا شديدا ، ثم لا تأخذ غربا ولا شرقا ،
بل تأخذ في الشمال والجنوب ، ويعرض مثل
هذا العرض لإناث الخنازير ؛ فإذا كان
زمن هياج الخنازير ، تطأطي رعووسها ،
وتحرك أذناها تحريكاً متتابعاً ، وتتغير أصواتها
إذا طلبت السفاد ؛ وإذا طلبت الخنزيرة
السفاد بالتبول متتابعاً^(١) .

ويقع نظير هذا القول عند أرسطو في
الفصل السابع عشر من الكتاب السادس ،
من تاريخ الحيوان ، بعد مقدمة قصيرة أشار
فيها إلى ما ذكره قبل عن سفاد الحيوانات
البيوضة ، لينتقل إلى الكلام عن سفاد ،
الحيوانات الولودة ، وبعد أن نبه إلى ملاحظة
عامة ، وهي أن السفاد يثير عند الحيوان
جميعه رغبة عارمة ، ولذة كبرى ، في
الاستسلام له ؛ وأن الأنثى في حملها الأول
لا تكاد تطاق ، وكذلك الذكر في أوان

السفاد ، وأن الخيل مثلاً يعرض حينئذ بعضها
بعضاً ، وتصرع فرسانها ، قال :

« والخنزير الوحشية تصير في ذلك الوقت
غاية في العنف ، بالرغم من أن السفاد ينهكها
كثيراً ، فينصرف بعضها إلى قتال بعض
قتالاً فظيماً ، وقد تدرعت له مقدها ، وهيأت
جلدها ليكون أقسى ما يمكن وأغلظ ؛
إذ تحتك بالأشجار وتتمرغ في الوحل مراراً
كثيرة ، ثم تدع الوحل يجف عليها ، ثم
تقتتل بكثير من الحدة حين تخرج من بيوتها ،
حتى ليحدث كثيراً أن يموت المتقاتلان معاً .
وليست الثيران والكباش والثيروس أقل من
هذا ثوراناً ، وقد كانت تحيا أول الأمر
متسامة في مرعى واحد ؛ فإذا كان وقت
السفاد افترقت وأخذت في قتال عنيف .
بل إن الحمل نفسه يصبح في ذلك الوقت
صعب القياد ، ولا يعود يطيق اقتراب إنسان
ولا جمل آخر . وأما الفرس فعروف أن
الحمل في خصام دائم معه .

وتخضع الوحوش لهذه التأثيرات .
فالدببة والذئاب والأسود تنفر ، في ذلك
الوقت ، من كل من يقرب منها . أكثر
مما تفعل في أي وقت آخر . وإذا كان قتالها
بعضها بعضاً أقل من غيرها ، فذلك لأنها
ليست من الحيوانات التي تعيش قطعاناً . وإناث
الدببة تسوء أخلاقها إذا كان لها صغار ،
وكذلك إناث الكلاب ليست أقل منها في ذلك

(١) ج ٤ ، ص ٥٤ - ٥٥

من أجل جرائها ؛ والفيلة أيضا تصبح شديدة
 النفرة في إبان السفاد . والفيالون في الهند
 يعلمون ذلك جيدا ، حتى إنهم ، فيما يقال ،
 لا يتركونها تنزرو على الإناث ، لأنها إذ تصبح
 في ذلك الوقت مهتاجة تقوض أكوادهم
 الرديئة البناء ، وتسبب لهم كثيرا من الحسائر .
 ويقال إن من الممكن تهدئتها بتقديم طعام
 موفور لها ، كما يجعل لها جانبها فيلة أخرى
 تذللها وتخضعها ، وقد علمت كيف تضربها
 لترويضها . والحيوانات التي تستطيع أن
 تتسافد في أكثر الأحيان ، دون ارتباط
 بفصل معين ، وعلى سبيل المثال الحيوانات
 التي تعيش مع الإنسان ، كالحنازير والكلاب ،
 أقل خضوعا لهذه الانفعالات ، كما هو واضح ،
 بسبب غلبة تدانيتها ويقال إن
 إناث الخيل تهيجها الريح في تلك الفترة ،
 وهذا هو الذي يجعلهم في جزيرة كريت
 لا يمنعونها من أن ينزى عليها فإذا نزى
 أخذت في الابتعاد عن سائر الخيل . ويقال إذ
 ذلك إن لديها داء هياج الحنازير ، من أجل أنه
 يصيب إناث الحنازير البرية . وهي لا تجرى
 (في ابتعادها) نحو الشرق ولا نحو الغرب ،
 وإنما تجرى دائما نحو الشمال والجنوب
 وفي أوقات السفاد تحو الأفراس بعضها على
 بعض أكثر مما تفعل عادة ، وتحرك أذناها
 في كل لحظة ، ويتغير صوتها تغيراً شديداً عن

صوتها في غير ذلك الوقت . وكذلك يسيل
 من أعضائها التناسلية سائل يشبه منى الذكور ،
 ولكنه أخف منه كثيراً وتبول
 الأفراس بولا كثيراً متتابعاً عند ما تكون
 مهتاجة *quand elles sont en chaleur* (١) .

والنصان ، فيما نرى ، يتفقان في معظم
 المعاني والعبارات ، وإن كانا يختلفان ،
 بطبيعة الحال ، في بعض المواضع . والأمر
 في ذلك يرجع - كما قلنا غير مرة - إلى
 الحالات التي تعرض لها النص هنا وهناك .
 وقد يرجع إلى ما في النص اليوناني من غموض
 تختلف في تبينه وتأويله الأفهام ، كما نرى
 في هذه العبارة من النص الخاطي : « وزعم
 بعض الناس أن إناث الخيل تمتلئ ريجاً في
 زمان هيجها » . فالعنى غامض . وحين عبر
 المترجم الفرنسي عن ذلك باهتياج الريح لها
 قال في تعليقه : إن الكلمة اليونانية غير واضحة
 تماماً ، وأنه غير واثق من المعنى الذي اختاره
 لها ، كما ذكر أن أوبرت وفيمر - *Aubert et-*
Wimmer قد جعلاً ترجمة هذه العبارة
 هكذا : « ويقال إن إناث الخيل تكون في
 ذلك الوقت منتفخة *Aufgolaht, gonflées* .

وهذه الترجمة ، كما هو ظاهر ، أقرب إلى
 الترجمة العربية . لأن غير ذلك من المواضع
 التي أشار سانتيلير إلى غموضها .

(١) v. II, p. 339-344.

الشعير ، ولكن حين تضع الأنثى يجب أن تعطى الشعير المغلى»^(٢) .

وإذا كانت الترجمة العربية ، كما أوردتها الحاحظ ، قد أغفلت بعض التفاصيل التي جاءت في الترجمة الفرنسية ، فإن النصين يتفقان بعد ذلك إلى حد غير قليل :

على أن مقارنة النصين يمكن أن تظفرنا ببعض النتائج في تحرير النص العربي ، وفي تحقيق النص اليوناني في بعض نشراته وترجماته .

فلعلنا بهذه المقارنة نستطيع أن نقترح تصحيح النص العربي في قوله : « وإذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح » فإن كلمة « تنزع » نابية لا تكاد تحقق معنى . وأكبر الظن عندنا أنها محرفة عن « لم ينز عليها » ، كما يقتضيه المعنى في الأصل المترجم إلى الفرنسية . وهو تحريف قريب المأثي . .

ومن ناحية أخرى يستطيع النص العربي أن يفصل في بعض الخلافات التي ثارت حول النص اليوناني ، في بعض أصوله . وذلك في قوله : « وإناث الحنازير تحمل من نزوة واحدة » ، فقد ذكر سانتيلير في هوامش ترجمته أن القراءة الشائعة تذهب إلى عكس ذلك ، فهي تجعل هذه الجملة في صيغة النفي ، وقد جاءت كذلك في بعض المخطوطات ، وقبل هذه الصيغة بعض الناشرين ، فيكون

٥١ - قال الحاحظ ، في عقب النص السابق : « قال : وإناث الحنازير تحمل أربعة أشهر ، وأكثر ما تحمله عشرون خصوصاً : وإذا وضعت أجراء كثيرة لم تقو على رضاعها وتربيتها . قال : وإناث الحنازير تحمل من نزوة واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح ، وترخي أذناها ، فإذا فعلت ذلك تكتفي بنزوة واحدة . ويعلف الذكر الشعير في أوان النزو . ويصالح اللانثى »^(١) .

ونظير هذا النص في تاريخ الحيوان لأرسطو يقع في الفصل الثامن عشر من الكتاب السادس ، قال :

« والحنزيرة تحمل أربعة أشهر ، وأقصى ما تحمله عشرون صغيراً . إلا أنها حين تضع عدداً كبيراً لا تستطيع تربيتها جميعاً . . . وهي تحمل من نزوة واحدة ، ومع ذلك فإنه ينبغي أن ينزى عليها أكثر من مرة ، لأنها تلتقى بعد النزو ما يسمى أحياناً « كابري Caprie » وحين تكون الحنزيرة مهتاجة - en chaleur - يجب ألا يقدم إليها الذكر حالاً ، بل يجب الانتظار حتى ترتخي أذناها ، فما لم تفعل فإنها تكون ما تزال مهتاجة ، فاذا سفدها الذكر وهي في شدة هيجها ، كفت نزوة واحدة ، كما قلنا . وفي أوان نزو الذكر يحسن أن يعطى

المعنى على ذلك : « وإناث الخنازير لا تحمل من نزوة واحدة » . وهنا نرى النص العربي الجاحظي يرجح قراءة سانتيلير على القراءة الأخرى الشائعة ، ويؤيد رأيه في أن هذا النفي إنما كان من إقحام بعض من قصد ، بزعمه ، إلى تصحيح النص .

كما تثير هذه المقارنة مسألة أخرى يقف فيها النص العربي موقف الفيصل . فقد اعتبر أوبرت وفيمر العبارات التي تبدأ بقول أرسطو « وحين تكون الخنزيرة مهتاجة : . . » إلى آخر الفصل موضوعاً على الأصل ، غير صحيحة النسبة إليه ، كما يذكر ذلك سانتيلير في حواشيه ، قائلاً إنهما يريانها زيادات أقحمها على النص الأصلي يد غريبة . أما سانتيلير فإنه لا يرى ما يزعمانه من التغيير في النص واضحاً الوضوح الذي يحمله على الذهاب مذهبهما .

ووجود هذه العبارات في الترجمة العربية التي صدر الجاحظ عنها ، بعضها في هذا النص وسائرهما في النص التالي ، دليل على وجودها في مخطوطة أخرى غير المخطوطات المعتمدة عليها في تلك الترجمات الأوروبية ، وهي لا ترجع إلى ما قبل القرن العاشر للميلاد .

٥٢ - قال الجاحظ : « قال : ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك ، وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاماً » (١) .

وإذا كان هذا النص يقع ، في حيوان الجاحظ ، مفصلاً عما قبله بفقرة عن مدد حمل بعض الحيوان ، فنظيره في تاريخ الحيوان لأرسطو متصل بنظير ما قبله ، وبه يتم الفصل الثامن عشر من الكتاب السادس . قال :

« ويؤكد بعض الأشخاص أن الخنزيرة إذا فقدت إحدى عينيها فإنها عادة تموت موتاً عاجلاً ، ولكن إناث الخنازير تصل ، بصفة عامة ، إلى خمسة عشر عاماً تقريباً ، وبعضها يصل إلى نحو العشرين » (٢) .

٥٣ - وهذا النص الذي نورده في هذه الفقرة يجيء في حيوان الجاحظ متصلاً بالنص السابق ، كأنه تنمة له ، وليس كذلك عند مقارنته بنظيره في تاريخ الحيوان لأرسطو ، كما جاء النص السابق منفصلاً عما قبله ، وهو متصل به واستمرار له . وربما كان مسبوقاً بكلمة « قال » فسقطت :

قال الجاحظ : « والخنزير ينزو إذا تم له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر . وفي بعض البلدان ينزو إذا تم له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر ، ولكن أولادهما لا تجيء كما يريدون . وأجود النزو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين » (٣) .

v. 11 , p. 351-52.

(٢)

(١) ج ٤ ، ص ٥٦ .

(٢) ج ٤ ، ص ٥٦ .

ويرجع هذا عند أرسطو إلى الفصل الثاني عشر من الكتاب الخامس ، من تاريخ الحيوان . قال :

« ويمكن أن يتسافد الخنزير ، الذكر والأنثى منه ، لثمانية أشهر ، فتلد الأنثى لسنة ، لأنه بذلك تنتهي مدة الحمل . والواقع أن الذكر يستطيع أن ينزو لثمانية أشهر ، ولكن صغاره تكون ضعافاً جداً إذا هو نزا قبل أن يبلغ تمام عامه الأول . وفوق هذا فان وقت السفاد ليس واحداً - كما قلنا - في كل مكان ففي بعض البلاد يستطيع الذكر والأنثى أن يتسافدا لأربعة أشهر ، وإذن فهما يستطيعان أن ينتجا ويربيا صغارهما لسنة أشهر . وفي أماكن أخرى تبدأ الخنازير النزو في الشهر العاشر ، وتكون أقوى ما تكون إلى السنة الثالثة » (١)

وإذا كان النصان مختلفان هنا في غير موضع ، فلا ينبغي أن يغيب عنا ما في نص سانتيلير من اضطراب وتناقض لم يملك إلا أن يشير إليه في حواشيه . فبينما يفهم من صدر النص أن مدة حمل الخنزيرة أربعة أشهر ، إذ تسفد لثمانية وتلد لسنة ، نراه بعد ذلك يجعل مدة حملها شهرين ، حين يذكر أنها قد تسفد لأربعة أشهر وتلد لسنة أشهر . فلا بد أن تكون عبارة أرسطو قد تعرضت لشيء من

التشويه والتحرير ، حتى جاءت على هذه الصورة المضطربة المتناقضة .

٥٤ - قال الجاحظ : « وقال صاحب المنطق : لا يكون خنزير ولا أيل بحريا . وذكر أن خنازير بعض البلدان يكون لها ظلف واحد ؛ ولا يكون بأرض نهاوند حار ، لشدة برد الموضع ، ولأن الحمار صرد » (٢)

فأما الفقرة الأولى من هذا النص فلم أوفق إليها في تاريخ الحيوان لأرسطو . ومظنتها الفصل الثاني من الكتاب الثامن منه ، وهو الفصل الذي جعله لتقسيم الحيوان إلى برى *tezzestre* وبحرى *aquatique* . وأما الفقرة الثانية فقد تقدم ذكرها ، وذكرنا موضعها في أرسطو ، في النص رقم ٤٧ .

وأما الفقرة الثالثة فتجىء الإشارة إلى موضوعها في الفصل السابع والعشرين من الكتاب الثامن من تاريخ الحيوان ، وهو الفصل الذي يتحدث فيه عن أثر الجو في تكوين الحيوان ، ويمضي في هذا الحديث حتى يذكر أنه من أجل ذلك كانت الحمير في إيليريا وتراقيا وإبيريا صغيرة الجثة ، « وحتى لم يعد هناك حمير في سكيثيا وفي بلاد الكلت ، لأن هذا الحيوان لا يحتمل البرد » (٣)

(٢) ج ٤ ، ص ١٠٦ .

(١) v. 11 , p. 166.

(٢) v. III, P. 117.

ومن البين أن كلمة « نهاوند » في النص ربي ، وهي اسم مدينة من مدن الجبال ، سمعت موضع هذه الأسماء الغربية بالقياس ، القارىء العربى . ولا أدرى إن كان ذلك خطأ من التصرف فى الترجمة ، مما يلجأ إليه خص المترجمين أحياناً ، أم هو من صنع خص النساخ .

٥٥ - قال الجاحظ ، عقب النص السابق : وقال : فى أرض كذا وكذا لا يكون بها شيء من الخلد ، وإن نقله إنسان إليها لم يحفر . يتخذ بها بيتاً . وفى الجزيرة التى تسمى بقلية لا يكون منها صننف من النمل الذى يسمى أقرشان « (١) .

ويقع نظير هذا النص فى الفصل الذى جمع إليه الفقرة الأخيرة السابقة ، قبلها صنع فقرات . ونراه هنالك على هذا النحو : « فى بيوتيا Béotie يوجد كثير من الخلد taupes فى ضواحي أركومين Archoméne ، بينما هو لا يوجد فى لاديا Lébadie ، وهى جد قريبة . وإذا لم إليها لم يحفر فى أرضها . . . وفى بقلية لا يرى النمل الفرسان fourmies-ca-valière « (٢) .

والنصان متقاربان إلى حد غير قليل . لكنناية عن أسماء البلاد التى ذكرها أرسطو

بكذا وكذا ربما كانت من عمل المترجم أو صنيع الجاحظ . أما كلمة « لقرشان » (أو أفرشان بالفاء فى نسخة أخرى) على أنها اسم للنمل الذى يسميه أرسطو النمل الفرسان ، فالمتبادر أنها محرفة عن كلمة « الفرسان » ، كما تقتضيه التسمية اليونانية :

٥٦ - قال الجاحظ : « قال : ويعرض لفراخ الحيات مثل الذى يعرض لفراخ الخطاطيف . فان نازعاً لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » (٣) .

ويقع نظير هذا النص فى الفصل الثانى عشر من الكتاب الثانى من تاريخ الحيوان . وذلك إذ يقول :

« ويؤكد بعض الأشخاص أن الحيات تقدم نفس الظاهرة التى لفراخ الخطاطيف . ذلك أن عيون الحيات إذا نزعت تعود ثانية » (٤) . والاتفاق بين النصين لا يدع مجالاً للشك فى أن فاعل الفعل « قال » عند الجاحظ هو صاحب المنطق ، وإن أسقطه الناسخ أوسها عن ذكره الجاحظ .

وبين أيدينا ما جاء فى هذا الموضع فى الترجمة العربية القديمة التى أشرنا إليها من قبل . وهى لا تختلف عنهما إلا فى بعض التفاصيل الصغيرة . وهى هى ذى :

« وقد زعم بعض الناس أنه يعرض للحيات مثل العرض الذى يعرض لفراخ الخطاطيف :

v.III, p. 115.

(٢)

v. I, p. 190.

(٤)

(١) ج ٤ ، ص ١٠٦ .

(٢) ج ٤ ، ص ١٤٣ .

وأنة إن نحس أحد عينيها بإبرة أو شىء آخر
حاد أعماها نبتت (؟) أيضاً (. . . ؟) .
وتعود أعينها إلى الصحة ، كما كانت أولاً « (١) .

٥٧ - قال الجاحظ : « وزعم أن السلاحفة
والرق والضفدع مما لا بد له من التنفس ،
ولا بد لها من مفارقة الماء ؛ وأنها تبيض
وتكتسب الطعم وهي خارجة من الماء ، وذلك
للنسب الذى بينها وبين الضب ، وإن كان
هذا برياً وهذا بحرياً » (٢) .

وترجع هذه العبارة المحكية بالمعنى العام ،
لا بالنص ، فيما نحسب ، إلى الفصل الثانى
من الكتاب الثامن من تاريخ الحيوان ، حيث
يتحدث أرسطو عن تقسيم الحيوان إلى مائى
وأرضى ، وذلك إذ يقول إن من بين الحيوانات
التي تمشى على الأرض وتنفس الهواء ،
يوجد كثير يأخذ غذاءه من الماء . ثم
يقول :

« مثال ذلك السلاحف المسماة سلاحف
البحر والتاسيح وأفراس البحر والفقم
les phoques ، ومن الحيوانات
الأصغر من ذلك سلاحف الأرض والضفادع .
كل هذه الحيوانات تختنق إذا ظلت زمناً
دون أن تنفس ، وهي تضع صغارها وتزيتها
على الأرض اليابسة » (٣) .

فاذا صحح ذلك كان صاحب الزعم هنا ،
فيما يقول الجاحظ ، هو صاحب المنطق .

٥٨ - قال الجاحظ : وقد زعم صاحب
المنطق أن الحية وسام أبرص من العضاء ،
والتمساح ، تسكن في أعشها الأربعة أشهر
الشديدة البرد ، لا تطعم شيئاً ، وأن سائر
الحيات تسكن بطن الأرض ، فأما الأفاعى
فإنها تسكن في صدوع الصخر « (٤) .

ونظير هذا النص عند أرسطو يقع في
أول الفصل السابع عشر من الكتاب الثامن ،
من تاريخ الحيوان ، إذ يتحدث عن أعتزال
الحيوان وتشتيته ، فيقول :

« ومن الحيوانات ذوات الدم ما ينزوى
ويعتزل ، كذوات الخلد القشيري ، مثل
الحية وسام أبرص والعضاء و التمساح النهري ،
فتعتزل أثناء أشهر الشتاء الأربعة الأشد برداً ،
ولا تطعم طول هذه المدة شيئاً . وسائر
الحيات تأوى إلى باطن الأرض ، وأما
الأفاعى فإنها تختبئ تحت الأحجار » (٥) .

والنصان متطابقان - كما نرى - تطابقاً
يكاد يكون تاماً ، إلا في وصف الحيوانات
بنوات الدم ، مما لم يجىء في النص العزلى .
ومع ذلك فقد علق سانتيلير عليه بقوله ،
حواشيه : « العبارة غامضة جداً . ولا
تعين تعييناً كافياً الحيوانات المذكورة هنا » .

(٢) ج ٤ ، ص ١٤٤ .

(٤) ج ٤ ، ص ١٤٥ .

(١) الورقة ٣١ .

(٣)

v. III, p. q.

v. III, p. 73-74.

(٥)

وفي المقارنة بين النصين يبدو أن من الممكن اقتراح ووضع كلمة : «والعظاءة» بدلاً من : «من العظاءة» كما هو في النص المنشور لحيوان الجاحظ ، على أن «من» ليست إلا تصحيفاً للواو . وهو تصحيف قريب . وقد وقع في موضع آخر من هذا النص ، كما هو ظاهر في القراءة المثبتة في الهامش .

٥٩ - قال الجاحظ : «وقد زعم صاحب المنطق أنه قد ظهرت حية لها رأسان»^(١) .

ولم أعر بعد على هذا القول عند أرسطو :

٦٠ - قال الجاحظ : «ومنها (أى من الحيات) ذوات قرون [وأرسطو ينكر ذلك]^(٢)» .

والجزء الأخير من هذا النص افترضه الأستاذ الناشر في موضع البياض من إحدى المخطوطات ، عن الديميرى . وهو افتراض - فيما أرى - مقبول .

وبقي أن نعرف أين جاء إنكار أرسطو أن يكون من الحيات ذوات القرون :

أغلب الظن أن ذلك يرجع إلى ما ذكره عن حيات مصر ، مما عرض له هيرودوت في كتابه ، في الفصل الرابع والسبعين من الكتاب الثاني . فقد قال أرسطو في الفصل الثاني من الكتاب الثاني من تاريخ الحيوان

- وهو الفصل الذى جعله للحديث عن بعض صفات الحيوانات ذوات الأربع - :

« وكل الحيوانات ذوات القرون من ذوات الأربع ، إلا بعض حيوانات يقال إن لها قروناً ، على سبيل المجاز أو طريقة الكلام ، كحيات نواحي طيبة التى يذكرها المصريون »^(٣) .

أو ما جاء في الترجمة العربية القديمة « في طبائع الحيوان البرى والبحرى » :

« وجميع الحيوان الذى له قرون ذو أربعة أرجل ، ما خلا الحيوان الذى يقال إن له قروناً بنوع الاستحالة من الحيات التى تكون فى ناحية البلدة التى تسمى باليونانية (ساس) كما يزعم أهل مصر . وإنما تلك التى تطر (تظهر ؟) قروناً نتوء جاس فى رعوسها شبيه بالقرون »^(٤) :

فهذه العبارة التى يذكر بها أرسطو تلك الدعوى تتضمن إنكاراً لها .

٦١ - « قال الجاحظ : «وقال صاحب المنطق : الأيائل تصاد بالصفير والغناء . وهى لا تنام ما دامت تسمع ذلك من حاذق الصوت . فيشغلونها بذلك ، ويأتون من خلفها ، فإن رأوها مسترخية الأذان وثبوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس لايها سبيل »^(٥) .

(١) ج ٤ ، ص ١٥٦ .

(٢) p. 118. v.

(٣) ج ٤ ، ص ١٥٨ .

(٤) ورقة ٢١ . ولعل اسم المدينة المذكورة فى النص : تيباس ؟

(٥) ج ٤ ، ص ١٩٣ .

- ونظير هذا النص في تاريخ الحيوان لأرسطو يقع في آخر الفصل السادس من الكتاب السابع ، إذ يقول :

« وتصاد الأيائل بالنفخ في المزمار وبالغناء فيجتمع لذلك صائدان ، أما أحدهما فيقف أمام الحيوان ، يغني أو يزمر بالمزمار ، دون أن يستتر ، وأما الآخر فيقف وراء الأيائل ليمسكه حين يشير إليه زميله أن قد حانت اللحظة . وما دام الأيائل ناصباً أذنيه فهو يصغى كل الإصغاء ، ولا يكون من الممكن مباغتته ، أما حين يرخيها فهو لم يعد يسمع شيئاً ، فيثبان عليه » (١) .

والنصان يتوافقان - كما نرى - إلى حد غير قليل ، إلا ما كان من بعض التفاصيل في نص سانتيلير ، دون أن تكون في نص الجاحظ ، وإلا ما قد يكون من طبيعة الترجمة والنقل .

٦٢ - قال الجاحظ : « وزعم صاحب المنطق أن الرعد الشديد إذا وافق سباحة السمك في أعلى الماء رمت ببيضها قبل انتهاء الأجل : وربما تم الأجل فتسمع الرعد الشديد فيتعطل عليها أياماً بعد الوقت » (٢) .

ولم يتح لي أن أجد هذا القول في حيوان أرسطو . والذي عرض له أرسطو من هذا

القبيل هو تأثير الرعد في الغنم ، فتسقط صغارها حين تسمع الرعد وهي حامل ، وذلك في الفصل الرابع من الكتاب التاسع ، من تاريخ الحيوان (٣) .

٦٣ - قال الجاحظ - بعد أن حكى حديثاً من أحاديث كعب الأحبار ، ذكر فيه ما عوقبت به الأرض حين شربت دم ابن آدم وأنها لم تشرب بعد دم ابن آدم دم أحد من ولده ولا من غير ولده ، وما استطرد إليه من ذكر بعض الآثار التي ذكر فيها بغض الأرض للدم - :

« وزعم صاحب المنطق أن الأرض لا تشرب الدم ، إلا يسيراً من دماء الإبل خاصة » (٤) .

وقد أوردنا هذا النص قبل ، مع نص منله جاء في الجزء الثالث من حيوان الجاحظ ، وذكرنا ما يشير إليه في كتابي أرسطو : تاريخ الحيوان ، وأعضاء الحيوان ؛ وعلقنا عليه ، واستخلصنا من المقارنة ما أتيج لنا ، وأن كلمة « الإبل » في هذا النص مصحفة عن كلمة « الأيائل » مفرد الأيائل (٥) .

٦٤ - قال الجاحظ : « وزعم صاحب المنطق أن الوزغة والحيات تأكل اللحم والعشب . وزعم أن الحيات أظهر كلباً من

(٢) ج ٤ ، ص ١٩٣ .

(٤) ج ٤ ، ص ٢٠١ .

(٥) النص رقم ٢٣ (مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد الثامن ، ديسمبر سنة ١٩٥٤ ص ٨١-٨٢) .

v. III , p. 154.

V. III, P. 147.

(١)

(٣)

جميع الحيوان ، مع قلة شرب الماء ؛ وأن الأسد ، مع نهمه ، قليل شرب الماء . قال : ولا تضبط الحيات أنفسها إذا شممت ريح السذاب ، وربما اصطيدت به . وإذا أصابوها كذلك وجدوها وقد سكرت . قال : والحيات تبتلع البيض والفراخ والعشب . وزعم أن الحيات تسليخ جلودها في أول الربيع ، عند خروجها من أعشمتها ، وفي أول الخريف . وزعم أن السليخ يبتدىء من ناحية عيونها أولاً . قال : ولذلك يظن بعض من يعاينها أنها عمياء . وهي تسليخ من جلودها في يوم وليلة من الرأس إلى الذنب ، ويصير داخل الجلد هو الخارج ، كما يسليخ الجنين من المشيمة . وكذلك جميع الحيوان المحرز الجسد ، وكل طائر بلخاحه غلاف مثل الجعل والدبر . وكذلك السرطان يسليخ أيضاً ، فيضعف عند ذلك عن المشى . وتسليخ جلودها مراراً ^(١) .

وهذا النص يتألف - كما نرى - من أشياء كثيرة مختلفة .

فأما الكلام عن الوزع والحيات فيقع في صدر الفصل السادس من الكتاب الثامن ، من تاريخ الحيوان ، إذ يقول :

« والحيوانات ذوات الجلد الحرسني ، مثل الوزع ، وذوات الأربع الأخرى من

هذا النوع ، والثعابين ، تأكل كل شئ ؛ فهي تتغذى باللحم وتأكل أيضاً العشب . وليس هناك أكثر شرها من الثعبان . وكل هذه الحيوانات قليلة الشرب » ^(٢) .

وأما قوله إن الأسد ، مع نهمه ، قليل شرب الماء ، فيقع في الفصل الذي يلي هذا الفصل ، إذ يقول :

« والأسد من أكلة اللحم . . . وهو يأكل بشره . . . وهو قليل شرب الماء » ^(٣) .

وأما العبارة التي تشير إلى أثر السذاب في الحيات ، فقد نجد ما يناظرها في تاريخ الحيوان ، إذا نحن وضعنا كلمة « الشراب » أو « الخمر » موضع كلمة « السذاب » . وذلك في الفصل نفسه الذي تحدث فيه عن الوزع والثعابين ، وهو الفصل السادس من الكتاب الثامن ، إذ يقول :

« والثعابين تحب الخمر حباً شديداً ، حتى إنه حين يراد صيد الحيات توضع بين الأشرار آنية أو أصداف فيها خمر . وبذلك تصاب الحيات حين تكون ثملة » ^(٤) .

وكذلك يقع في هذا الفصل ما يناظر قوله إن الحيات تبتلع البيض والفراخ والعشب . وذلك على هذه الصورة :

v. III , p. 37.

(٢)

(١) ج ٤ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤

v. III , p. 38.

(٤)

v. III , p. 42.

(٣)

« والثعبان يأكل صغار الطير ، وصغار
البهائم ، ويبتلع البيض »^(١) .

وأما باقى النص الذى يجرى الحديث فيه
عن سلخ الحيات جلدها ، فيقع فى الفصل
التاسع عشر ، من الكتاب الثامن ، من تاريخ
الحيوان ، إذ يقول أرسطو - بعد أن تكلم
عن كيون الحيوان ، ثم انتقل إلى الكلام
[عن تجرده - :

« والحيات تتجرد أيضاً من جلدها القديم
فى الربيع والخريف . . . وهى حين
تسلخ جلدها ، تبدأ هذا السلخ من ناحية
عيونها . ومن لم يعرف ذلك ظن أنها صائرة
إلى العمى . ويمتد السلخ من الأعين إلى
الرأس التى تظهر بيضاء قبل سائر الجسد .
وفى يوم وليلة ينفصل الجلد القديم كله من
الرأس إلى الذنب . ويحدث السلخ من الباطن
إلى الظاهر . وانسلاخ الثعبان هو كخروج
الأجنة من المشيمة . وبمثل ذلك أيضاً يكون
تغيير الحشرات لجلودها . وكذلك عند النحل
وما يسمى كرى كرى lcs eri eri ...

وحيث يتجرد السرطان فان صدفته تصير
رخوة جدا ، ويلاقى فى المشى عنثاً شديداً .
وهذا الحيوان لا يتجرد مرة واحدة ، بل
مرات عديدة فى السنة »^(٢) .

نحن من هذا النص من نصوص
حيوان الجاحظ إزاء اقتباسات مختلفة جمعها
أبو عثمان فى جملة واحدة لما لها من علاقة
اعتبرها فيها ، وما بينها من مناسبة لاحظها .
وأكبر الظن أنه لم يتحرر نقلها بلفظها ، ولا
مراعاة الدقة فى إيرادها . ولعل ذلك مما
يمكن أن يعد سبباً من أسباب ما نرى من
تخلاف بينها وبين الأصل الذى بين أيدينا .

أما الكلام عن أثر « السذاب » فى الحيات
فأكبر الظن عندنا أن كلمة « السذاب » محرقة
عن « الشراب » بمعنى الخمر ، وهو
تصحيف قريب . وبذلك يلتقى النصان هنا ،
وأحسب أن هذا التصحيف لم يجيء اعتباطاً .
ولأنما هو متأثر بما جاء فى موضع آخر ، عن
أرسطو ، من أثر السذاب la ruc فى الحيات
إذ يقول الجاحظ - وسرى ذلك بعد إن شاء
الله - : « وقيل لى - وقرأت فى كتاب
الحيوان - أن ريب السذاب يشتد على الحيات^(٣) »
فذلك فيما نرجح ، هو الأصل فى ذلك
التصحيف :

ومن الخلاف الذى نرجح أيضاً أنه يرجع
إلى تحريف فى النص العربى ، كلمة « العشب »
فى قوله : « والحيات تبتلع البيض والفراخ
والعشب » ، فظاهر أن العشب ليس مما
يبتلع . وموضع العشب فى النص الآخر هو

v. III, p. 84-85.

(٢)

v. III, p. 38.

(١)

(٣) ج ٥ ، ص ٣٦٥ .

ولكنها في جهات أخرى ، وخاصة « كاري »
عديدة وكبيرة ، بقدر ما هي مثيرة للفرح
... الخ » (٢) .

ومما يؤيد افتراضنا أن الجاحظ يرجع
بهذا القول إلى أرسطو هذا النص الذي
نذكره بعد ، والذي يقع عقب نصنا هذا ،
كما يقع في الفصل نفسه لدى أرسطو .

٦٦ - قال الجاحظ : « وقال صاحب
المنطق : ويكون بالبلدة التي تسمى باليونانية
« طبقون » حية صغيرة شديدة اللدغ ،
إلا أن تعالج بحجر يخرج من بعض قبور
قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد
بعضها ، كانت أردأ ما تكون سما ، مثل
العقارب والأفاعي » (٣) .

ويقع هذا النص عند أرسطو - كما قلنا -
في الفصل نفسه الذي جاء فيه النص السابق .
قال : « وكثيرا ما ينخفي نبات السلفيوم
silphium ثعبانا صغيرا ، يعالج سم عضته -
فيما يقال - بحجر يؤخذ من قبر ملك من
الملوك القدماء ، ينقع في الخمر ، ثم يبادر
بشربها ... وجميع الحيوانات السامة تكون

صغار البهائم أو ما إلى ذلك ، وإذا كنت
لا أملك الآن رد هذه الكلمة إلى الأصل
الذي حرقت عنه على سبيل القطع أو الترجيح
فإني أذكر كلمة « النقد » بفتحتي ، على
أنها مما يحتمل افتراضه في مثل هذا الموضع .

٦٥ - قال الجاحظ : « قال : وعض
السباع ذوات الأربع ، ولدغ الهوام ،
يختلف بقدر اختلاف البلدان ، كالذي يبلغنا
عن أفاعي الرمل ، وعن جرارات قرى
الأهواز ، وعقارب نصيبين ، وثعابين مصر ،
وهنديبات الخرابات (١) » .

وقد عرض أرسطو لهذا المعنى بما يجعلنا
نرجح أن فاعل « قال » في هذا النص هو
« صاحب المنطق » ، وإن كانت الأمثلة
والشواهد التي يذكرها مختلفة ، وربما كان
المنسوب إلى أرسطو هو صدر العبارة المتضمن
للقضية عامة ، أما الشواهد فهي من عند
الجاحظ تقريراً لهذه القضية :

وذكر أرسطو لهذا المعنى يقع في الفصل
الثامن والعشرين من الكتاب الثامن ، من
تاريخ الحيوان . قال :

« واختلاف الأقطار ينشأ عنه اختلاف
كبير في أنواع عضة الحيوانات ،
فالعقارب في إقليم فاروس ، وفي بعض
الأقاليم الأخرى ، ليست بذات خطر ،

(٢) v. III , p. 122.

(١) ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

(٣) ج ٤ ، ص ٢٢٧ .

عضتها أشد خطرا ، بقدر ما يفترس بعضها بعضا ، كالجحش إذا أكلت العقرب (١) .

والسلفيوم المذكور هنا هو نبات من نباتات ليبيا ، ذكره تيوفراست Théophraste خليفة أرسطو ، في كتابه تاريخ النبات Histoire des plantes ، في الفصل

الثالث من الكتاب السادس منه . وظن المترجم العربي ، فيما نقدر ، أنه اسم بلدة ، وساقه هذا المساق . وعندنا أن كلمة « طبقون » محرفة ، على وجه ما ، عن كلمة « سلفيون » أو « سلفيوم » هذه .

٦٧ - قال الخاحظ : « والأيتل إذا ألتى قرونه علم أنه قد ألتى سلاحه ، فهو لا يظهر وكذلك ان سمن علم أنه يطلب ، فلا يظهر . وكذلك أول ما ينبت قرنه يعرضه للشمس ، ليصلب ويجف ، وإن لدغت الأيتل حية أكل السراطين ، فلذلك نطن أن السراطين صالحة للديغ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيتل ولدا أكلت مشيمتها ، فيظن أن المشيمة شيء يتداوى به من علة النفاس (٢) .

ويمكن أن نجد هذه الأقوال في تاريخ الحيوان لأرسطو ، متفرقة ، في الفصل السادس من الكتاب السابع منه ، إذ يقول - في سياق حديثه عن الأيتل :

« والذكر حين يثقل جرمه ، إذ يصير في فصل الخريف سمينا ، لا يعود للظهور ، كما أنه يغيّر مأواه ، كأنما يحس أن أخذه بسبب سمته أصبح أمرا يسيرا . وفي حالة فقد قرنيه يمضي إلى أصعب الأمكنة منلا واهتداء إليها ... ويقال إن الأيتل تحرص على ألا ترى في الوقت الذي فقدت فيه سلاحها ... وحين يأخذ القرنان في الكبر فإن الحيوان يتعرض للشمس من أجل انصاجهما وتجفيفهما ... وحين يعرض الأيتل عنكبوت araignée-phalange ، أو أية حشرة أخرى من هذا القبيل فإنه يأخذ في التماس بعض الاسكارجو escargots ليأكله . ومثل هذا قد يكون مفيدا للناس أيضا ، وان يكن طعمه مثيرا للتقزز . وحين تضع الأنثى تأكل على الفور مشيمتها ، حتى إنه ليصعب أخذها منها ، لأنها تملك بها قبل أن تسقط على الأرض . وبذلك اعتبرت المشيمة دواء نافعا (٣) . »

ومعظم الخلاف بين هذين النصين يرجع إلى الإيجاز في النص العربي ، والتفصيل في النص الآخر .

على أن هناك بعد ذلك ما يرجع إلى الخلاف في فهم الكلمة اليونانية وتعيين مدلولها ومرادفها ، كالذي نراه في قول النص العربي

(٢) ج ٤ ، ص ٢٢٧ .

(١) v. III, p. 122-123.

(٣) v. III, p. 150-154.

الجاحظي : « وإذا لدغت الأيّل حية أكل السراطين » ، فإننا نجد النص الآخر يضع كلمة العناكب Araignee-phalange موضع كلمة « الحية » ، كما نجد كلمة الاسكارجو في مقابل كلمة السراطين العربية . على أن سانتيلير يقول في حواشيه أن الكلمة اليونانية التي دل عليها بكلمة escargots الفرنسية تدل أيضا على ما يسمى بالفرنسية Crabes . وهذه الكلمة يمكن ، بملولها ، أن توضع بإزاء كلمة السراطين العربية .

أما أكل أنثى الأيّل مشيمتها فقد كان من المواضع التي علق عليها سانتيلير في حواشيه ، فقال : إن من المحتمل عنده أن هذه الفقرة كانت تعليقا على الهامش . ثم جاء أحد النساخ فاعتبرها من النص وأدخلها فيه . ويضعف هذا الاحتمال وجودها في النص العربي ، في نفس السياق الذي نراه في النص الذي ترجمه سانتيلير .

٦٨ - قال الجاحظ : « قال : والدبة إذا هربت دفعت جراءها بين يديها ، وإن خافت على أولادها غيبتها ، وإذا لُحقت صعدت في الشجر وحملت معها جراءها . قال : والفهد إذا عراه الداء الذي يقال له (خانتق الفهود) أكل العذرة فبرىء منه . قال : والسباع تشبه رأجة الفهود ، والفهد يتغيب عنها ، وربما فر بعضها منه

فيطمع في نفسه . فإذا أراد السبع وثب عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمه ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتي طائر فيأكل ذلك ، فيكون طعاما له وراحة للتمساح :

قال : وأما السلحفاة فإنها إذا أكلت الأفعى أكلت صعتها جبليا . وقد فعلت ذلك مرارا فربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصعتر ، مرارا كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأما ابن عرس فانه إذا قاتل الحية بدأ بأكل السداب ، لأن رائحة السداب مخالفة للحية . كما أن سام أبرص لا يدخل بيتا فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح .

قال : ونظن أن ابن عرس يحتال للطير بحيلة الذئب للغنم ، فإنه يذبحها كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيات المشتركة في الطعام .

وزعم أن القنافذ لا يخفي عليها شيء من جهة الريح وتحوها وهبوبها ، وأنه كان بقسطنطينية رجل يقدم ويعظم لأنه كان يعرف هبوب الريح ويخبرهم بذلك . وإنما كان يعرف الحال فيها بما يرى من هيئة القنافذ^(١) .

(١) ج ٤ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

فها نحن من هذا النص إزاء فقرات مختلفة تتحدث جميعها عن بعض مظاهر الغريزة عند الحيوان، وهدايتها له في سلوكه. وتقع نظائرها في الفصل السابع من الكتاب التاسع، من تاريخ الحيوان لأرسطو، على ترتيبها هنا- تقريبا. وإن جاءت هنا في صورة مقتطفات من هذا الفصل، وذلك إذ يقول:

« حين تهرب الذئبة أمام الصائد تدفع صغارها أمامها، كما تحماها وقد أخذتها في فمها. فإذا كانت على وشك أن تؤخذ تسلقت الأشجار...- وإذا اتفق أن ابتلعت الفهدة السم الذي يقال له: (الموت للفهود) فإنها تلمس عنقرة إنسان فتبرئها، فهي دواء لها، وعلى العكس بالنسبة للأسود فهي قاتلة لها. والصيادون يعرفون ذلك جيدا حتى إنهم ليعلقون على شجرة شيئا من العنقرة في وعاء، بحيث تبقى غير بعيد منها، فإنها لا تلبث أن تموت من الجهد الذي تبذله في قفزها نحو الوعاء مؤملة بلوغه. كما يؤكدون أيضا أنها إذ تعام أن رائحتها تجتذب بعض الحيوانات الأخرى، فإنها تختبئ لصيدها، حتى إذا اقتربت منها انقضت عليها، ومن بينها الأيائل... والتمساح حين يفتح فكه تسرع إليه الطير المسماة تروكيل trochiles طائفة، لتنظف له أسنانه، وهي تجد في ذلك طعاما لها. أما التمساح الذي أراحه هذا الصنيع، فإنه

يعرفه لها، فلا ينالها بأذى، فإذا أراد التروكيل أن يخرج حرك التمساح عنقه بطريقة تجنبه أذى العض. والسلحفاة إذا ابتلعت أفعى أكلت صعيرا. وقد قرر ذلك على هذه الصورة: لقد كان أحد الناس رأى سلحفاة تفعل ذلك عدة مرات. كلما ابتلعت الصعير عادت إلى حية أخرى، فاقطعت الصعير فماتت السلحفاة للتو، إذ حرمت من هذا الدواء.

أما ابن عرس فإنه إذا أراد أن يقاتل ثعبانا بدأ بأكل السذاب الذي يكره الثعبان رائحته... والكلاب إذا كان في أجوافها دود تأكل سنبل القمح... ويظهر ابن عرس ذكاء في طريقة قتله للطير، فإنه يخنقها كما يخنق الذئب الغنم. ويقاتل ابن عرس خاصة الثعابين الصائدة للفيران، لأنه يغتذى أيضا بالفيران. وكثيرا ما أمكن ملاحظة أن القنافظ تحس تغيرات الرياح، إذا كانت تهب من الشمال أو الجنوب، فمنها ما يغير فتحات الثقوب التي يصنعها لنفسه في الأرض، ومنها ما يعيش في دورنا، ما ينقل من حائط إلى آخر. ويحكى أن شخصا من بيزنطة كان قد لاحظ هذه الغريزة عند القنفذ، فاشتهر بأنه صائب التنبؤ بالحو^(١).

وإذا كان النظر في هذين النصين، كل على حدة، يثير التساؤل عما يلابس كلا منهما، في بعض أجزائه من غموض

واضطراب ، فإن المقارنة بينهما تثير كثيرا من المسائل الناشئة عن أوجه من الخلاف بينهما ، وعمما يمكن أن يرجع إليه هذا الخلاف .

من هذا الخلاف ما هو يسير المأثى هين الأمر قزيب التأويل ، كجعل النص العربي الحديث عن الدب في صيغة المفرد انوثت (الدبة) ، وجعل النص الآخر الحديث عنه في صيغة الجمع (الدبية) ، فالصيفتان متقاربتان في الصورة الخطية تقاربا لا بعد معه أن تكون آتية « الدبة » تصحيفا لكلمة « الدبية » . وإن كان من الممكن أن يكون المترجم هو الذي آثر هذه الصيغة .

ومن ذلك تسمية الترجمة العربية بيزنطة وهو الاسم القديم ، باسم القسطنطينية ، وهو الاسم الذي أطاق عليها بعد استيلاء الملك قسطنطين عليها في القرن الرابع ، والذي لا يكاد المسلمون الأوائل يعرفونها إلا به . فأكبر الظن أن ذلك كان من تصرف المترجم .

وهناك مواطن أخرى من الخلاف ليس من اليسير تفسيرها واتخاذ موقف منها إلا أن تجتمع لنا أدوات هذا التفسير ، وهي ليست متاحة لنا الآن .

٦٩ - قال الجاحظ : « قال صاحب المنطق : الطير على ضربين : أوابد

وقواطع . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره ، وإن لم يكن ذا سلاح ، فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم .

ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يعدوها ، ومنه المشترك الطباع ، كالعصفور والدجاج والغراب ، فإنها تأكل النوعين جميعا ، وكطير الماء ، يأكل السمك ويأقطن الحب ، ومنه ما يأكل شيئا خاصا ، مثل جنس النحل المعسل الذي غذاؤه شيء واحد ، وجنس العنكبوت ، فإن طعم النحل المعسل العسل ، والعنكبوت يعيش من صيد الذباب .

ومن الحيوان ما له مسكن ومأوى كالخلد والفأر والنمل والنحل والضب ، ومنه ما لا يتخذ شيئا يرجع إليه كالحيات ، لأن ذكورة الحيات سيارة ، ولأنها إنما تقيم في المكان إلى تمام خروج الفراخ من البيض ، واستغناء الفراخ بأنفسها ، ومنها ما يكون يأوى إلى شقوق الصخور والحيطان والمداخل الضيقة ، مثل سام أبرص .

قال : والحيات تألفها كما تألف العقارب الخنافس ، والعظايا تألف المزابيل والخرابات والوزع قريبة من الناس (١) .

ونرجو أن نوفق بعد إلى ما يناظر هذا النص في حيوان أرسطو .

(١) ج ٤ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

٧٠ - قال الحافظ - في سياق كلامه
عن النعامة - وأنها ، مع عظم عظامها وشدة
جذوها ، لامخ فيها : « وقال صاحب
المنطق : ليس المخ إلا في الجوففة ، مثل عظم
الأسد ، وفي بعض عظامه مخ يسير . وكذلك
المخ قليل في عظام الخنازير ، وليس في بعضها
شيء منه البتة ^(١) » .

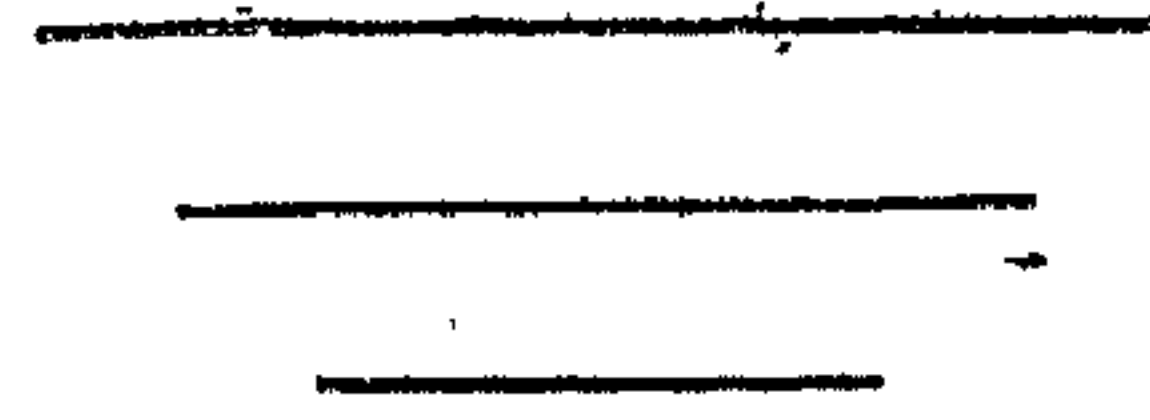
فيها دائماً . فعظام الأسد قد لا يوجد فيها
مطلقاً . ولا يوجد فيها إلا قدر يسير جداً .
كما زعموا أحياناً ، وكما قيل من قبل ، إن
الأسود ليس بها مخ مطلقاً . وكذلك عظام
الخنزير ، المخ فيها قليل جداً ، وقد رثي
منها ما ليس فيها شيء منه ^(٢) .

ونظير هذا النص في تاريخ الحيوان
لأرسطو يقع في الفصل الخامس عشر من
الكتاب الثالث ، وذلك إذ يقول :

« وليس في كل العظام مخ ، فهو لا يوجد
إلا في العظام الجوففة ، وحتى هذه لا يوجد

والنصان هنا متطابقان إلى حد بعيد ،
ولا يكاد يخالف بينهما إلا طبيعة الأسلوب
في كل منهما ، وجنوح أحدهما إلى الإيجاز
والقصيد ، وجنوح الآخر إلى الإطناب
والتشويق .

محمد طه الحاجري



الطريقة التكاملية لتعليم اللغة العربية

للدكتور فؤاد البهى السيد

(١) مقدمة

التجريبى المناسب لضبطها وتقويمها قبل
تعميمها .

(ب) خصائص الطريقة التكاملية وأهم مزاياها

أهم خصائص الطريقة التكاملية لتعليم
اللغة العربية أنها تحافظ خلال جميع مراحل
تعليمها على تكامل فروع اللغة العربية في
وحدة عضوية تنمو ككل في تناسق وتناسب
صحيح بحيث لا يسبق نمو أحد الفروع الفروع
الأخرى فيشوه بذلك النمو العضوى للظاهرة
اللغوية ، شأنها في ذلك شأن نمو أى كائن
حتى . فمثلا إذا زاد نمو الأذرع في إنسان
ما عن المعدل الطبيعى للنمو النسبى والكلى
أصبح ذلك الإنسان كائنا « مشوها » ، وكذلك
الحال بالنسبة للنمو اللغوى عند الطفل .
ولذلك لا تقسم الطريقة التكاملية اللغة العربية
إلى فروع مختلفة ولا تعلم كل فرع من هذه
الفروع بمعزل تماما عن الفروع المختلفة كما
تفعل الطرق الأخرى .

الطريقة التكاملية طريقة جديدة في تعليم
اللغة العربية تعتمد فكرتها الرئيسية على
الخصائص النفسية لعملية التعلم وللمتعلم نفسه ،
وترقى بالتعلم إلى مستوى التجويد ، وتراعى
الخصائص المميزة للغة العربية كلغة سامية
تختلف في تكوينها عن اللغات الأوربية .
ولهذا تختلف الطريقة التكاملية عن الطرق
الأخرى التى استخدمت من قبل في تعليم
اللغة العربية ، والتى نشأت في أصلها من
الطرق المتبعة في تعليم اللغات الأوربية ولم
تراع لذلك الخصائص الفارقة للغة العربية .

[وقد سميت هذه الطريقة التكاملية لأنها
تعلم اللغة العربية كوحدة متكامل أجزاؤها ،
منذ الخطوة الأولى لتعليمها وتنمو في مدارجها
المتتابعة ككل له وحدته لا كأجزاء منفصلة
كما تفعل الطرق الأخرى .

وقد نجحت أغلب رياض الأطفال في
انجلترا وأمريكا ودول غرب وشمال أوروبا
في تعليم أطفال سن الخامسة وما قبل الخامسة ،
القراءة والكتابة والتعبير حيث يتعلم الطفل

وسنين فيما يلى الخصائص الرئيسية للطريقة
التكاملية وأهم مزاياها ، ومراحلها السبع
الرئيسية ، والطرق الخاصة المناسبة لتعليم
كل مرحلة من تلك المراحل ، والبرنامج

اللغة كظاهرة لها وحدتها فلا تنفصل فروعها ولا يسبق فرع منها الفروع الأخرى في عملية التعلم اللغوي .

وكما تصلح هذه الطريقة لتعليم أطفال فصول الرياض وتلاميذ المدارس الابتدائية فإنها تصلح أيضا لتعليم الكبار ومحو الأمية ولا تحتاج من المعلم إلى تدريب طويل لأنها سهلة وبسيطة وتجعل كل معلم يعمل مع كل فرد وفق سرعته ، وتحول الفصل إلى خلية دائبة النشاط وتيسر لكل تلميذ أن يتقدم بالنسبة لمستوى قدراته .

وخلال مراحل هذه الطريقة يؤلف التلميذ كتابه الأول الذي يتعلم به القراءة والكتابة والتعبير والقواعد ، ولا نؤلف له كتابا « أو كتبا » في هذه الفروع التي نصطنعها لتجزئة اللغة إلى علوم مختلفة إن صاحت في المستويات العليا لدراستها فإنها لاتصاح في المراحل الأولى لتعليمها .

وبهذه الطريقة يشترك التلميذ اشتراكا إيجابيا مع معلمه في عملية التعلم ويتذوق نتيجة ما يصل إليه في تحصيله وتتطور عملية تعلم اللغة من التلقين إلى التفاعل الإيجابي المستمر .

ويتحقق بذلك المفهوم الجديد لأهم دوافع الفرد للتعلم والعمل والإنتاج ، وهو حاجة الفرد إلى الشعور بنجاحه في تعلمه وعمله وإنتاجه .

وتصبح طريقة تعاليم اللغة العربية سهلة بسيطة على التلميذ وعلى المعلم . وهي بالرغم من سهولتها تركز في بنائها العاين على أهم المفاهيم النفسية والتربوية والاجتماعية مثل : مراعاة الفروق الفردية في تعاليم التلاميذ ، والاشتراك الإيجابي للمتعلم مع المعلم في عملية التعلم وبدء تدريب الفرد على التعلم الذاتي وكيف يستطيع أن يعلم نفسه ، وتثير في الفرد أهم دوافع التعلم وهو تعزيز العمل الناجح وتدعيمه ، وذلك باستخدام نفس الإحساس بنجاح التحصيل كحافز لاستمرار التعلم حتى يحقق هدفه الذي يصبو إلى تحقيقه .

وذلك هو سر قوتها ، وسر نجاح أي مشروع أو نظرية أو فكرة : البساطة وصحة ودقة المفاهيم العلمية التي يعتمد عليها البناء الفكري لتلك الطريقة .

(ج) مراحل الطريقة التكاملية

تشتمل الطريقة التكاملية لتعليم اللغة العربية على سبع مراحل : الأولى هي مرحلة الاستعداد لاكتساب مهارة الكتابة ، والثانية هي مرحلة أسماء الذات والحمل الاسمية ، والثالثة هي مرحلة الأفعال والحمل الفعلية ، والرابعة هي مرحلة حروف الجر والحمل الاسمية والفعلية والخامسة هي مرحلة التفكير اللغوي والتدريب على التعبير والسادسة هي مرحلة القواعد النحوية والحركات الإعرابية ، والسابعة والأخيرة هي مرحلة الحروف الهجائية وأشكالها المختلفة .

وسنبين فيما يلي المظاهر الرئيسية لكل مرحلة من تلك المراحل .

١- المرحلة الأولى : الاستعداد لاكتساب مهارة الكتابة .

تمهد الطريقة التكاملية في مرحلتها الأولى لاكتساب مهارة الكتابة وذلك عن طريق تعليم الطفل كيف يمسك القلم بطريقة صحيحة تيسر له رسم المنحنيات والخطوط - المستقيمة التي سيستخدمها بعد ذلك في ممارسة عملية الكتابة ، وفي رسم الأشكال التوضيحية التي تبين معاني الكلمات المختلفة التي سيتعلمها بعد ذلك .

٢- المرحلة الثانية : أسماء الذات والجمل الاسمية :

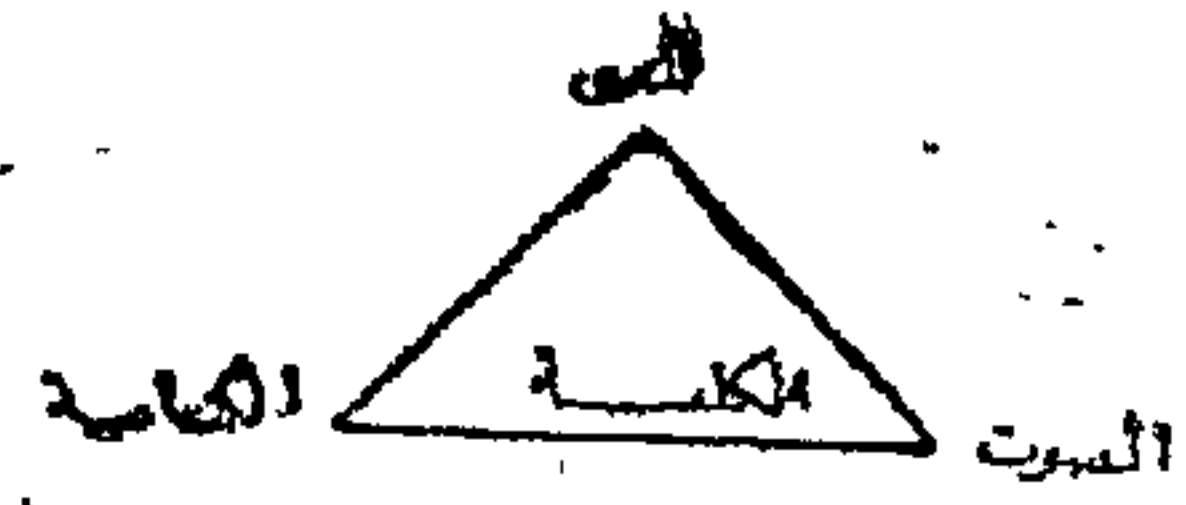
تبدأ المرحلة الثانية بتعليم الطفل قراءة وكتابة أسماء الذات ثم تتدرج به بسرعة إلى التعبير . وتبدأ تعليمه التعبير بالجمل الاسمية لأنها أسهل من الجمل الفعلية إذ لا تتطلب من الطفل إلا أن يكتب كلمتين ويختار الكلمة الأولى ثم يختار الكلمة الثانية ليستقيم المعنى في جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر .

وقد دلت الأبحاث المتعددة على أن أسماء الذات أسهل من أسماء المعنى وأسهل أيضا من الأفعال وحروف الجر لأنها تدل على أشياء موجودة بالفعل في بيئة الطفل بألفها ويراها ويعرفها ويلمسها ويشعر بها .

وبذلك تصل المرحلة الثانية بقدرة الطفل على التعبير إلى الجمل الاسمية وتتابع بعد ذلك

مراحل الطريقة التكاملية كما تتابع مراحل نمو الانسان من طفولة إلى بلوغ ومراقبة ورشد إلى آخر تلك المراحل حيث تتميز كل مرحلة بأنها تصل بالفرد إلى مستوى معين من مستويات النضج في إطار النمو الكلي للانسان ككائن له وحدته العضوية المتكاملة . وهذا هو شأن الطريقة التكاملية في مراحلها ، حيث تصل بقدرة الطفل على التعبير في مرحلتها الثالثة إلى الجمل الفعلية .

٣- المرحلة الثالثة : الأفعال والجمل الفعلية : تتدرج الطريقة التكاملية بالطفل في مرحلتها الثالثة لتعلمه الأفعال لأنها أصعب من الأسماء وذلك لاعتمادها على الزمن ، والزمن مفهوم معنوي أصعب في إدراكه من أسماء الذات . وعندما يتعلم الطفل مجموعة من الأفعال : قراءة وكتابة يتدرب بعد ذلك على تكوين الجمل الفعلية ويعتمد في انشاء جملة وعباراته على الأسماء التي تعلمها في المرحلة الأولى وبذلك تنمو مهارته اللغوية بطريقة تكاملية في مراحل علمية تعتمد على خصائص نمو العمليات العقلية لدى الطفل وعلى خصائص اللغة العربية نفسها باعتبار أنها من أندر اللغات التي تتميز بجمل تؤدي معناها كاملا دون الحاجة إلى فعل يستقيم به المعنى كما هو الحال في اللغة الانجليزية والفرنسية وبقيّة اللغات الأجنبية الأخرى ، وهي مع ذلك لاتهمل الجمل الفعلية حيث تحتل موقعها المناسب إلى جوار الجمل الاسمية .



هـ - المرحلة الخامسة : التفكير اللغوي والتدريب على التعبير :

تتطور الطريقة التكاملية بالطفل في مرحلتها الخامسة إلى تدريبه على التفكير ، وعلى تجويد عملية التعلم التي انتهت به إلى التعبير .

وعلى المعلم أن يطلب من الطفل أن يختار بعض كلمات من تلك الكلمات التي تعلمها من قبل في المراحل الثلاث السابقة ثم يرتبها حتى يصبح لها معنى آخر غير المعنى السابق ، وهكذا يستمر الطفل في هذه العملية حتى يتدرب على إدراك العلاقات القائمة بين الكلمات : وإدراك العلاقات عملية عقلية قوامها الاستدلال : ولذلك سميت هذه المرحلة مرحلة التفكير اللغوي :

وتمثل هذه المرحلة أيضا هضبة في منحني التعلم اللغوي بالصاعد ، يراجع فيها الطفل ما تعلمه في المراحل السابقة ، ويجيد فيها مهارة الإنشاء اللغوي والتعبير .

وعلىنا أن نتجاوز عن أخطاء الطفل في مراحل نموه الأولى لينطلق حرا يعبر عما يريد أن يعبر عنه ثم نصحح له أخطائه بالتدريج ، وهذا التصحيح يجب أن يقترن بالتشجيع لا بالنقد حتى تتم عملية التعزيز أو التدعيم الضرورية لنجاح عملية التعلم كما تؤكد ذلك كل النظريات الحديثة في التعليم .

٤ - المرحلة الرابعة : حروف الجر والحمل الاسمية والفعلية .

تتطور الطريقة التكاملية بالطفل إلى المرحلة الرابعة حيث يتعلم حروف الجر : كتابة وقراءة ، ويستطيع أيضا أن يوضح معنى حروف الجر التي تعلمها بالرسم كما سنبين ذلك في الشرح التفصيلي لكل مرحلة من هذه المراحل وعلى الطفل أن يستعمل حروف الجر التي يتعلمها في تكوين جمل وعبارات جديدة تعتمد على استخدام حروف الجر مع بعض الأسماء التي تعلمها من قبل لينشئ من ذلك عبارة لها معنى ويصبح أيضا قادرا على إنشاء عبارات جديدة تتكون من أسماء وأفعال وحروف جر وبذلك يستقيم تعبيره في أبعاده اللغوية المختلفة .

وعلى المعلم أن يطلب من الطفل أن يوضح معنى كل كلمة يكتبها ويقرأها ، اسما كانت أم فعلا أم حرف جر برسم يصاحب هذه الكلمة في نفس الصفحة التي يكتبها فيها : وبذلك تقترن دائما الأركان السيمانتية للكلمة في وحدة عضوية متكاملة وبدونها لا تصبح الكلمة كلمة لغوية صحيحة ، وذلك لأن الكلمة في حقيقتها اللغوية رمز لمعنى يسجل كتابة في شكل معين ، وينطق بأصوات محددة . والشكل التالي يوضح المثلث السيمانتي لأركان الكلمة .

٦- المرحلة السادسة : القواعد النحوية والحركات الاعرابية .

يبدأ عملية التصحيح وضبط التعبير تبدأ المرحلة السادسة من مراحل الطريقة التكاملية . وتهدف هذه المرحلة إلى تعليم الطفل أبسط أنواع القواعد النحوية التي تساعد على ضبط تعبيره . وعلى المعلم أن يطلب من الطفل أن يستمر في تغيير مواقع الكلمات ليغير بذلك معنى العبارة وعليه أن يعلمه النطق الصحيح فيعلمه بذلك الحركات الصحيحة لأواخر الكلمات التي يكتبها، فمثلا: يتعلم الطفل أن يكتب الكسرة تحت آخر كل كلمة يأتي موقعها بعد حروف الجر ، وأن يكتب الضمة فوق آخر الكلمة الأولى والثانية في الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر ، وأن يكتب الفتحة فوق آخر كل اسم يأتي موقعه بعد الفاعل :

وهذا القدر من القواعد النحوية يعد كافيا للطفل في هذه المرحلة ، ويتعلم بذلك كيف يضبط تعبيره ، ويتعلم أيضا معنى الكسرة والضمة والفتحة وطريقة رسم هذه الحركات وموقعها في آخر الكلمة .

٧- المرحلة السابعة : الحروف الهجائية وأشكالها المختلفة .

تعتمد المرحلة السابعة والأخيرة في الطريقة التكاملية على مدى نمو القدرة الاستقرائية لدى الطفل . وعلى المعلم أن يحلل للطفل الكلمات المختلفة التي يستخدمها في تعبيراته

المتعددة إلى مكوناتها الأساسية ، وبذلك يبدأ الطفل تعلم الحروف الهجائية بأشكالها المختلفة ، فيدرس التشابه والاختلاف القائم بين مواقع كل حرف من الحروف الهجائية في أول الكلمة وفي وسطها وآخرها ومنفصلا ومتصلا ، ويدرك أيضا القدر المشترك بين جميع هذه المواقع ، ذلك القدر الذي لا يتغير بتغير موقع الحرف من الكلمة، فمثلا حرف الميم يصبح شكله متصلا في أول الكلمة هكذا (م) وفي وسط الكلمة هكذا (م) وفي آخر الكلمة هكذا (م) . ويصبح شكله منفصلا هكذا (م) . وبذلك يصبح القدر المشترك الذي يتميز به حرف الميم بين جميع هذه الأشكال هو هذا الشكل (م) وهكذا بالنسبة لبقية الحروف الهجائية الأخرى :

وتعد هذه المرحلة أصعب مراحل التعلم اللغوي لسببين رئيسيين : الأول، أن الحرف المستقل عن الكلمة لا معنى له، اللهم إلا أنه رمز مكتوب لصوت مسموع ، وإلا فما معنى حرف الميم إذا انتزع الحرف من الكلمة التي تحتويه؟ والأصل في اللغة هو المعنى كما سبق أن بينا ذلك في تحليل الأركان السيمائية للكلمة .

والسبب الثاني تغير شكل الحرف تبعا لتغير موقعه من الكلمة ، وهذه الظاهرة هي إحدى خصائص الكتابة العربية المتصلة وذلك بخلاف اللغات الأجنبية حيث تطورت

فيها عملية الطباعة من الحروف المتصلة إلى الحروف المنفصلة . وعلينا أن نعلم الطفل حروف اللغة العربية بأشكالها المتغيرة حتى يأتي اليوم الذي تتطور فيه عملية الطباعة فتتخلص من الحروف المتصلة وتصبح حروف كلماتها المكتوبة منفصلة كما تطورت عملية الطباعة في اللغات الأجنبية الأخرى .

من أجل هذا أرجئت عملية تعليم الحروف الهجائية إلى آخر مراحل الطريقة التكاملية في تعليم اللغة العربية .

(د) الطرق الخاصة لتعليم كل مرحلة من مراحل الطريقة التكاملية .

سنيين فيما يلي الطرق الخاصة المناسبة لتعليم كل مرحلة من مراحل الطريقة التكاملية :
١ - المرحلة الأولى : الاستعداد لاكتساب مهارة الكتابة .

تعتمد مهارة الكتابة على تناسق حركات عضلات الأصابع التي تمسك بالقلم أثناء الكتابة وعلى تأزر هذه الحركات مع عملية الإبصار التي تلاحظ مدى نجاح هذا التناسق وتنقل نتائجه إلى العقل ليستطيع أن يصحح أخطاء التناسق الحركي حتى تستقيم مهارة الكتابة .

وبذلك تصبح الكتابة بهذا المعنى مهارة عقلية بصرية حركية .

واكتساب المهارة يتطلب ممارسة . وتبدأ عملية الممارسة بتدريب الطفل على الطريقة الصحيحة لمسك القلم بين الإبهام والأصبعين

المجاورين له . ثم يتطور هذا التدريب إلى استخدام القلم في رسم خطوط منحنية متعددة مختلفة . والخطوط المنحنية أسهل في رسمها من الخطوط المستقيمة لأنها لا تتطلب في أدائها مستوى دقيقاً من التأزر العقلي البصري الحركي ، وذلك بخلاف الخطوط المستقيمة التي تحتاج إلى درجة كبيرة من ضبط حركات الأصابع والتحكم فيها حتى يصبح الخط المرسوم خطاً مستقيماً . ومن أجل هذا سبقت عملية رسم الخطوط المنحنية عملية رسم الخطوط المستقيمة .

وعندما يجيد الطفل رسم الخطوط المنحنية ينطور به التدريب إلى رسم الخطوط المستقيمة الأفقية والرأسية والمائلة .

وعلى المعلم أن يدرب الطفل بعد ذلك على رسم أشكال مختلفة ، تعتمد على المنحنيات والخطوط المستقيمة ، ولهذه الأشكال أهميتها القصوى في توضيح معنى كل كلمة من الكلمات الجديدة التي سيتعلمها الطفل في نهاية كل مرحلة ، وعليه أن يرسم أشكالاً مثل الأشكال التالية :



حيث يوضح الشكل الأول رسم رجل ، والثاني شجرة ، والثالث باب ، والرابع صورة ، والخامس كلب ، والسادس طائر

وهكذا بالنسبة للأشياء المختلفة التي يمكن توضيح معناها بالرسم .

وعندما ينتهي التدريب إلى هذا الحد يصبح الطفل مهيبا لتعلم أسماء الذات كتابة وقراءة وتوضيح معناها بالرسم ، ويصبح مهيبا أيضا لتعلم الجمل الاسمية كتابة وقراءة ، وتعبيرا كما سنبين ذلك في المرحلة التالية .

٢ - المرحلة الثانية : أسماء الذات والجمل الاسمية :

يلاحظ الطفل في بيته أو في الطريق أو حتى في الفصل المدرسي أشياء مختلفة تثير اهتمامه وتجذب انتباهه مثل الصورة المعلقة على الحائط في بيته أو في الفصل ، والراديو ، والقطعة ، والباب ، والشجرة ، وغير ذلك من الأشياء المختلفة . وهو بلاشك يعرف أسماء هذه الأشياء من خبرته اللغوية السابقة التي تكون محصوله اللفظي الذي يستخدمه في كلامه وحواره مع والديه وإخوته وأقرانه ويستطيع الطفل أن ينطق مثل هذه الأسماء نطقا صحيحا لأنها مألوفة لديه وظاهرة متكررة في حياته اليومية .

وعلى المعلم أن يحصى هذا المحصول اللفظي للأطفال فصله الدراسي بأن يسأل كل طفل عن الأسماء التي يعرفها ، وعليه أن يوضح معنى هذا السؤال بأمثلة من الأشياء الموجودة في الفصل فيشير إلى الباب وهو يقول « باب » . وهكذا حتى يفهم كل طفل معنى السؤال ثم يبدأ المعلم بسؤال الطفل الأول ، فيقول

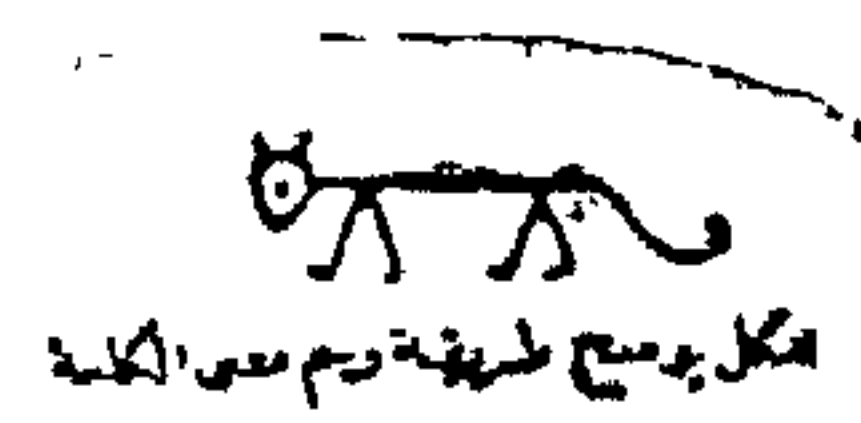
له كل الأسماء التي يعرفها وعلى المعلم أن يسجل هذه الأسماء في كراسة خاصة فيكتب فيها الرقم المسلسل لأسماء الأطفال ثم يكتب اسم كل طفل ويكتب بعد ذلك كل الأسماء التي يعرفها الطفل أمام اسمه . وعندما ينتهي المعلم من هذه العملية يحسب تكرار كل كلمة من الكلمات التي سجلها ، ثم عليه بعد ذلك أن يرتب هذه الكلمات في قائمة بطريقة تنازلية بحيث يبدأ بأثرها تكرارا وينتهي إلى أقلها تكرارا وبذلك يكون قد حصل على معجم لأسماء الذات يناسب تلاميذ فصله .

وعلى المعلم أن يبدأ بأكثر هذه الكلمات تكرارا فيكتبها على السبورة ثم يقرأها ، ويطلب من كل طفل أن يقلده في الكتابة فيكتبها في الصفحة الأولى من صفحات كراسته . والكتابة في حقيقتها ليست عملية صعبة معقدة وإنما هي مجرد عملية تقليد ورسم ، والأطفال يحبون هذا النوع من النشاط ويمارسونه بشغف كلما عثروا على ورقة وبعض الأقلام الملونة . وعندما ينتهي الأطفال من كتابة الكلمة وعندما ينتهي المعلم من مراجعتها كما كتبها كل طفل في كراسته ، فعليه أن يطلب منهم أن يقلدوه في قراءتها ، ثم يقرأ الكلمة ويقرأونها هم من بعده . والقراءة هنا أسهل من الكتابة لأن الكلمة التي يكتبها الطفل هي أصلا محصوله اللفظي الذي جمعه خلال خبرته السابقة .

واقتران القراءة بالكتابة وتكرار هذا الاقتران يؤدي إلى تعلم الكلمة تعلمًا لغويًا صحيحًا .

وعلى المعلم أن يعيد كتابة الكلمة مرة أخرى وقراءتها ثم يطلب من الأطفال كتابتها مرة ثانية في كراساتهم وقراءتها ، وتستمر هذه العملية حتى يصل عدد مرات كتابة وقراءة الكلمة إلى العدد المناسب لحفظها كتابة وقراءة . وتدلل نتائج أهم الأبحاث العلمية في هذا الميدان على أن العدد المناسب لتكرار كتابة الكلمة وقراءتها حتى يتعلمها الطفل هو في الأغلب والأعم خمس مرات . وبالرغم من هذا التحديد فعلى المعلم أن يكتشف العدد المناسب لتكرار كتابة وقراءة الكلمة حتى يتعلم كل طفل الكلمة تعلمًا جيدًا صحيحًا .

وعندما ينتهي المعلم من تعليم تلاميذه طريقة كتابة وقراءة الكلمة فعليه أن يرسم على السبورة أسفل الكلمات التي كتبها شكلًا يوضح معنى الكلمة ، ويجب أن يكون هذا أبسط ما يمكن وخير الأشكال التوضيحية ما كان مجرد خطوط . فمثلاً يمكن رسم القطة بالطريقة التالية ، ثم يطلب من كل طفل أن يرسم مثل هذا الشكل في كراسته أسفل



شكل يرسم طرفة ريم مع الكلمة

الكلمات التي كتبها . وعلى المعلم أن يراجع رسم كل طفل كما راجع كتابة كل كلمة .

وهذه الطريقة نقتصد ثلثي الوقت والجهد الذي يبذل في تعليم الكلمات ، لأن الكلمة في أساسها تعتمد على أركان ثلاثة : المعنى ، والصوت ، والرسم . وبما أن الطفل يعلم معنى الكلمة التي يقولها ، ويعرف كيف ينطقها ، إذن فلا يبقى أمامه ليتعلمها إلا أن يكتبها . واقتران المعنى وهو أصلاً معروف للطفل ، بالنطق وهو أيضاً معروف للطفل ، بالكتابة وهي المهارة الجديدة التي يتعلمها عن طريق التقليد يؤدي بالطفل إلى تعلم الكلمة معنى وقراءة وكتابة في ثلث الوقت الذي يتعلم فيه الكلمات التي لا يعرف معناها ولا نطقها ولا كتابتها .

وعندما يرى المعلم أنه قد تجمع لدى الأطفال محصولاً لفظياً كافياً من هذه الكلمات فعليه أن يعلمهم التعبير ، ويبدأ باختيار كلمة من الكلمات التي تعلموها من قبل ثم يختار كلمة أخرى من تلك الكلمات بحيث لو كتبت بعد الكلمة الأولى لأنشأت بذلك تعبيراً له معنى في جملة اسمية صحيحة مثل « باب البيت » ومثل « صورة قطة » وهكذا .

ويطلب المعلم من الأطفال أن يكتبوا هذه التعبيرات في صفحة جديدة ، ثم يطلب منهم بعد ذلك أن يقلدوه في إنشاء تعبيرات جديدة ثنائية الكلمات ولها معنى . وعلى كل طفل بعد ذلك أن يختار كلمة من الكلمات التي تعلمها من قبل ثم يختار كلمة أخرى بحيث لو كتبت الكلمة الثانية بعد الكلمة الأولى لأنشأت بذلك تعبيراً له معنى ، وعلى

المعلم أن يراجع التعبير الذي يكتبه كل طفل ليصحح أخطائه . وتستمر هذه العملية حتى يكتسب الطفل مهارة انشاء العبارات الثنائية في حمل اسمية لها معنى .

وبذلك تصل المرحلة الأولى بالطفل إلى تعلم الأسماء والحمل الاسمى قراءة وكتابة وتعبيرا . ويصبح تعلم اللغة العربية عملية متكاملة تكاملا عضويا صحيحا وتنمو المهارة والمعرفة اللغوية في عقل الطفل كوحدة لا تنفصل في نهايتها الكتابة عن القراءة ولا عن التعبير .

٣ - المرحلة الثالثة : الأفعال والحمل الفعلية .
اشترطنا في اختيار الأسماء التي تصلح لبدء تعليم القراءة والكتابة والتعبير أن تكون من المحصول اللفظي للأطفال وأن تكون أسماء ذات لا أسماء معنى ، وأن تكون من النوع الذي يسهل رسم معناه في شكل بسيط يفهمه الطفل .

وعلينا الآن أن نحدد أسس اختيار الأفعال التي تيسر للطفل عملية التعلم اللغوي .

ويشترط في الأفعال التي نختارها أن تكون من المحصول اللفظي للطفل ، وعلى المعلم أن يوضح للطفل معنى الفعل عن طريق الحركة فيقف ثم يقول « وقف المعلم » ويجلس ثم يقول « جلس المعلم » وهكذا حتى يفهم الطفل معنى الفعل ، وعلى المعلم بعد ذلك أن يسجل الأفعال التي يعرفها أطفال الفصل الدراسي بنفس الطريقة التي سجل بها الأسماء ليكتشف بذلك محصول الأطفال من الأفعال .

وعلى المعلم أن يبدأ بأكثر هذه الأفعال تكرارا في القائمة التي يعدها بعد تحليله للأفعال التي يعرفها الأطفال .

لكن الفعل له أكثر من صورة فهو قد يكون فعلا ماضيا أو مضارعا أو مستقبلا . وأبسط هذه الأفعال كتابة هو الفعل الماضي لأن حرفه الهجائي الأول لا يختلف تبعا لاختلاف الضمائر . والحرف الأول في الفعل المضارع هو أحد حروف كلمة « أنيت » التي تضاف في أول الفعل الماضي فتجعله مضارعا . وبذلك تصبح صيغة الفعل المضارع هي في حقيقتها صيغة الفعل الماضي الذي يسبقه أحد حروف المضارعة . وكذلك الحال بالنسبة لصيغة المستقبل فهي في حقيقتها صيغة الفعل الماضي الذي يسبقه حروف المستقبل وهي السين وسوف .

وبذلك تصبح أبسط صور الفعل هي صورة الفعل الماضي . وهكذا يؤدي بنا هذا التحليل إلى اختيار الفعل الماضي لأنه أبسط من المضارع والمستقبل .

والمشكلة الثالثة التي تواجهنا في تعليم الأفعال أنها إما أفعال ظاهرة مثل وقف ، ومشى ، وجلس وإما أفعال باطنة مثل فكر ، وتأمل ، وجاع ، وعطش . والأفعال الظاهرة أكثر وضوحا من الأفعال الباطنة لأنها تدل على أمور مرئية . شأنها في ذلك شأن أسماء الذات . وبذلك فعلينا أن نختار الأفعال الظاهرة لأنها أكثر وضوحا من الأفعال الباطنة :

وللأفعال الظاهرة ميزة أخرى وهي سهولة توضيحها بالرسم كما تدل على ذلك الأشكال التالية :



شكل يبين طريقة توضيح معنى الأفعال

وهكذا بالنسبة للأفعال الظاهرة الأخرى .

ويؤدى بنا التحليل السابق إلى توضيح المعالم الرئيسية للطريقة التي يتبعها المعلم في تعليم الأفعال ، فعليه أولاً أن يسجل محصول الأطفال من الأفعال ، وأن يقتصر في تسجيله لتلك الأفعال على صيغة الماضي ، وأن يختار من الأفعال الماضية الأفعال الظاهرة التي تقبل التوضيح بالرسم ثم يمضى في تعليم الأطفال تلك الأفعال بنفس الطريقة التي علمهم بها أسماء الذات وعندما يتعلم الطفل تلك الأفعال قراءة وكتابة ، ويدرك معناها ويوضحه بالرسم فعلى المعلم أن يتطور بالطفل إلى تعلم الجمل الفعلية الثنائية التي تعتمد على الفعل اللازم مثل « نام الرجل » « مشى الولد » . «وقف المعلم» وهكذا حتى يجيد الأطفال هذا النوع من التعبير الذى هو فى جوهره مجرد فعل يتلوه اسم .

وعلى المعلم بعد ذلك أن يدرّب الأطفال على الجمل الفعلية الثلاثية التي تعتمد على الفعل المتعدى لمفعول واحد مثل : ضرب الولد الكلب : أكل الرجل البلح . رفع الطفل يده .

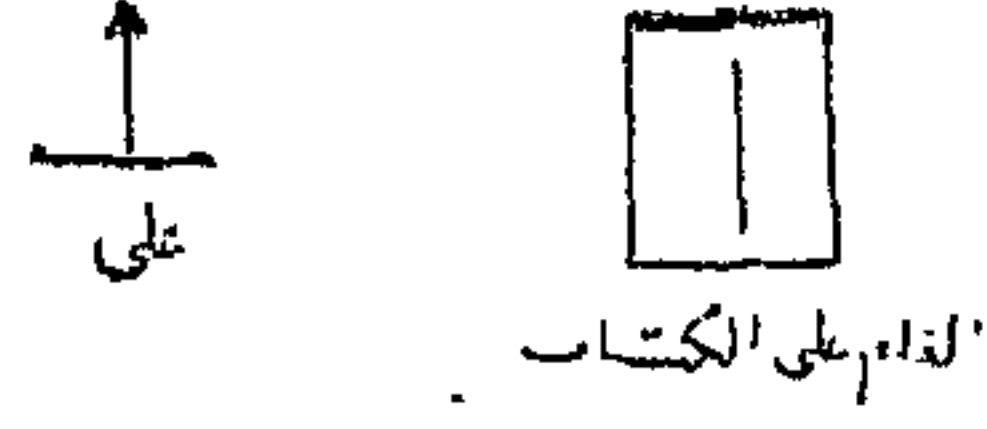
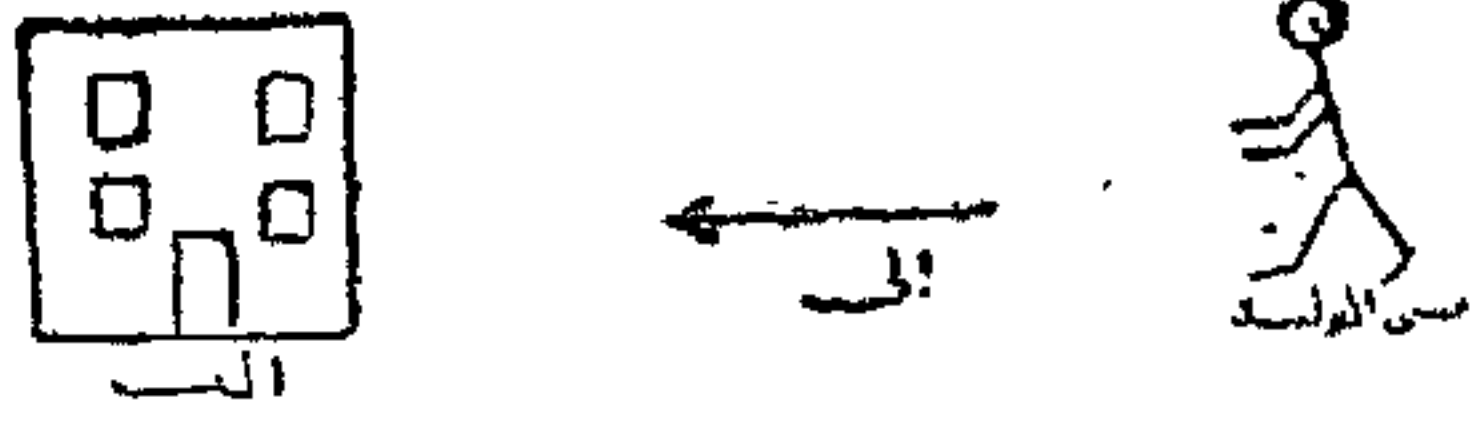
وهكذا يتعلم الطفل فى هذه المرحلة الأفعال ، والجمل الفعلية الثنائية والثلاثية ، ويراجع ما تعلمه من الأسماء لأنه يستخدم الاسم بعد الفعل لينشئ من ذلك تعبيراته وجمله المختلفة .

٤ - المرحلة الرابعة : حروف الجر والجمل الاسمية والفعلية .

حروف الجر كلمات سهلة فى كتابتها وقراءتها لأن عدد حروفها لا يكاد يتجاوز ثلاثة حروف هجائية لكنها صعبة فى إدراكها لأنها تدل على العلاقات المعنوية التي ترتبط بها الأسماء .

من أجل هذا أرجئت حروف الجر إلى المرحلة الرابعة

وعلى المعلم أن يوضح للأطفال الوظيفة التي تؤديها حروف الجر وذلك عندما تقيم علاقة بين اسم واسم آخر مثل « القلم على الكتاب » وهنا يتضح معنى حرف الجر (على) بمعنى (فوق) ويمكن للمعلم أن يضع قلماً فوق كتاب ما ليشرح معنى حرف الجر (على) ثم يطلب من الأطفال أن يذكروا أمثلة أخرى لاستخدام حرف الجر (على) ويكتبها على السبورة ويطلب إلى كل طفل أن يكتب كل جملة من تلك الجمل فى كراسه وأن يقرأها وراءه وأن يعيد كتابتها على الأقل خمس مرات حتى تستقيم طريقة كتابتها وقراءتها ، ويتضح معناها . وعلى المعلم أن يرسم لكل جملة من تلك الجمل رسماً يوضح معنى حرف الجر المستخدم . والشكل التالى يوضح معنى حرف الجر (على) :



شكل يبين معنى العبارة « مشى الولد الى البيت »
وهكذا بالنسبة للتعبيرات الأخرى التي
يتعلمها الطفل من المعلم ، والتي يوثقها
هو بعد ذلك .

وهكذا بالنسبة لحروف الجر الأخرى :
والأشكال التالية تدل على الرسم التوضيحي
لأهم حروف الجر المعروفة .



شكل يبين معنى أهم حروف الجر ، المعرفة :

ويجب أن يصبح الطفل قادراً في نهاية
هذه المرحلة على صياغة الجمل الاسمية
الثلاثية ، والفعلية الرباعية ، ليتدرب بذلك
على الاستخدامات المختلفة لحروف الجر ؟
وتعد هذه المرحلة من بعض نواحيها ،
مراجعة للمراحل السابقة وخاصة مرحلتى
الجمل الاسمية والفعلية ، وبذلك تنمو المناهج
اللغوية بطريقة تكاملية تراكمية .

ولا تتطلب عملية تعلم حروف الجر
تسجيلاً للحصول الأطفال من حروف الجر ،
لأن هذه الحروف محدودة قليلة في عددها .
ومشاكلها ليست في معرفتها بل في طريقة
استخدامها في التعبيرات اللغوية المختلفة .

٥ - المرحلة الخامسة : التفكير اللغوى
والتدريب على التعبير .

وتعد أهم عملية في تعلم حروف الجر هي
عملية التعبير . لذلك يجب أن يتدرب الطفل
على استخدام حروف الجر في جمل اسمية
ثلاثية مثل « الكلب في البيت » وجمل فعلية
رباعية مثل « مشى الولد إلى البيت » .

عملية ترتيب الكلمات لإنشاء عبارة ما ،
وعملية إعادة ترتيب نفس كلمات العبارة
السابقة للحصول على معنى آخر ، عمليات
فكرية تعتمد على إدراك العلاقات التي
تنشأ من ترتيب الكلمات بشكل معين ليصبح
لهذا الترتيب معنى لأن علاقاته الفكرية
صحيحة ، أو يفقد معناه لأن علاقاته غير
صحيحة ؟

ويمكن توضيح هذه الجمل الثلاثية
والرباعية بالرسم المختلفة كما سبق أن وضحنا
معنى « القلم على الكتاب » بالرسم .

فمثلاً يمكن توضيح العبارة الرباعية السابقة
« مشى الولد إلى البيت » بالرسم التالي :

على هذا النوع من الأسئلة في قياس ذكاء الأفراد :

ويمكن زيادة صعوبة هذه التدريبات بزيادة عدد كلمات التعبير ، وبذلك يتطور التدريب من الجمل الثلاثية الكلمات إلى الرباعية فالخماسية فالسداسية إلى غير ذلك من العبارات الطويلة المختلفة حتى يجيد الطفل هذه المهارة .

٦- المرحلة السادسة : القواعد النحوية والحركات الإعرابية .

يتدرب الطفل في هذه المرحلة على استخدام الحركات الإعرابية : الكسرة ، والضمة ، والفتحة ، في أبسط صورها المعروفة ، ولذلك لا يتعلم إلا حالة واحدة من حالات هذه الحركات الإعرابية . فيتعلم ما تحدثه حروف الجر في الأسماء التالية لها ، وأن الكسرة هي العلاقة التي نحدد بها طريقة النطق ، ويتعلم أن الضمة هي العلامة التي تميز الفاعل أو الاسم الذي يقوم بالفعل ، وأن الفتحة تميز المفعول به أو الاسم الذي يقع عليه فعل الفاعل . وتلك هي أسهل المداخل لفهم وتعلم القواعد النحوية .

وعلى المعلم أن يبدأ بتدريب الأطفال على إدراك الأثر الذي تحدثه حروف الجر في الأسماء التالية لها ويتطور هذا التدريب في خطوتين : الأولى تتلخص في استخدام حرف جر واحد مثل (إلى) في جمل مختلفة

وعلى المعلم أن يبدأ هذه المرحلة بأن يكتب على السبورة عبارة لا معنى لها ، ويستقيم معناها عندما يعاد ترتيب كلماتها . ومن أمثلة ذلك العبارة التالية :

« مشى البيت الولد إلى »

ويصبح لهذه العبارة معنى عندما يعاد ترتيب كلماتها في الصورة التالية :

« مشى الولد إلى البيت »

وعندما يتأكد المعلم من أن الأطفال قد فهموا هذه الفكرة الجديدة فعليه بعد ذلك أن يدرّبهم على هذا النوع من التفكير اللغوي فيكتب على السبورة عبارة لا معنى لها ثم يطلب منهم أن يكتبوها في كراساتهم ، ويطلب منهم بعد ذلك أن يعيدوا كتابتها بعد تغيير مواقع كلماتها حتى يستقيم معناها :

ويتطور هذا التدريب بعد ذلك إلى كتابة عبارة لها معنى ، على أن تكون من النوع الذي يتغير معناه عندما نغير مواقع كلماتها ، ومن أمثلة ذلك العبارة التالية :

« مشى الكلب خلف الولد »

ويتغير معنى هذه العبارة عندما نعيد كتابتها بعد تغيير مواقع كلماتها في الصورة التالية :

« مشى الولد خلف الكلب »

وقد تبدو أهمية هذا التدريب عندما نعلم أن بعض اختبارات الذكاء اللفظية تعتمد

متعددة على أن تكون هذه الجمل تعبيرات ناقصة ليشارك الطفل بطريقة إيجابية في تكلمها والأمثلة التالية توضح هذه الفكرة :-

- إلى البيت :
- إلى المدرسة :
- إلى الفصل :
- إلى الكتاب :

وعلى الطفل أن يكتب الكلمات الناقصة في أول كل جملة من الجمل السابقة حتى يصبح لها معنى مثل :-

- مشى الرجل إلى البيت .
- ذهب التلميذ إلى المدرسة :
- جرى الولد إلى الفصل :
- نظر المعلم إلى الكتاب :

وعندما يجيد الأطفال هذه العبارة ، فعلى المعلم بعد ذلك أن يدرّبهم على حروف الجر الأخرى وأن يستخدم نفس الطريقة السابقة في تكملة الجمل الناقصة .

- والأمثلة التالية توضح هذه الفكرة :-
- إلى البيت .
- من المدرسة :
- في الفصل :
- على الكتاب :

وبهذه الطريقة يفهم الطفل معنى الكسرة التي تدل على أثر حرف الجر في الاسم

التالي له ، ويتدرّب أيضاً على التفكير اللغوي عندما يكتب الكلمات التي يكتمل بها معنى الجمل الناقصة .

وينتقل المعلم بعد ذلك إلى توضيح معنى الفاعل والمفعول به معاً والجملة التالية توضح الفرق بين الفاعل والمفعول به :-

أكل الولد البرتقالة

وعلى الأطفال أن يفكروا في تعبيرات أخرى مثل التعبير السابق حتى يكون الفرق واضحاً بين الفاعل المرفوع بالضممة والمفعول به المنصوب بالفتحة . وعلى المعلم أن يكتب هذه التعبيرات التي يصوغها الأطفال على السبورة ويطلب إلى كل طفل أن يكتب كل تعبير في كراسه وأن يكتب الضمة فوق آخر الكلمة التي تدل على الفاعل ، وأن يكتب الفتحة فوق آخر الكلمة التي تدل على المفعول به .

وعندما يجيد الأطفال فهم الفرق بين الفاعل والمفعول به ، والفرق بين الضمة والفتحة ، فعلى المعلم أن يدرّبهم بعد ذلك على تغيير مواقع الكلمات بحيث تتغير وظيفة الكلمة من فاعل إلى مفعول به تبعاً لتغير موقعها وحركتها الإعرابية والمثالين التاليين يوضحان هذه الفكرة :-

- سبق الكلب القط :
- سبق القط الكلب :

فالفاعل في المثال الأول هو الكلب وهو مرفوع بالضممة التي تبين أنه الفاعل ،

اسم الحرف	الحرف المنفصل	الكلمة
ألف	ا	واحد
باء	ب	باب
تاء	ت	نبات
—	—	—

ثم يطلب المعلم من كل طفل أن ينقل هذا الجدول في كراسه ثم يدرجهم على اسم الحرف وطريقة نطقه باعتبار أن لكل حرف اسماً يرمز إليه ويدل عليه كما يدل على ذلك العمود الثالث في الجدول السابق .

وتلى الخطوة الأولى الخطوة الثانية وفيها يتعلم الطفل تغير شكل الحرف المتصل تبعاً لتغيير موقعه من الكلمة في الأول وفي الوسط وفي آخر الكلمة وعلى المعلم أن يختار من المحصول اللفظي الذي تعلمه الطفل في المراحل السابقة الكلمات التي تحتوي على حرف ما من الحروف الهجائية متصلاً بغيره من الحروف في أول الكلمة ووسطها وآخرها، وأن ينشئ لذلك جدولاً خاصاً مثل الجدول التالي بحيث يحتوي هذا الجدول على جميع حروف الهجاء من الألف إلى الياء، ويجب أن يشترك الأطفال اشتراكاً إيجابياً مع المعلم في ملء خانات هذا الجدول .

الحرف المنفصل	في أول الكلمة	في وسط الكلمة	في آخر الكلمة	شكل الحرف
ب	باب	نبات	طب	ب
—	—	—	—	—

والمفعول به هو القط وهو منصوب بالفتحة التي تبين أنه المفعول به . وعندما غيرنا موقع الفاعل والمفعول به وتغيرت الحركات الإعرابية تبعاً لذلك ، أصبح القط في المثال الثاني هو الفاعل وأصبح مرفوعاً بالضمة التي تبين أنه الفاعل ، وأصبح الكلب هو المفعول به وهو منصوب بالفتحة التي تبين أنه المفعول به .

٧- المرحلة السابعة : الحروف الهجائية وأشكالها المختلفة .

تبدأ الخطوة الأولى في تعليم الحروف الهجائية بأن يختار المعلم ٢٨ كلمة من الكلمات التي تعلمها الأطفال في المراحل السابقة بحيث تحتوي كل كلمة من هذه الكلمات على حرف من الحروف الهجائية الـ ٢٨ الذي يكتب منفصلاً غير متصل بالحروف الأخرى مثل : واحد حرف الألف ، وناب حرف الباء ، ونبات حرف التاء . وهكذا بالنسبة للحروف الهجائية الأخرى . ثم يكتب هذه الكلمات تحت بعضها في صفحة مستقلة في جدول يحتوي العمود الأول منه على هذه الكلمات التي تبدأ بحرف الألف وتنتهي بحرف الياء ثم يحتوي العمود الثاني على الحرف الهجائي المقابل لكل كلمة وفقاً للنظام التالي :

وتلى الخطوة الثانية الخطوة الثالثة وفيها
تصل عملية تعلم الحروف الهجائية إلى مستوى
التعميم فيستنتج الطفل مع معلمه الجزء المشترك
الذي يبقى بالرغم من تغير مواقع الحرف
المتصل في أول الكلمة ووسطها وآخرها ،
فمثلا الجزء المشترك بين الأشكال المختلفة
لحرف الباء هو (ب) والجزء المشترك لحرف
التاء هو (ت) وهكذا بالنسبة للحروف
الأخرى .

وتلى الخطوة الثالثة الخطوة الرابعة
والأخيرة وفيها يتعلم الطفل ترتيب الحروف
الهجائية لأهمية هذا الترتيب مستقبلا في
الكشف عن الكلمات الصعبة في المعاجم
اللغوية .

وبانتهاء الخطوة الرابعة تنتهى المرحلة
السابعة ، مرحلة تعلم الحروف الهجائية ،
وأشكالها وترتيبها .

(هـ) الدراسة التجريبية للطريقة التكاملية :

كل طريقة جديدة تتطلب دراسة تجريبية
دقيقة قبل تعميمها . ويعتمد نجاح هذا التعميم
على دقة النتائج التي تكشف عنها الدراسة
التجريبية .

ويجب أن يشتمل التصميم التجريبي
لدراسة الطريقة التكاملية على الأبحاث
التالية :

١ - تحديد المدى الزمني المناسب لكل
مرحلة من مراحل الطريقة التكاملية بالنسبة
للذكور والإناث من التلاميذ الصغار ،
والدارسين الكبار في فصول مكافحة الأمية
وتعليم الكبار .

٢ - تحديد العمر الزمني المناسب لكل
مرحلة بالنسبة للذكور والإناث من التلاميذ
الصغار .

٣ - الكشف عن النسبة المثوية لمستوى
صعوبة كل مرحلة وبالنسبة للذكور والإناث
من التلاميذ الصغار والدارسين الكبار في
فصول مكافحة الأمية وتعليم الكبار ، تمهيداً
لثبوت ترتيب المراحل كما حددها المشروع
الراهن ولإعادة ترتيبها في ضوء ماتسفر عنه
نتائج مستويات الصعوبة .

٤ - دراسة مقارنة للطريقة التكاملية
والطرق المتبعة حالياً في تعليم اللغة العربية
على أن تعتمد هذه الدراسة على المجموعات
الضابطة والمجموعات التجريبية بالنسبة للذكور
والإناث من التلاميذ الصغار والدارسين
الكبار في فصول مكافحة الأمية وتعليم
الكبار .

فؤاد البهى السيد

المؤنث كالمذكر في الألقاب المناصب والأعمال

رأي جديد
.. من قديمر

للأستاذ محمد شوقي أمين

ألا يجوز في العربية أن يقال: هذه رئيس
مجلس الإدارة، ومدير العمل فلانة، ونحو
ذلك على اختلاف الأسماء والألقاب؟

والذين يثيرون هذا التساؤل من النساء
والرجال، يقولون إن اللغات الأجنبية فيها
من الكلمات مالا تتغير فيه صيغة المذكر
حين إجرائها على المؤنث، إذا كانت الصفة
مما يكثر في الرجال، ويقررون أن الإنجليزية
مثلا لا تكاد تفرق بين مذكر ومؤنث في
الكلمات التي تصف المناصب والأعمال،
وأن الفرنسية فيها الكثير من الكلمات على
هذا الغرار، كالبروفيسور، والدكتور،
والمؤلف، والعاشق:

٢- فإذا رجعنا إلى اللغة نستخبرها في
ذلك، بان لنا أن الأمر فيه بيان:

أولا:

الغالب في الأسماء الحاملة ألا نلحقها علامة
التأنيث، إن وصف بها المؤنث، ويذكر

١- في عصرنا الحديث، تاح للمرأة
أن تلي من المناصب وتمارس من الأعمال ما لم
يكن للنساء حظ منه إلا في الندرة، إذ كان
في الأغلب الأعم موقوفا على الرجال،
وأصبح من أثر ذلك أن ظهرت الحاجة اليوم
إلى وصف المرأة: بلقب المنصب الذي
تليه، أو اسم العمل الذي تمارسه، وذلك
كالأستاذ والعضو، وكالوزير والرئيس
والطبيب، وكالمدير والمحامي والنائب.

ولما كان نهج العربية مطابقة الصفة
لموصوفها، جرى القول بضرورة إلحاق
علامة التأنيث بالكلمات الوصفية، إذا أطلقت
على النساء:

وقد تساءل بعض ذوات المناصب والأعمال
كما تساءل غيرهن من الرجال: لماذا يتغير
اسم المنصب أو العمل إذا أسند إلى المرأة؟
ولماذا لا تتحقق المساواة بين المرأة والرجل
في الوصف والتلقيب، كما تحققت المساواة
أو كادت في ولاية المناصب ومراس الأعمال؟

اللغويون من الأمثلة اسم « الإمام » ، فهو يطلق على الذكر والأنثى ، على أنه ربما أنثى بالهاء ، فقيل : امرأة إمامة ، ويرى بعضهم أن الصواب حذفها ، لأن الإمام اسم لصفة . وإذا عملنا في اسم « الأستاذ » القاعدة الغالبة في الأسماء الحامدة ، قلنا : إن الشأن فيه ألا تلحقه علامة التأنيث ، لأنه اسم جامد ولم يسمع التأنيث في تعريبه .

على أنه يسعنا القول بإجازة تأنيث الأسماء الحامدة ، تأسيسا على أنها وضعت موضع الصفات ، وقد صرح « ابن جنى » بأن تأنيث الأسماء متى أجريت مجرى الصفات جائز ، ومن قوله : « إن العرب إذا نقلت شيئا من موضعه إلى موضع آخر مكنته في الثاني » .

وضرب لذلك أمثلة ، ثم قال : « إن هذه الأشياء كلها أسماء في أصولها ، ولما نقلتها العرب إلى أن وصفت بها ، مكنتها ، حتى أنشأها تأنيث الصفة ، وأجرتها على ما قبلها جريان الصفات على موصوفها » .

كذلك يقال في اسم « العضو » لأنه اسم جامد استعمل استعمال الصفة ، فالغالب في قاعدة مثله ألا تلحقه تاء التأنيث ، إذ لم يرد السماع به . ولكن هذا يسهل دفعه بما يراه « ابن جنى » من طرد إجازة التأنيث في المصادر المستعملة أوصافا وفي الأسماء الحامدة في أصولها ، إذا وصف بها . ومما يؤيد ذلك النظر أن اسم العضو له رديف

هو « الشلو » وقد سمع فيه « شلوة » ، وليس من التكلف أن يعامل المرادف معاملة رديفه ، خلا للنظير على النظير :

هذا فيما يخص الكلمة إذا كانت اسما جامدا ، ويخلص لنا منه أن كلمة « الأستاذ » وكلمة « العضو » لا تلحقهما علامة التأنيث حين يوصف بهما مؤنث ، وذلك هو الأقيس والأفصح ، ولا مانع من دخولها عليهما بتخريج مقبول ، هو استعمالها استعمال الصفة ، فتعاملان بهذا الاعتبار .

وبهذا يتسنى لمن بلغت درجة الأستاذية ، أو نالت شرف العضوية من النساء ، أن يقال فيها إنها أستاذة أو عضوة ، دون دخول علامة التأنيث .

ثانيا :

الكلمات الأخرى ، كالرئيس والوزير والمدير والطبيب والحامي والنائب ، إنما هي أوصاف لمناصب وأعمال ، متعارفة في الرجال . فهل تعرف العربية نوع هذه الكلمات التي توصف بها مناصب وأعمال تندر أو تقل في النساء ، وتجزأ ألا تلحقها علامة التأنيث إذا أطلقت على المؤنث ؟

والجواب أن في العربية أمثلة من هذا الباب ، كالإمام والأمير والعامل والوصي والوكيل والشاهد والمؤذن والطبيب والحسيب ، وكلها صفات ، ما عدا « الإمام » .

فأما كلمة « الإمام » فقد رأينا أن الأصل فيها إطلاقها على المذكر والمؤنث ، وربما جاز تأنيثها ، على الرغم من اسميتها ، بشفاعة الوصف بها .

وأما كلمات الأمير والعامل والوصى والوكيل والشاهد والمؤذن والطبيب والحسيب وهي من الصفات ، فقد كفانا القول في الستة الأولى منها « ابن السكيت » في كتاب « المقصور والمدود » ، إذ يقول فيما نقله صاحب « المصباح » عنه في مادة « أمم » :

« تقول العرب : عاملنا امرأة ، وأميرنا امرأة ، وفلانة وصى فلان ، وفلانة وكيل فلان ، وإنما ذكر لأنه إنما يكون في الرجال أكثر مما يكون في النساء ، فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على الأكثر في موضعه ، وأنت قائل : مؤذن بنى فلان امرأة ، وفلانة شاهد بكذا ، لأن هذا يكثر في الرجال ، ويقال في النساء ، وقال تعالى : « إنها لإحدى الكبر ، نذيرا للبشر ، فذكر « نذيرا » وهو « لإحدى » . وليس بخطأ أن تقول : وصية ووكيلة بالتأنيث ، لأنها صفة للمرأة إذا كان لها فيه حظ ، وعلى هذا فلا يمتنع أن يقال : امرأة إمامة ، لأن في الإمام معنى الصفة » .

وقد نقل « الخفاجي » في « شفاء الغليل » طرفا مبتسرا من نص « ابن السكيت » في كلمة « وصى » ، وعلق عليه بقوله : « ليس في كلامه ما يدل على أنه سماع أو قياس » . ولما تناول الشيخ « محمد على النجار » بحث كلمة « أستاذ » في كتابه « لغويات » ذكر في بحثه ما يدل على أنه اطلع على ذلك القدر المبتسر الذي أشار إليه « الخفاجي » ولم يقره على تعليقه ، فرد عليه بقوله : « إذا عرفنا أن « ابن السكيت » من الذين يتوسعون في القياس على شاهد واحد ، ترجح عند الناظر أنه يقول بالقياس ، وقد ورد أكثر من شاهد . لاسيما وله مُدْرَك معقول » .

بقيت الكلمتان : الحسيب ، والطبيب ، فقد أورد لهما « النجار » في بحثه المشار إليه شاهدين ، فشاهد الحسيب قوله تعالى : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

فإن « حسيبا » يجرى على النفس ، وذكر لأن الحساب مما يتولاه الرجال .

وشاهد الطبيب قول الشاعر :

أخترمي ريب المنون ولم أزر

طبيب بنى أود على النأي زينبا

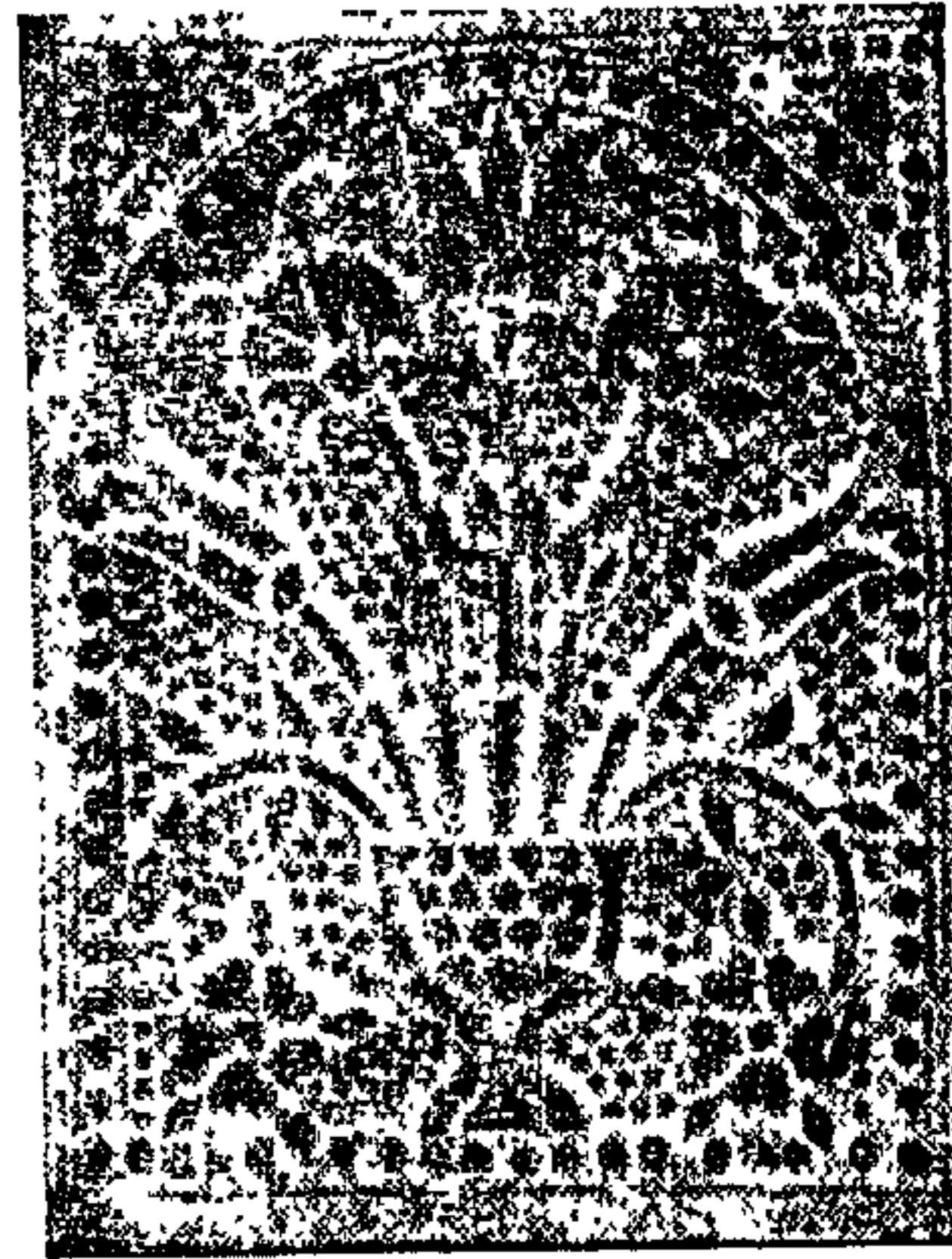
٣- ويخلص لنا من ذلك كله أنه لا تريب على من يشاء إبقاء أو صاف المناصب والأعمال التي تغلب على الرجال وتقل في

المناصب والأعمال المتعارفة في الرجال الغالبة
عابهم - عن إجازة إطلاق هذه الكلمات على
النساء إذا تولين موصوفاتها ، دون إلزام
بالحاق علامة التأنيث بها ، سواء أكانت تلك
الكلمات أسماء في أصولها أم كانت صفات .
وإنه رأى جديداً من قديم ، كما ترى!

محمد شوقي أمين

النساء على حالها من التذكير ، دون إلحاق
علامة التأنيث بها حين يطلق الوصف على
المرأة ، ولنا في ذلك أنس بمأثور اللغة ،
وتخريج من خرجه من جهابذتها الذين أحاطوا
بها خُبراً .

وعلى هذا يسوغ لـ « مجمع اللغة العربية »
أن يعرب في شأن الكلمات التي توصف بها



المصطلح الجيولوجي

للدكتور محمد يوسف حسن

جيولوجيا ؛ كلمة
من مقطعين إغريقيين :
الأول ' Ge-' ، أى



الأرض ؛ والثاني

' Logos' ، أى الكلام أو المنطق . وقد نشأت
الكلمة أصلاً عند الإغريق فأطلقوها على كل
مبحث يختص بالأرض ، ثم اشتهر استعمالها عند
الرومان ، غير أن معناها تخصص عندهم
فاقتصروا على حرفة تحديد مساحات الأراضي
والحيازات ووسائل إثبات ملكيتها . وكان
المتخصصون في هذا المجال عندهم يدرسون
القانون أساساً ، وشيئاً من علم المساحة لم يكن
من ممارسة أعمالهم بدقة وكفاءة . وقد أدى
هذا الاتجاه إلى تحريف المدلول الأصلي للكلمة
شيئاً فشيئاً حتى أصبحت كلمة « جيولوجيا »
عندهم مرادفة لمهنة « الحمامة » ، وكان
الجيولوجي عندهم هو المحامي المتخصص
بالذات في النزاعات على ملكية الأراضي .
وظل هذا المفهوم لكلمتي : جيولوجيا
وجيولوجي شائعاً في أوروبا خلال العصور
الوسطى وجانب من عصر النهضة .

أما المفهوم الحديث لكلمة جيولوجيا بمعنى
العلم الطبيعي المختص بدراسة الأرض : جزماً
سماوياً من حيث أصلها ونشأتها وتطورها ،
وبدئة بشرية من حيث تركيبها الطبيعي
والكيميائي ، وبنائها ، والحوادث التي مرت
بها وتاريخ الحياة عليها ، وتوزيع ثروتها
وكنوزها من المعادن والوقود الطبيعي ؛ فقد
نشأ في خلال القرن الثامن عشر فقط في
أوروبا . واطرد تناول هذا المفهوم حتى
اليوم ليرسم حدوداً واضحة لعلم مستقل
بذاته ، قائم بأركانها .

وقد دخل لفظ « جيولوجيا » اللغة العربية
مع دخول النهضة العلمية وإنشاء الجامعات
في مصر وغيرها من البلاد العربية . وحاول
المشتغلون من العرب بهذا العلم والمترجمون
لكتبه الأوروبية في صدر هذا القرن وأواخر
القرن الماضي وضع كلمة عربية أصيلة مرادفة
لكلمة « جيولوجيا » بملولها العصري الذي
سبقته الإشارة إليه ؛ فمنهم من قال : « علم
الأرض » ، ومنهم من قال « علم طبقات
الأرض » ؛ والتزم بعضهم باللفظ الأوروبي
معرّباً ؛ وأشهر هؤلاء المغفور له الدكتور
حسن صادق (١٨٩١ - ١٩٤٩م) أول مدير
مصري للمساحة الجيولوجية المصرية وصاحب
أول كتاب علمي باللغة العربية في هذا
المجال ، وهو كتاب « الجيولوجيا » الذي
صدرت الطبعة الأولى منه في عام ١٩٢٩م -
القاهرة .

ومع اهتمام مجمع اللغة العربية بالمصطلحات العلمية في هذا القرن اختلفت الآراء ، وثار الجدل حول تعريب الكلمة أو ترجمتها . وكان من أقطاب هذا الجدل المغفور لها الأستاذان أحمد لطفى السيد وعباس محمود العقاد وبعض خبراء الجيولوجيا في المجمع . وانتهى الجدل في الخمسينيات الأخيرة بأن أقر مجلس المجمع تعريب الكلمة « جيولوجيا » وفضله على ترجمتها ، وذلك لانتساع المعنى الذى يفهم من « علم الأرض » حتى إنه ليشمل معظم العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ، ولضيق المعنى الذى يفهم من « علم طبقات الأرض » حتى أنه ليقصر على جزء فرعى من علم الجيولوجيا يختص بدراسة تتابعات الصخور الرسوبية وحسب . وبذلك أخذت كلمة « جيولوجيا » أخيراً في مجال اللغة العربية اعترافاً رسمياً ودخلت في زمرة المعرب منها .

وبصرف النظر عن هذا الجدل وعن اختلاف المعنى العصرى عن المعنى القديم لكلمة « جيولوجيا » ، فإن ذلك المجال من العلم الطبيعى الذى تحدده الكلمة بمعناها العصرى قد مارسه القدماء منذ أقدم عصور الحضارات . فقد عرفه المصريون القدماء ثمرة من ثمرات تجوابعهم الصحراء والجبال تنقيباً عن معادن الذهب والمنجنيز والنحاس

والأحجار الكريمة كالفيروز والزمرد والزبرجد ، وبحثاً عن محاجر صخور البناء والزينة . وقد كانوا عمالقة التاريخ غير منازعين في البناء والنحت والزخرفة والفن ، ناهيك عما خلفوه من آثار عديمة النظائر من الأهرام والمقابر والمسلات والتماثيل والمعابد شيدت أو قدت من أفخر الأحجار كالجرانيت والسماقى والديوريت والرخام والبسطى وحجر الجير وحجر الرمل ، ناهيك كذلك عما تركوه مما نعرفه ومما لا نعرفه بعد من القناطر المقنطرة من الذهب من حجرات وتوابيت وأثاث وأدوات وحلى وعملة وغير ذلك ، وعما ابتدعوه من أكحال ومساحيق للزينة وطلاءات مستخرجة مما تزخر به الصحراء من خامات طبيعية . ولا بد أنه كانت لهم في هذه الفنون أوراق ومؤلفات ووثائق بنجل التاريخ باظهارنا على أكثرها ، ولكن أقل ما يقال فيما سمح التاريخ بكشفه لنا وخلد به ذكر هؤلاء القدماء في مجال علم الجيولوجيا تلك الحارطة القديمة والأولى من نوعها في التاريخ والمأثورة من عهد الأميرة الحادية والعشرين إبان ملك رمسيس السادس ، والتي تبين توزيع الصخور المختلفة بالألوان في منطقة الفواخير بجنوب الصحراء الشرقية ، كما تبين تخطيط واتجاهات الطزق المؤدية إليها

و المنبثة فيها وأما كن معادن الذهب والأحجار النفيسة بها . وهي بذلك تعد أول خارطة جيولوجية صممت ورسمت في التاريخ . وتسمى البردية المدونة عليها هذه الخارطة باسم « بردية تورين^(*) » وأصلها محفوظ في متحف تورين بايطاليا .

لقد وكان للإغريق أيضاً باع طويل في مجالات علم الجيولوجيا ، لكن إنتاجهم فيها كان يختلف في طبيعته عن إنتاج المصريين القدماء الذي كان يتسم بالنظرة العملية والاقتصادية الهادفة إلى استغلال كنوز الثروة الأرضية . أما الإنتاج الإغريقي فكان ذا طبيعة نظرية وفلسفية أو ما نسميها الآن طبيعة أكاديمية . ولسنا في حاجة إلى التعريف بما جادت به قريحة أرسطو المعلم الأول للإنسانية في إثبات كروية الأرض ، وفي تحليل حدوث الزلازل وثوران البراكين والتدليل على طبيعة باطن الأرض . ويحدثنا التاريخ عن أن كثيراً من فلاسفة الإغريق كانوا يقضون شطراً من حياتهم على ضفاف النيل في مصر ليأخذوا العلم من مناهله الأصيلة هناك . وكان هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٥ ق. م) المؤرخ والرحالة الإغريقي الأشهر من بين هؤلاء . وقد أفاد من مشاهداته في رحلاته بشمال أفريقية وتنقيبه في آثار الأقدمين في مصر خبرات جيولوجية واسعة مكنته من وضع أشهر نظرية أساسية

في علم الجيولوجيا ما زالت تؤلف قوام الذكرك الاستراتيجرافي في هذا العلم حتى اليوم ، وهي نظرية « الأصل البحري لجبال الصحور الرسوبية » أو ما يعبر عنها أيضاً بنظرية « إغارة البحار على اليابسة وتراجعها عنها » .

وأما العرب فكانوا - ولا مرأى - أعظم من أرمى الأسس الحقيقية لهذا العلم من الأقدمين وأغزرهم فيه إنتاجاً في كلتا الناحيتين الأكاديمية والعملية التطبيقية وإن لم يطلقوا على هذا المجال من العلوم لفظاً مستقلاً خاصاً به . وعلى هذه الأسس - كما هو معروف بالنسبة للعلوم الأخرى كالطب والرياضة والفيزياء والكيمياء - قامت النظريات والنهضة العلمية الأوروبية الحديثة في هذا العلم مع بداية القرن الثامن عشر .

وقد اتسمت النهضة العلمية العربية في القرون الوسطى بأنها كانت ذات جانبين : جانب نقل عن علوم القدماء وترجمة لكتبهم ، وجانب يمتاز بالبحث المبتكر والملاحظة المستقلة الأصيلة والإضافات الجديدة . أما الجانب الأول فأعلامه من أمثال يوحنا ابن ماسويه ولوقا بن إسرافيون وغيرهما . وقد نقلوا فيما نقلوا إلى العربية مما ألفه الإغريق خاصة كتب أرسطو في المعادن والأحجار وغيرها من الكتب عن الأرض والطبيعة . وأما الجانب الثاني فأعلامه في مجال الجيولوجيا

* " منجم الذهب في بردية تورين " بقلم ج. و. موراي : مجلة المجمع العلمي المصري ، ج ٢٦ ، سنة ١٩٤٢ ، ص (٨١ - ٨٦) وخارطة .

علوم المعادن والأحجار والخامات والجبال والطبقات والحفريات والعوامل الطبيعية والمياه الأرضية . . الخ) فأكثر من أن يتسع المجال هنا لحصرهم . ومن مشاهير أعيانهم : الكندي والجاحظ وابن سينا والبيروني والتيفاشي والقزويني والكتبي الشهير بالبوطوط وابن الأكفاني وعلماء من جماعة إخوان الصفا وغيرهم . . . ونرجو أن يتاح الوقت وإمكانات النشر لتناول ما أضفاه أشهر مشاهيرهم في مقالات قادمة بإذن الله .

وقد كانت اللغة العربية دائما طوع أقلام هؤلاء العلماء في مجال الجيولوجيا كما كانت في مجال غيرها من العلوم الطبيعية : غير أنها . في مجال الجيولوجيا كانت أكثر خصبا ومواتاة . فالجيولوجيا علم الأرض بما فيها من جبال ، وضحور ومعادن وأحجار كريمة وعيون وآبار وزلازل وبراكين وغير ذلك ، وما البيئة العربية الأصيلة في الجزيرة وبعد ذلك في أرجاء الإمبراطورية العربية الواسعة بعد ظهور الإسلام إلا مزيج من معظم هذه المعالم والظواهر والجواهر التي ابتكر لها العرب الأقدمون الأسماء والمرادفات والأوصاف التي تكاد تعجز الحصر والتي تغنج بها معاجم اللغة الكبرى .

وقد أسرفت اللغات الأوروبية في عصر النهضة في الاستعارة من الأصول اليونانية واللاتينية لوضع مصطلحات الجيولوجيا ، بل كانت تستعير الكلمات من اللغات الشرقية

ومن العربية بالذات لتسد العجز في مفرداتها المناسبة للتأليف في هذا المجال كما سنورد في بعض الأمثلة بعد قليل : أما في إبان النهضة الحديثة لتعريب العلم في مصر والعالم العربي ، فإن اللغة العربية اعتمدت في مجال علم الجيولوجيا اعتمادا يكاد يكون تاما على ذخيرتها من الألفاظ الأصيلة أو المعربة الموغلة في القدم في تاريخها ، اللهم الا في النذر اليسير جدا من المصطلحات ذات الأصل الأجنبي أو اللاتيني الذي لم يكن الابقاء عليه الا من أجل حفظ الروابط مع ما كتب من علم متقدم باللغات الأوروبية :

وفي خلال ربيع القرن الأخير لم يستعصم^١ على علماء الجيولوجيا المعاصرين المؤمنين بحركة تعريب العلوم العثور على الدرر الكامنة في بحر اللغة العربية الزاخر مما يناسب جل ما يريدون نقله إليها من مصطلحات . وقد بلغ ما نقله أعضاء مجمع اللغة العربية وخبراء الجيولوجيا به من المصطلحات الجيولوجية في خلال هذه المدة ما ينيف على الخمسة آلاف نشر منها المجمع في عام ١٩٦٤ نحو من ألف وخمسة مئة مصطلح في معجم جيولوجي خاص . والمجمع الآن بصدد اعداد معجم جيولوجي وافر يضم أكثر من خمسة آلاف مصطلح معرف تعريفيا علميا كاملا . وقد اكتشف القائمون بهذا العمل أن قدرنا غير قليل من هذه المصطلحات المراد نقلها إلى العربية « بضاعة عربية » أصلا آن الأوان لردها إلى أصحابها .

- ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :
- طلق = Talc ، عقيق = Agate ، عرق = Erg ، فرفيرى = Porphyry ، لابة = Lava ، جرول = Gravel ، خلقدونى = Chalcedony ، يشب = Jasper ، سيف = Seif ، رق = Reg ، مرمر = Marble الخ . . .
- وما زال في أحشاء بحر العربية ثروة زاخرة من درر المفردات المتنوعة في الأبواب المختلفة من الجيولوجيا يمكن الاستعانة بها في النقل والتأليف ، وسنعرض ان شاء الله لذلك تفصيلا في مقالة قادمة ، وفيما يلي بعض أمثلة فقط من باب التوضيح لا الدرس والاحاطة :
- في باب المادة الأولية للصخور : القطر - اللابة - الحرة . . .
- في باب مادة الغلاف الصخري للأرض : المعدن - الجواهر - البلور - الحجر - الصخر - الأديم - التربة .
- في باب الكسارة والحطام الصخري : الرمل - الحصى - الجرول - الحصباء - الركام - الطمي - الغرين - الطين - الرذغ - الصلصال - الحمأ - الأبليز .
- في باب طبيعة الأرض : الكديد - الراهصة - المرمريس - الحزن - السهل - السهب - العرق .
- في باب أحجام الكسارة الصخرية : الحبة - الحصوة - الفهر - الجلمود .
- في باب المرتفع والمنخفض من الأرض : الجبل - التل - التلعة - القمة - القلة - السفح - الخائق - الأخدود - الوادى - الحرف - السهل . . .
- في باب الرمال والرياح : التذرية - السنى - النيم - الدرج .
- في باب المياه الأرضية والبحارية : العين - البئر - الحدول - النهر - الرافد - السيل - النز . . .
- في باب الهيئات الحقلية للصخور : الحدة - العرق - الوقد - الراسخ .
- في باب الحركات الأرضية ومعالمها : الميد - الرج - الدسر - الطي - الصدع - الحسف .
- في باب هيئات التجمعات الرملية : الكثيب - القوز - العقنقل .
- في باب أسماء المعادن والصخور : المرو - البلور - العقيق - الرخام - المرمر - الخبزع - الصوان - الظران - الطلق - الزبرجد - الزمزد - الياقوت - الهيصم - البلق .

محمد يوسف حسن

في القرآن والعربية :

دراسة في صيغتي "فعل وأفعل"

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

عنه (هرقت^(٥)) والأصل : أرقت . وفي
شعر امرئ القيس :

« وإن شفائي عبرة مَهْرَاقَة^(٦) . »

كما ظهر قلب الهمزة هاء في طيء في
« إن » الشرطية حيث يقولون : هن فعلت^(٧) .

كما كانت طيء تقول أيضا « هزيد فعل
ذلك » في : أزيد^(٨) . « وهذا التعاقب بين الهمزة

والهاء يعلل لنا التعاقب بين وزني (أفعل وهفعل)
لأن الهمزة والهاء حلقيتان : وهذا يؤكد أن

العربية كغيرها من الساميات استخدمت
الهمزة والهاء في هذا الوزن ، ثم فضلت

العربية الهمزة بعد ذلك معرضة عن الهاء
لأسباب تتفق وطبيعتها اللغوية^(٩) ، وكما

لم تتفق القبائل العربية على استعمال وزن
« أفعل » بالهمزة ، فقد جاء في اللسان :

أراقه وهراقه - على البدل عن اللحياني ،
وعزاها إلى اليمن ، ثم فشت في مضر^(١) .

« ويفهم من رواية اللحياني أن صيغة (هفعل)
كانت أصلا في اللغات العربية الجنوبية ،

ولكنها ظهرت في مناطق جغرافية أخرى
حيث ظهرت في اللحيانية القديمة^(٢) ، ثم في

الكنعانية القديمة والمؤابية ، وبعض اللهجات
الآرامية^(٣) .

كما ورد في العربية الفصحى أيضا وزن
(هفعل) بدل (أفعل) فقد جاء عن الكسائي

« أرحت دابتي ، وهرحتها^(٤) » ، كما حكى

(١) اللسان : ١١-٤٢٨

(٢) لغات النقوش العربية : ١٢ دكتور مراد كامل .

(٣) انظر : وزن أفعل : دكتور خليل يحيى نامي .

(٤) إبدال أبي الطيب : ٢-٥٧٠

(٥) ليس في كلام العرب : ٧٢ ، المفصل : ٣٦٩ ، الأمل : ٦٨-٢ للقال .

(٦) شرح المعلقات السبع : ٨

(٧) شرح الشافية : ٣-٢٢٣ ، اللسان : ١٦-١٧٨

(٨) اللسان : ٢٠-٣٧٣

(٩) وزن أفعل : دكتور خليل نامي .

فعلت العربية ، فعلت اللحيائية حيث أخذت صيغة (أفعل) بالهمزة تظهر فيها بعد أن أعرضت عن وزن (هفعل^(١)) .

والآن نتوجه إلى بحث اختيار القبائل العربية لأحدهذين الوزنين (فعل وأفعل) :

١ - أورد صاحب المصباح أن « جزی » مجزى جزاء - من غير همز - لغة الحجاز كما نسب « أجزأ » بمعناه أيضا - إلى تميم^(٢) . وفي اللسان أن النبي (ص) قال لأبي بردة حين ضحى بالخذعة « تَجزى عنك ، ولا تَجزى عن أحد بعديك » وهو كما قال الأصمعي « مأخوذ من قولك « قد جزی عنى هذا الأمرُ يجزى عنى^(٣) » وهذا يقوى أن الحجاز تقوله - مجردا ، لأن النبي (ص) من تلك البيئية ، ونقل ابن منظور أنهم يقولون « جرت عنك شاة وأجزت - بمعنى^(٤) » .

٢ - كما ورد أن (سمحت) مجردا لغة الحجاز ، وأسحت - لغة تميم ، وأورد أبو حيان شاهدا للهجة تميم من قول الفرزدق^(٥) وإذا التفتنا إلى كتاب الله وجدنا أن حمزة ،

والنكسائي وحفصا والأهمش يقرؤون - « فيسحتكم بعذاب » بضم الياء وكسر الحاء من أسحت - رباعيا ، على حين قرأ باقي السبعة بفتحها من (سمحت) ثلاثيا^(٦) . والقراء السابقون يمثلون البيئية الكوفية تلك التي تأثرت بقبائل شرق الجزيرة كتميم . وقد وجه ابن خالويه في مخطوطة الحجة القراءتين - ولم يعزهما^(٧) .

٣ - ورد في المزه نقلا عن يونس في نوادره : أن الحجاز يقولون : لاته^(٨) عن وجهه - يلكيته ، وتميم : ألاته - يلكيته^(٩) ، وقد وردت اللغتان في قوله تعالى : (لا يلتكم من أعمالكم شيئا^(١٠)) ، وقرأ على اللهجتين الحجازية والتميمية كثير من القراء^(١١) .

٤ - كما نقل ابن منظور : مضنى الجرح وأمضنى : ألمنى وأوجعنى ، كما نقل أبو عبيدة الصيغتين عن العرب : مضنى وأمضنى . وقال : « أمضنى كلام تميم^(١٢) » وورد لها شاهد وهو قول سنان بن محرش : (من الحلوء صادق الإمضاض^(١٣))

(١) لغات النقوش العربية : ١٢ دكتور مراد كامل .

(٢) المصباح : ١-١٥٧

(٣) اللسان : ١٨-١٥٩

(٤) المرجع السابق .

(٥) البحر : ٦-٢٤٤

(٦) الإتحاف : ٣٠٤ ، البحر : ٦-٢٤٥

(٧) الحجة لابن خالويه : ورقة ٩٦ مخطوطة بدار الكتب .

(٨) لاته : نقصه .

(٩) المزه : ٢-٢٧٦

(١٠) سورة الحجرات آية : ١٤

(١١) الإتحاف : ٣٩٨

(١٢) اللسان : ٩-١٠١

(١٣) المرجع السابق .

ولعل السبب في إنكار الأصمعي لها أنه كان يتشدد في اللغة وأنه كان يفرق بين الصحيح والأصح ، ويذهب في معظم أمره مذهب الأفصح في كلام العرب - أما أبو زيد فقد كان يقبل جميع ما جاء عن العرب ، ويذهب فيه مذهب الصحة والصواب . وهما نظرتان مختلفتان . ومهما كان فإن الأصمعي بتضييقه في اللغة قد أنكر قراءة مروية وهي التي قرأ بها عيسى بن عمر في الآية السابقة . ويظهر أن هذا كان من طبع الأصمعي ، ومما يؤيد ذلك أنه كان ينكر ما يأتي به الكميث ، حدث أبو حاتم قال « قلت للأصمعي أتجيز إنك لتبرق لي وترعد؟ فقال : لا ، إنما هو تبرق وترعد ، فقلت له : فقد قال الكميث :

أبرق وأرعد يا ريب

د فها وعيدك لي بضائر

فقال : هذا جرمقاني (*) من أهل الموصل ، ولا آخذ بلغته ، فسألت عنها أبا زيد الأنصاري فأجازها « وهذا إن دل فإنما يدل على مذهب الأصمعي في ولعه بأجود اللغات ورده ليس كذلك ، وما رده الأصمعي .

(٢) سورة الفرقان : آية : ٥٣

(٤) سورة التوبة آية : ٤٩

(٦) اللسان : ١٧-١٩٤

(٨) الخصائص : ٣-٢٩٣

٥ - كما عزا أبو حيان صيغة (مرج) بمعنى خلط إلى لهجة الحجاز (وأمرج) عزاها إلى (١) نجد ، وذلك بمناسبة تفسيره لقوله تعالى « وهو الذي مرج البحرين (٢) » .

٦ - وعزا أبو حيان : فتن - إلى الحجاز بينما لغة تميم : أفتن (٣) . كما قرأ عيسى بن عمر « ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني (٤) » بضم التاء الأولى من أفتن وعزاها أبو حاتم إلى تميم (٥) . وقد جاء في اللسان أن أعشى همدان جاء باللغتين في قوله :

لئن فتنتني لآسى بالأمس أفنتت

سعيدا فأمسى قد قلا كل مسلم
وعلى الرغم من أن الأدلة شاهدة على صحة أفتن - المزيدة ، والمنسوبة إلى تميم بشهادة قول رؤبة :

(يُعرضن لإعراضاً لدين المفتن) وقوله :

(وإني وبعض المفتنين . . .) (٦) .

الا أن الأصمعي قد أنكرها ، وقال عن بيت الشاهد في شعر الأعشى « إنه مخنث » وأبو زيد قد أجازها (٧) .

(١) البحر : ٦-٤٧٨

(٣) البحر : ٣-٣٣٩ ، النهر الماد : ٣-٣٣٨

(٥) البحر : ٥-٥١

(٧) الخصائص : ٣-٣١٥ ، اللسان ١٧-١٩٤

(*) الجرامقة : طائفة من الكلدانيين ، وهم السريانويون .

صحيح في اللغة ، بدليل أنهم احتكموا إلى
أعرابي في ذلك حين سأله أبو زيد « كيف
تقول إنك لتبرق لي وترعد ؟ فقال له
الأعرابي : أفى الخفيف تعنى ؟ أى التهدد .
فقال : نعم ، فقال الأعرابي : إنك لتبرق
لي وترعد^(١) .

٧- كما عزا يونس في نوادره إلى
الحجاز قولهم « هو الذى ينتقد الدراهم »
وتميم تقول في مثل ذلك : وهو الذى ينتقد^(٢)
أى يستعملونها مزيدة ، والحجاز تستعملها
مجردة . كما نسب إلى الحجازيين « اتخذت
ووخدت ، وميم تقول في مثل هذا
« اتخذ^(٣) » .

٨- كما عزا أبو حيان صيغة (أجنب)
إلى تميم ، وهى مزيدة ، وغيرهم من
الحجازيين يستعمل (جنب^(٤)) .
وإذا رجعنا إلى كتاب الله وجدنا أن
الجحدري وأبا الهجهاج يقرآن (وأجنبنى
ونبى أن نعبد الأصنام) بهمزة القطع على
لهجة تميم كما جاء فى المحتسب^(٥) . ولكن
أبا حيان عزاها إلى الجحدري وعيسى
القفقى^(٦) .

٩- كما جاءت عدة روايات وكلها تعزو
المزيد إلى تميم كقولهم « أوقعت بهم » بالألف

وغيرهم يقول « وقعت^(٧) » مجردا ، كما
عزا ابن القوطية إلى تميم قولهم « أوقفت
الدار والداية^(٨) » على حين غيرهم يقول « ووقفت »
مجردا ، ولكن الأصمعى أنكر « أوقفت »
بالألف ، وقال : الكلام « ووقفت » بغير
ألف^(٩) . وعلى أى حال فعجبنا يشدد للأصمعى
لأنه أنكر لهجة كلهجة تميم - تلك التى قال
عنها ابن حزم « بأنها قاعدة من أكبر قواعد
العرب^(١٠) » ، وربما نلتمس العذر للأصمعى
فى رفضه تلك الصيغة ، بأنها لم تبلغه - كما
عزى صاحب الكامل إلى تميم صيغة مزيدة
وهى « أهبطته^(١١) » وغيرهم يقول « هبطته » .

١٠- كما ذكر ابن منظور « ما فتئت
وما فتئت أذكره - وما أفئات » وعقب
على هذا بأن الصيغة الأخيرة « تميمية^(١٢) »
أى أن تميم كانت تستعملها مزيدة ، كما
عزاها السيوطى إلى تميم أيضا^(١٣) .

فمن الشواهد السابقة نلمح أثرا واضحا
وهو أن تميمًا تميل إلى استعمال صيغ الأفعال
المزيدة . ولم تكن تميم وحدها فى هذا الميل
بل شاركتها قبائل أخرى . :

١- كقيس حيث روى اللحيانى أنهم
يقولون « أخلى فلان على اللبن^(١٤) واللحم »

(١) الأخطاء اللغوية الشائعة : ٨-١ الشيخ محمد النجار ، الخصائص : ٣-٢٩٤

(٢) المزمع : ٢٧٦-٢

(٣) المرجع السابق .

(٤) البحر المحيط : ٥-٤٢٩

(٥) المحتسب : ٢-٢١ مخطوط .

(٦) البحر : ٥-٤٢٩

(٧) المصباح : ٢-١٠٣٧

(٨) الأفعال : ١٥٧ ابن القوطية .

(٩) المصباح : ٢-١٠٣٨

(١٠) جمهرة أنساب العرب : ١٩٦

(١١) الكامل للمبرد : ١-٢٢٠

(١٢) اللسان : ١-١١٤ (١٣) الجمع : ١-١١٢ (١٤) اللسان : ١٨-٢٦١

ودبر هذه بطن من أسد ، بل يصرح ابن منظور بأن لهجة أسد (أعصفت) وغيرهم (عصفت) (١٠) .

٤ - كما روى « حدثت المرأة على زوجها . . . وأحدثت (١١) » . وقد حكى الكسائي عن عقيل « أحدثت » وقال الفراء : كان الأولون من النحويين يوثرون « أحدثت فهي محدث » قال : والآخرة أكثر في كلام العرب (١٢) .

ولكن ما الضلة بين هذه القبائل وبين تميم حتى تتفق في الظاهرة معها ؟ أرى أن القبائل التي اتفقت مع تميم في الظاهرة تتفق أيضا معها في البيئة الاجتماعية ، فتميم بينتها بدوية ، وقيس وأسد وعقيل . ومنطقة نجد يغلب عليها طابع البداوة كذلك .

ولهذا رأينا المناطق المتحضرة (١٣) تنجح غالباً إلى الصيغة المجردة - فالحجاز قد آثرت كما تشهد بذلك النصوص السابقة ، كما سارت سيرها بعض المناطق المجاورة لها كل لهجة العالية : فقد جاء في المصباح أنهم

كما عزا صاحب البحر لقيس صيغة (أفئن) (١) في تفسيره قوله تعالى « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا (٢) » كما عزي لقيس أيضا أنهم يقولون « أهديت العروس (٣) » وغيرهم هديت العروس . والعجب من الكسائي حيث ذكر في رسالته أن « أهديت العروس » لحن (٤) .

٢ - « ونجد » سارت على نهج تميم تقريبا ، فقد سمع أبو حاتم من أبي زيد أن أهل نجد يقولون : أكننت الحارية والدررة ، وقال أبو حاتم : يقول أكثر العرب كننت الدررة والحارية وكل شيء (٥) » كما روى صاحب البحر أن نجدا تقول أجنب - وغيرهم جنب (٦) ، وذكر صاحب الإتحاف أنهم يقولون : أسحت وغيرهم سمحت (٧) وورد في البحر ما يويد هذا (٨) .

٣ - كما سارت تقريبا لهجة أسد على هذا أيضا يوئده ما رواه الفراء لبعض بني دبر : حتى إذا أعصفت وريح مزعزة فيها قطار ورعد صوتها (٩) زجل

- | | |
|---|---|
| (١) البحر : ٣٢٩-٣ | (٢) سورة النساء آية : ١٠١ |
| (٣) المصباح : ٩٨٤ | (٤) ما تلحن فيه العوام : ٥٤ حاشية |
| (٥) المخصص : ٢٤٨-١٤ | (٦) البحر : ٤٢٩-٥ |
| (٧) الإتحاف : ٣٠٤ | (٨) البحر : ٢٤٤-٦ |
| (٩) معاني القرآن : ٤٦٠-١ دار الكتب | (١٠) اللسان : ١٥٣-١١ |
| (١١) المصباح : ١٩٤-١ | (١٢) ما تلحن فيه العامة : للكسائي : ٤٧ هامش |
| (١٣) انظر الفرق بين أثر البداوة والحضارة في اللغة : في اللهجات العربية . دكتور إبراهيم أنيس . في أماكن متفرقة . | |

يقولون « ملح الماء ملوحة^(١) »، كما نجد أن قريشا وهي حضرية قد آثرت الصيغة المجردة ، يدل لذلك ما جاء في اللسان من قول الجوهري : حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم ، وقد قرئ بهما^(٢) » كما عزيت الصيغة المجردة أيضا في كل من الخزانة^(٣) ، والبحر المحيط^(٤) ، والمصباح^(٥) إلى قريش. ولكن هل يمكن أن يكون ذلك قانونا تسير عليه اللهجات العربية ؟ أرى أنني لا أستطيع أن أبلغ به حد الحتم ؛ لأنني عثرت على شواهد تفيد العكس ، ولكنها مع ذلك شواهد قليلة منها :

١ - ما عراه اللحياني في اللسان^(٦) من أن تميم تقول « خلا فلان على اللبن وعلى اللحم . إذا لم يأكل منه شيئا ولا خلطه به ، وغيرهم يقول « أخلى » .

٢ - نسب ابن القطاع « جبرت » إلى تميم مجردة ، وعامة العرب يقولون : « أجبرته^(٧) » مزيدة ، وقال الأزهرى ،

« جبرته وأجبرته لغتان جيدتان » ، كما ذكر ابن دريد الصيغتين المزيدة والمجردة . ولم يعزهما^(٨) ، وذكر الأزهرى في اللسان أن « جبرته على الأمر » لغة معروفة^(٩) .

٣ - أن تميميا كانت تستعمل الفعل « هلك » فيقولون « هلكته » ، وغيرهم يقول « أهلكته » بالهمزة^(١٠) .

كما وجدت صيغا أخرى تعزو الأفعال المزيدة إلى الحجاز - ومنها :

١ - عزا الفراء إلى الحجاز (أوفى) ، كما نسب إلى نجد (وفى) بغير ألف^(١١) وقال ابن قتيبة : وفيت بالعهد ، وأوفيت به . وساق الزجاج قول الشاعر مستشهدا على اللهجتين :

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته

كما وفى بقلاص النجم حاديا^(١٢)

وقال ابن جنى عن هاتين الصيغتين (أوفى) و (وفى) لغتان قويتان^(١٣) .

(٢) اللسان : ١٦-٢٦٦
(٤) البحر : ٦-٣٤٢
(٦) اللسان : ١٨-٢٦١
(٨) المرجع السابق .
(١٠) المخصص ص ٦ ص : ١٢٧

(١) المصباح : ٨٩٣
(٣) الخزانة : ١-٥٧٩
(٥) المصباح : ١-٢٠٨
(٧) المصباح : ١-١٤١
(٩) اللسان : ٥-١٨٥
(١١) البحر المحيط : ١-١٧٢
(١٢) الخصائص : ٣-٣١٦ ، البحر المحيط : ١-١٧٢
(١٣) الخصائص : ٣-٣١٦

٢ - كما عزا اللسان « أسرى » بالألف إلى الحجاز^(١) . وسرى - لغة غيرهم ، كما نجاءت رواية أخرى مماثلة في المصباح^(٢) ، وإذا التفتنا إلى كتاب الله نجد أنه قرئ باللهجتين في قوله تعالى « أسرى بعبده »^(٣) وقوله « والليل إذا يسر » ، فهو من سرى - ولو كان من : أسرى - لكان : يُسرى .

وعلى كل فالقوانين التي تخضع لها اللهجات واللغات ، ليست لها صفة الحتم كقوانين الطبيعة والرياضة ، بل نكتفي بالحكم على الكثرة الغالبة ، ولا يضيرنا بعض الظواهر التي تبدو شاذة أو غريبة حول القاعدة .

والآن أريد أن أنقش الرواة في فهمهم لصيغتي (فعل وأفعل) مثل : سرى وأسرى وسقى ، وأسقى ، وفن وأفن - فهم على أن معنى الصيغتين واحد ، المجردة والمزيدة ، ويستدل لذلك بما جاء في اللسان من قولهم سريت ، وأسريت بمعنى - إذا سرت ليلاً^(٤) ومثل هذا جاء في الصحاح أيضاً^(٥) ، وكما جاء أن « وفي الكيل وأوفيته »^(٦) بمعنى . والحق أن كلام اللغويين فيه تسامح ظاهر ، فصيغة (فعل) - لا بد وأن يختلف معناها عن صيغة (أفعل) ، لأن زيادة المبنى تبدل

على زيادة المعنى فلا بد أن صيغة « أفعل » تدل على معنى زائد عن صيغة (فعل) فإذا قلت : أقاله أو أسقاه كان أبلغ في الدلالة من « قاله وسقاه » أو أن نقول : إن كل صيغة منهما تعيش في بيئة خاصة كما سبق ، فصيغة (فن) تعيش في بيئة الحجاز ، وصيغة أفن - تعيش في بيئة تميم^(٧) . ولا يعقل أن الرجل في البيئة الواحدة كان له من الاختيار والحرية بحيث ينطق الصيغة مرة مجردة ، وأخرى مزيدة ، كما لا يعقل أن بعض الأفراد في البيئة الواحدة يؤثرون صيغة فعل ، وبعضهم يؤثر صيغة أفعل ، فلما أن نفرق بين الصيغتين فنقول مثلاً في صيغة « وقف » بأن « ما يمسك باليد يقال فيه « أوقفته » بالألف ، وما لا يمسك باليد يقال فيه : وقفته - بغير ألف^(٨) » أو أن يقال « جبرت » لجبر العظم بعد كسره ، وأن يكون (أجبر) مقصوداً به الإكراه^(٩) ، وهذا معنى قول الخليل « من قال : عقب : لا يقول : « أعقب »^(١٠) ، ومما لاشك فيه أن صيغة « أفعل » تدل على معان عدة : كالتعدية ، والتعريض ، والسلب والإزالة والتمكن^(١١) ، تختلف فيها عن (فعل) .

(٢) المصباح : ١-٢٠٤

(٤) اللسان : ١٩-١٠٣

(٦) البحر المحيط : ١-١٧٢

(٨) المصباح : ٢-١٠٣٨

(١٠) العين : ٩٥ ط بغداد

(١) اللسان : ١٩-١٠٣

(٣) سورة الإسراء آية : ١

(٥) خزائن الأدب : ١-١-٥٥١

(٧) البحر : ٣-٣٣٩ ، النهر الماد : ٣-٣٣٨

(٩) اللسان : ٥-١٨٥

(١١) شذا العرف : ٢١

ويظهر أن ابن درستويه قد لحظ هذا فهو يقول في شرح الفصيح « لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان ، والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين ، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها ، ولم يعرف السامعون العلة فيه ، والفروق ، فظنوا أنها بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل ، فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب ، فقد أخطأوا عليهم في تأويلهم مالا يجوز في الحكمة ، وليس يجيء شيء من ذلك الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا - أو أن يكون على معنيين مختلفين^(١) » .

تصوير القرآن الكريم للظاهرة :

ولقد لحت موقف القرآن الكريم من هذه الظاهرة فيما يأتي :

١- قراءة الجحدري وعيسى الثقفي « وأجنبني وبنيت أن نعبد الأصنام^(٢) » من «أجنب» وهي لهجة نجد^(٣)، وقرأها الآخرون من (جنب^(٤)) .

٢- وقرأ عيسى بن عمر « ولا تفتني^(٥) » بضم التاء الأولى من أفتن - وهي لهجة تميم^(٦)، وقرأ الآخرون: تفتني - بفتح التاء الأولى من فن .

٣- وقوله تعالى « لا يحزنهم الفزع الأكبر^(٧) » قرأ أبو جعفر بضم الياء من أحزن وهي في تميم ، وبعضهم من حزن^(٨)، كما أورد ابن خالويه في الحجة عدة^(٩) قراءات قرآنية جاء الفعل فيها مرة من فعل ، وأخرى من أفعل .

(١) المزهر : ٣٨٤-٣٨٥

(٢) سورة إبراهيم آية : ٢٥

(٣) البحر : ٥-٢٩-٤٢١ ، مختصر شوافع القرآن : ٦٨ ابن خالويه .

(٤) المحتسب : ٢-٢١ مخطوط

(٥) سورة التوبة : آية : ٤٩

(٦) البحر : ٥-٥١

(٧) سورة الأنبياء آية : ١٠٣

(٨) البحر : ٦-٣٤٢

(٩) الحجة لابن خالويه : ورقة : ٢٨ ، ٨٥ ، ٢٧ مخطوط بدار الكتب .

الأصمعي عن هذا فقال: لا يقال: أباع ،
فقلت : قول الشاعر الأجدع بن مالك
الهمداني :

ورضيت آلاء الكميت فن بيع
فرسا فليس جوادنا بمباع

قال الأصمعي : لعلها لغة لم يعنى أهل
اليمن - ثم عقب ابن دريد غلى إنكار
الأصمعي لها بقوله : وقد سمعت جماعة من
جرم فصحاء يقولون : أبعث الشيء -
فعلت أنها لغة لم^(٤).

ونستنبط من هذا العرض أن القرآن
الكريم قد راود بين هاتين الصيغتين في
قراءاته ، وكأنه بذلك يوثق هذه اللهجات
العربية بالقراءة المروية أولا ، ثم ليجد
كل قبيل من العرب سمعته اللغوية في هذا
الكتاب ، فيكون القرآن قد قصد بذلك
إلى هدف آخر سياسي بجانب الهدف اللغوي
- وهو جمع العرب في طزيق واحد إلى
هدف واحد.

احمد علم الدين الجندي

وكذلك عثرت على عدة قراءات قرآنية
في كتاب شواذ القرآن جاءت كل قراءة
على أحد هذين الوزنين^(١). وقد نسمع بعض
الأحكام التي تصدر على أحد الوزنين
السابقين كقول ابن منظور : اللغة العالية
حزنه يحزنه ، وأكثر القراء قرعواها^(٢) ،
كما أن الأصمعي كان لا يحب أن يبدى رأيا
في فعل وأفعال ، لاسيما إذا كانت الكلمة
قد وردت في القرآن ، فلم يتكلم في عصفت
وأعصفت ، لأن في القرآن « ريح عاصفة » ولا
في سمته وأسمته لأن في القرآن : « فيسحتكم^(٣) » .
وربما ذلك يرجع إلى خوفه من الخوض
في القرآن تورعا ، أو لأن هاتين الصيغتين
تدور حول الأفعال التي ترتبط بالحبر والقدر
كما تقدم في الأمثلة السابقة من مثل قولهم :
جبر وأجبر - وهو لا يريد أن يزوج بنفسه
في هذا المهيح الخطير ، أو ربما أنه كان
لا يميز إلا أفصح اللغات ويلغى ماسواها ،
ويبدو هذا فيما رواه ابن دريد قال : « سألت
أبا حاتم عن باع وأباع ، فقال : سألت

(١) شواذ القرآن : ١١٤ ، ٢٦ ، ٦٨ ، ٢٢ ، ٢٦ لابن خالويه .

(٢) اللسان : ١٦-٢٦٧

(٣) المزهرة : ٢-٢٢٦

(٤) الجمهرة : ٣-٤٣٦

الأحجية في الشعر العربي

للأستاذ محمد قنديل البقالي



تلازم لاشك بين
الفصحى والعامية

لاتخالو من ذلك لغة ، وهذا التلازم له
مظاهر تختلف مراتبه فقد يشتد ما بين العامية
والفصحى من قرب وقد يبتعد ، ومرد
ذلك لاشك إلى تمكن الفصحى من الألسنة
وعدم تمكنها ، نغى شيوعها وانحصارها
ففي شاعت الفصحى على الألسنة وأصبح
المتكلمون بها أكثره غالبية ، رأينا هذا التقارب
يشتد حتى لتكاد العامية تنهج نهج الفصحى ،
ويكاد الاختلاف بين الاثنتين ينحصر في
فوارق ضئيلة . أما إذا ما ضعفت الفصحى
وأصبحت لغة القلة وكان للعامية شيوع
رأينا تباعدا كثيراً بين الفصحى والعامية ،
وكدنا نرى العامية لغة أخرى لاتمت لإبصلات
قليلة للفصحى ودخلتها ألفاظ من هنا ومن
هناك ، يرجع بعضها إلى لهجات لشعوب يكون
لها دور في حياة تلك الأمم حين تضعف
الفصحى فيها وتأخذ عن غيرها الكثير من
ألفاظ وتراكيب .

واكن الذي لاشك فيه أن الفصحى مهما

غلبت على أمرها لاتغلب إلا في العرض لافي
الجوهر ، نغى أن كيان الفصحى أي
هيكلها الذي هو قواها يظل باقيا ، وأن
التغير يمس غير ذلك الكيان وذلك الهيكل ،
وإن قدر لغة من اللغات الفصحى أن تمس
في ذلك الكيان وذلك الهيكل ، كان ذلك
إيدانا بزوالها واختفت هي لتظهر لغة الغالب ،
وهي لغة أخرى بمبناها ومعناها .

ولقد منيت اللغة العربية مع عصور
الازدهار بعصور انهيار وكانت في هذه العصور
وتلك تعيش إلى جانبها لغة عامية ضعفت مع
عصور الازدهار فكان التقارب بينها وبين
اللغة العربية شديداً وضعفت الفصحى في
عصور الانهيار فبعد ما بينها وبين العامية
من تقارب وبدت العامية وكأنها لغة أخرى
تعيش إلى جانب اللغة الفصحى ، ولكننا
رأينا أن مع عصور الانهيار التي بدت العامية
فيها شبه لغة مستقلة ، كما قلنا ، لم نجد تلك
العامية استطاعت أن تنال من كيان الفصحى
وهيكلها ، ثم رأيناها على الرغم من هذا
الاستقلال في التعبير تعيش على تلك المناهج
القولية التي اختصت بها الفصحى مع اختلاف

شق عن الشيء وتكاد تكون لفظة الحزورة
أقرب من الفزورة إلى العربية فهي مأخوذة
من الحزر وهو الظن والتخمين .

وهكذا نرى هذا التلازم بين العامية
والفصحى ممتدا على طول السنين يحكى
فن فنا ويضارع قول قولاً ، ولكن ثمة
اختلاف مبعثه عجز القائل في العامية عن
أن يبلغ مبلغ القائل في الفصحى أو نزول
القائل في العامية إلى مستوى الشعب الذى
لا يلقن الفصحى ولا يفهمها . وسواء أكان
هذا أو ذاك فالذى لاشك فيه أنه كان ثمة
عامية لازمت العربية منذ نشأتها ، كما قلنا ،
على اختلاف في ذلك التلازم بعدا أو قربا
يوثر البعد في مجانبة العامية للكثير من نهج
العربية لفظا وأسلوبا ، كما يوثر القرب
في ظهور العامية أوفى ما تكون إلى الفصحى ،
ويكاد يكون المقول هنا أو المقول هناك
شكلا وأسلوبا إلا في خروج على الاعراب
حيناً ، وعلى الاشتقاق حيناً آخر ، واستخدام
ألفاظ دخيلة حيناً ثالثاً .

وقد قلنا إن هذا التلازم كان له مظهره
في محاكاة العامية بأزجالها للشعر العربى
وبأمثالها كذلك ، ثم في ألغازها وأحاجيها ،
وهذا ما سنعرض له في مقالنا هذا .

في الأداء ، فإذا كان للفصحى شعر له
موازينه وله طريقته ، كان للعامية ما يشبه
ذلك الشعر وهو الزجل وكان له هو الآخر
موازينه وطرائقه ، وكما كان للفصحى
أمثالها المدونة المرتبطة بأحداث تعبر عنها
في إيجاز فجاءت وكأنها الحكم ، كذلك رأينا
للعامية هي الأخرى أمثالها التى جاءت تترجم
عن أحداث قد تتفق وأحداث الفصحى ،
وقد تختلف ، ولكنها جاءت آخر الأمر
وكانها الحكم ، وكما رأينا في الفصحى مكانا
للغز والأحجية شعرا ونثراً ، كذلك رأينا
العامية تحتذى حذو الفصحى فتشغل هي
الأخرى بالألغاز والأحاجي ، وكما اختلفت
المسميات مع ذلك التشابه الذى سميناه من
قبل فسمى الشعر العامى زجلا واتخذت
فنون الزجل أسماء تقابل تلك الأسماء التى
وضعت لبحور الشعر الفصيح ، فبدلاً من
أن نسمع في العامية ذكراً للطويل والرجز
والبسيط سمعنا في العامية ذكراً للمواليا
والدوبيت والكان كان وغير ذلك .

والأمر هنا في الألغاز والأحاجي يكاد
يخضع هو الآخر لمثل ذلك فأصبح اسم اللغز
والأحجية يتسمى في العامية بأسماء جديدة ،
فسمى الفزورة أو الحزورة ويكاد يكون
الاسمان في العامية يرتدان إلى أصل عربى ،
فالغز في اللغة هو الشق والفزورة ليست
غير إمعان في الكشف عما تتضمنه فكأنها

إن الناظر في كتب الأدب الموسوعية ،
أعنى تلك التي جمعت طرائف من هنا
وهناك ، أمثال العقد الفريد لابن عبد ربه ، ونهاية
الأرب للنويري وعيون الأخبار لابن قتيبة ،
ثم تلك الكتب التي انفردت في هذا الباب
خاصة ، أعنى باب الألغاز والأحاجي والمعميات
من ذلك كتاب الألغاز للشريف عز الدين
حمزة بن أحمد الدمشقي المتوفى عام ٨٧٤ هـ ،
والألغاز لجمال الدين عبد الرحيم بن حسن
الاسنوي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٢ هـ ،
وكذا كتاب الألغاز لتاج الدين عبد الوهاب
ابن السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، ثم كتاب
الذخائر الأشرفية في الألغاز الحنفية للقاضي
عبد البر بن الشحنة الحلبي ، وثمة كتب أخرى
جاءت في الألغاز أيضاً ولكنها خاصة بعلوم
بعضها مثل كتاب الألغاز لشمس الدين محمد
ابن محمد بن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ،
وهي قصيدة همزية في القراءة .

هذا عن الألغاز والأحاجي في الفصحى -
وقد جمعت هذه الكتب العامة والخاصة
وغيرها من الألغاز والأحاجي ما هو شعر
وما هو نثر ، وكما قلنا ، أنه ليس ثمة باب
أو نهج في الفصحى إلا وحاكت مثله
العامية تقرب إن كانت الشقة بين اللغتين
غير بعيدة ، وتبعد إن كانت تلك الشقة على
درجة من البعد .

والإلغاز في مضمون معناه تحمل الألفاظ
والعبارات دلالات خفية تنغلق وتنسبط

على قدر قوة اللغز في تحميل كلماته
وعباراته دلالات خفية تدق وتجل ، من
ذلك قول الشاعر في القلم :

وما غلام راكم ساجد
أخو نحول دمه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها
منقطع في خدمة البارى

ثم قول شاعر آخر في الميزان :

وقاضى قضاة يفصل الحق ساكتا
وبالحق يقضى فلا يبوح فينطق
قضى بلسان لا يميل وإن يميل
على أحد الخصمين فهو مصدق

وقبل أن نعرض لما يحكى اللغز والأحجية
في اللغة العامية نحب أن نسوق أمثلة من ذلك
في الفصحى شعراً ونثراً لنعرف مدى القرب
والبعد بين العامية والفصحى في هذا الميدان .

وإذ كان اللغز في الفصحى حين يخرج
في قالب شعري يكاد يتسم بسمات خاصة
تباعده به في نسجه عنه إذا جاء نثراً ، وكما
يحدث ذلك في الفصحى يحدث نظيره في
العامية ، فانا نلاحظ أن الفزورة أو الحزورة
إذا انتظمها قالب من قوالب النظم العامي تجيء هي
الأخرى فيها شيء من المعاناة والتلوين والتشكيل
لانجدله نظائر في الفزورة أو الحزورة إذا صبت
في قالب من قوالب النثر ، من أجل هذا

سكان لا بد من فصل وكان لا بد من سوق
الموضوع مقسما على بابين :

١- باب يختص بما جاء في ذلك على
قالب شعري أو قالب من النظم عامي .

٢- وباب يختص بما جاء في هذه اللغة
وتلك مصبويا في قالب نثري :

اللغز والأحجية في الشعر العربي الفصيح :

الملاحظ في هذا الباب نغى ماجاء من
لغز أو أحجية على لسان شاعر أن نجد
هذا القالب الشعري فيه إعمال فكيرة وإعمال
بدئية، وفيه أيضاً ألوان مختلفة من ألوان
الاحتتيال على الدخول إلى الغرض المنشود ،
وهذا نهج من العسر بمكان لا يلبس لأى شاعر
ولا يسهل على كل قائل : ولقد وجدنا على
ألسنة شعراء لهم شأنهم ولهم خطرهم أبياتاً
في هذا الغرض ، ولكن إذا قسناهم إلى
ما قبل لهم في أغراض أخرى نجدها قليلة قلة
ملحوظة ، وهذا كما قلنا ، لتلك المعاناة
الخاصة التي يتحملها الداخل إلى هذا الغرض ،
كما قد تكون هذه القلة من الألغاز التي وردت
على ألسنة هؤلاء الفحول أصحاب القصائد
الطويلة الكثيرة لها سبب آخر ينضاف إلى
السبب الأول ، وهو الجهد الخاص والفطرة
الخاصة والموهبة التي تتصف بالحيلة والخوض
في المعميات والدخول فيما يغمض .

وهذا السبب الآخر قد يكون في نظرة
هؤلاء الفحول إلى اللغز والأحجية على أنه

عمل دون ما يعملون ويبدعون فما من شك
أنهم كانوا ينظرون إليه على أنه من الفكاهة
والدعابة ، وعلى قدر ميل هؤلاء الشعراء
الفحول إلى الدعابة والفكاهة كان يصدر
عنهم من أبيات فيها اللغز وفيها الأحجية
فنظف لأبي العلاء المعري مثلاً وهو الشاعر
الفحل الفيلسوف الزاهد الجاد في كل ما يصدر
أبياتاً في الإلغاز، وما نشك في أن الدافع لأبي
العلاء إلى نحو هذا كان عن سبب آخر
ينضاف إلى السببين اللذين ذكرناهما ، فنحن
نعرف أن أبا العلاء كان يميل إلى التعمية وإلى
الإغراب وإلى سوق الألفاظ المحملة بأكثر
من معنى ، وهذا السبب كان لاشك ،
كما قلنا ، مما ساند السببين الأولين ومما دفع
أبي العلاء إلى خوض هذا المضمار ، وعلى قدر
مرتبة الجهد من نفس أبي العلاء كانت مرتبة
اللغز والأحجية ، إذ فرق بين أن يلغز شاعر
وهو أميل ما يكون إلى الهزل والعبث وبين
أن يلغز شاعر وهو أميل إلى الجهد والتزمّت ،
فتحس مع إلغاز الأول مرحاً وطرباً ومزحاً
فيما يسوق ، على حين في إلغاز الثاني جدّاً
وصرامة وكدّاً فيما يسوق ، تحس ذلك في
قول أبي العلاء حين يلغز عن الملح فيقول :

وبيضاء من سر الملاح ملكتها
فلما قضت إربى حبوت بها صبحي

فباتوا بها مستمتعين ولم تنزل
تحثم بعد الطعام على الشرب

والجد كان إلغازه من ذلك وكذا يضمنى على
الإلغاز ما يملكه الملمغز من ملكات أدبية أو
نحوية أولغوية ، كما كانت الحال مع أبي
العلاء .

ومثل هذا الشعر الملمغز الذى يصدر على
أسنة شعراء ملمغزين من هذه البابة أعنى بابة
أبي العلاء يكون إلغازهم جافا لا إثارة فيه
ولامتعة على العكس من الشعراء الملمغزين
الذين لم يكونوا من الفحول وإنما كانوا
من الشعراء اللاهين العابثين ، ونكاد
نرى شاعراً يلحق بأبي العلاء فى هذا المضمار
وهو ابن الرومى ، ولكنه إذ كان ليس له
عمق أبي العلاء بدا شعره الذى ألغز فيه
أقرب إلى النفس وأخف على الروح ،
يقول ابن الرومى فى فتيلة السراج :

ما حيسة فى رأسها درة
تسبح فى بحر قليل المدى
إن غيببت كان العمى حاضراً
وإن بدت لاح طريق الهدى

فهذان البيتان لا شك يبدوان أقرب
ما يكون إلى الفن الإلغازى ، نعى الفن
الفكه الذى يحتاج إلى أعمال فكرة من أبيات
أبي العلاء ، ويجىء بعد ابن الرومى شاعر
آخر يخطو إلى الفن الإلغازى خطوة أوسع
وهو السرى الرفاء حيث يقول فى شبكة
الصياد :

وكثيرة الأحداق إلا أنها
عمياء مالم تنغمس فى مساء

فأنت ترى معنى أن البيت إلغازه فى
استخدام ألفاظه لغة فهو لا يحتاج منك إلى
إعمال فكرة ترتاح آخر الأمر لبلوغ الغاية
معها ، ولكنه يحتاج منك إلى بحث عن
معانى تلك الألفاظ اللغوية وما تحتمل ،
فأبي العلاء يريد هنا بكلمة سر : الخالصة ،
ويريد بكلمة الملاح : كلمة ملح . وأنت
بعد تعرف هذين المعنيين قد وقعت على
اللغز فى يسر دون إعمال فكر ودون
كدّ ذهنى ، كما قلت لك ، ثم أنت لن
تحس بعد الكشف عن اللغز إلى تلك الراحة
النفسية التى يحسها الماضون فى الكشف عن
سر الإلغاز فى أبيات لشعراء فطرتهم
المرح وديندهم المزح ، ويقول أبو العلاء
أيضا ملمغزاً فى ركابى السرج :

خيلان نيطا فى جوانب مجلس
جداراه قدام له ووراء
متى يضع الرجلين ماش عليهما
يزل عنه فى وشك حفاوحفاء

فهو يعنى بالمجلس : السرج ويعنى
بجداراه : قربوسه وراذفته ، ويعنى بكلمة
الحفا مقصورة : وجع الرجل ، ويعنى
بكلمة الحفاء ممدودة : مشى الرجل حافيا
بغير نعل .

وهذا يؤكد ما سقناه قبل عن البيتين
السابقين لأبي العلاء من أن الإلغاز يتشكل
بطبيعة الملمغز وميله واتجاهه ، فن كانت
طبيعته كطبيعة أبي العلاء تتصف بالترتمت

وإذا هي انغمست أفادت ربها
ما لا ينال بأعين البصير

وهكذا نرى أن الإلغاز في الفصحى
الذى جاء على ألسنة النحاة والفقهاء والمحدثين
واللغويين وأضربهم كان إلغازا خاصا أعنى
أنه كان لفئات هؤلاء المختصين من نحاة
ولغويين وفقهاء ومحدثين يستخدمون فيه
علمهم الخاص الذى لا يقوى على فهمه عامة
الشعب ، من أجل ذلك جاء إلغازا جامدا
ليست فيه روح التسلية والتسرية التى خلق
الإلغاز من أجلها فيما نرى ، لذا لم تكن هذه
المرحلة من الإلغاز من المراحل التى سائرت
فيها العامة الفصحى ، وحين خرج الإلغاز
من يد هؤلاء المختصين إلى أيدي غيرهم
من الشعراء أو الناثرين المتيسرين الذين
يفهمون الإلغاز بروحه العامة التى فيها
التسلية وإعمال الفكر وكذا الخاطر والذى فيه
فسحة للذهن يأخذ ويعطى ، حين وصل الإلغاز
إلى أيدي هؤلاء وقالوا فيه جاءت تلك
المرحلة الثانية التى شاركت فيها العامة
الفصحى ، وكان كل ما جاء على ألسنة
هؤلاء الشعراء من إلغاز جاء مثله أو قريب منه
على ألسنة شعراء العامة وناثرهم .

ونحن نعني هنا فى هذا القسم وهو القسم
الخاص باللغز فى الفصحى شعرا أن نسوق
ما نستطيع أن نسوقه لشعراء مختلفين فى إلغاز
مختلفة لنحصل من هذا على وسيلة للمقارنة
بين الشعر الفصيح المألغز والنظم العامى المألغز ،

أعنى بين اللغز فى الشعر الفصيح وبين
الغزورة أو الحزورة فى النظم العامى ، وهالك
ما حضرنى من ذلك وما استطعت جمعه
لشعراء الفصحى القائلين فى أغراض عامة
تتفق وأغراض القائلين فى العامة .

فى القلم :

أصم عن المنادى لا يجيب
به وتشتعل الخطوب

ضئيل الجسم «أعلم» ليس تخفى
عليه غيوب ما تخفى القلوب

تراه راجلا لا روح فيه
ويحييه وينطقه الزكوب

يبين لسانه ماكن سودا
معارفه ويخرسه المشيب

يقسم فى الورى بؤسى ونعمى
ويحكم والقضاء له مجيب

عجبت لسطوة فيسه وضعف
وكل أموره عجب عجيب

وفيه أيضا :

بصير بما يوحى إليه ومساله
لسان ولا قلب ولا هو سامع

كأن ضمير القلب باح بسره
إليه إذا ما حركته الأصابع

وفيه أيضا :

فلا هو يمشى لا ولا هو مقعد
وما أن له رأس ولا كف لأمس

ولا هو حى ولا هو ميت
ولكنه شخص يرى في المجالس
يزيد على سم الأفاعى لعنابه
يدب دبيبا في الدجى والحناس
يفرق أوصالا بصمت يجيبه
وتغرى به الأوداج تحت القلانس
إذا ما رآته العين تحقر شأنه
وهيات يبدو النفس عند الكرادس

وفيه أيضا :

ضئيل الرواء كبير الغناء
من البحر في المنصب الأخضر
عليه كهيئة مرّ الشجناء
ع في دعص محنية أعفر
إذا رأسه صح لم ينبعث
وحار السبيل ولم يبصر
وان مدية صدعت رأسه
جرى جرى لا هائب مقصر
يقضى لبساته مقبلا
ويحسمها هيئسة المزبر
جرى بكف فتي كفه

تسوق الثراء إلى المقتدر

وفي الميزان :

أخسوان هذا إن يحسن
ملا فهنا معدم
متلاصقان وربما
جلب التفرق درهم

ماذاك من بخل
ولكن الجميع مبرسم
وفيه أيضا :

وقاض قد قضى في الأرض عدلا
له كف وليس لسه بنان
رأيت الناس قد قبلوا قضاه
ولا نطق لديه ولا بيان

وفيه أيضا :

ما واحد مختلف الأسماء
يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء
أعمى يرى الرشاد كل رأى
أخرس لا من علة وداء
يغنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو امتراء
بالرفع والخفض عن النداء
يفصح إن علق في الهواء

وفي البيضة :

ألا قل لأهل الرأى والعلم والأدب
وكل يصير بالأمور أخى أرب
ألا خبروني أى شىء رأيتم
من الطير في أرض الأعاجم والعرب
قديم حديث وهو باد وحاضر
يصاد بلا صيد وإن جد في الطلب

ويؤكل أحيانا طبيخا وتسارة
قلبيًا ومشويا إذا دُس في اللهب
وليس له لحم وليس اسمه دم
وليس لسه عظم وليس له عصب
وليس له رجل وليس له يد
وليس له رأس وليس له ذنب
ولا هو حي لا ولا هو ميت
ألا خبروني إن هذا هو العجب
وفيها أيضا :

ومولودة لا روح فيها وأنها
لتقبل تفتح الروح بعد ولادها
وتسمو على الأقران في حومة الوغي
ولكن سموًا لم يكن بمسرادها
وفي الخاتم :

وأبيض أما جسمه فمدور
نقى وأما رأسه فمُعار
ولم يكتسب الا لتسكن وسطه
مؤنثة لم تكس قط خمار
لها أخوات أربع هن مثلهما
ولكنها الصغرى وهن كبار
وفيه أيضا :

ومستدير تروق العين بهجته
كأنه فلك نجم الدجا فيسه
حروفه أربع قد ركبت فاذا
با قلت أول حرف تم باقيه

وفي اسم سعيد :
يبسم عن أول اسمه حي
ثم بثاني حروفه يسبي
ثم بحرفين لو بسدا بهما
أسدى يدا ، صورة اسمها تُبنى
أربعة نصفها كجملتها
في العبد لم تنتقص ولم تُربى
هذا وفيه اسم يوم اتفقت
مفاخر العُجُم فيسه والعُرب
فأعمل الفسك في تأمله
واركب به كل مركب صعب

فشبه السين بالثغر ، وثانيه العين وهي
تسبي القلوب ، والحرفان يد وهي أربعة
في العدد وستة في الصورة ، وإذا أخذت
السين والعين فهي أربعة ، وهي جملة العدد
وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة واللباس .
وفي عودى الغناء والبخور :

وما شيطان اسمهما سوا
وأصلهما معا عند التساب
إذا حضراك بتّ قرير عيين
بلا طعم يلدّ ولا تسراب
وما أن يوجدان النفيع إلا
بضرب أو بضرب من عذاب
وفي الحرب :

ما ذات شوك لها جناح
يختطف الناس عن قريب

وهي عقيم ترى بنهمها
من بين مُرد وبين شيب
يأكل بعض البنين بعضها
طلوع شمس إلى غروب
تصحيفها الداء غير شك
قد يُحسم الداء بالطيب
والداء معكوسه مكان
يصلح للطائر النجيب
يعرفها من يكون طبها
بالشعر والنحو والغريب
وفي الأرنب :

لهوت بذات رأس ذى التيسات
كرفع الإصبعين على الثلاث
إذا السبابة ارتفعت مع الحنة
صر اجتمع الثلاث بلا انتكاث
لهوت بها تطير بلا جناح
وتنسب في الذكور وفي الإناث

وفي الفقاعة :

شغفت بداية لي أشبهها
وما فيها عن الوصل امتناع
بباردة الحبس وما اقشعرت
معصبة وليس بها صداع
تمنع أو تحل ذوابتها
ويحسر عن مفارقها القناع

وفي المدية :

مأسورة أبعدع في
تركيبها أصحابها
تركتهما الأيدي وفي
هواماتهما أذنانها

ومن أحجية في قص برخشاني :

أحاجيك أناجيئك
بما يهجن في صدري
بمساء يجمد من خمر
وما يجمد من حمير
وما يورد معناه
إذا قلت على أمرى
ونجم كاد ذو الحما
جة في الليل به يسرى
وحرف من حروف النص
ب لولا خفة الظهر
أجب إن شئت بالنظم
وإن شئت فبالتثر

فهذا القسم الذي ينتظم شعرا من الفصحى
في الإلغاز ، كما نراه ، حسب ما عرضنا
شطرين : شطر جاء في أغراض خاصة وعلى
السنة مختصين ، أعني كما قلت من قبل ،
تلك الأغراض التي تمثل الجانب الخاص
من اللغة الذي لا يقوى عليه إلا المتخصص
من نحوى أو فقيه أو محدث ، وقد اقتضرت
من أمثلة هذا الجانب على القليل ، إذ هو
جانب لا تساير فيه العامية الفصحى ، بل إن

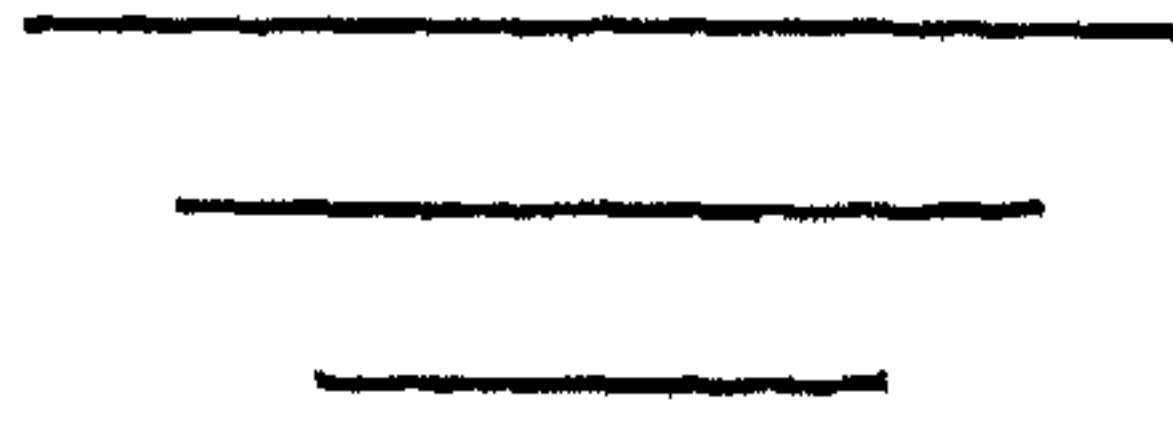
العامية، كما ذكرت، لا تساير ولا تحاكي من ألوان القول إلا ما يشارك فيه العامة بعقولهم وأحاسيسهم ووجدانهم ، نرى ذلك في كل مظاهر المحاكاة بين الفصحى والعامية ، ففي الأزجال مثلا التي جاءت تحاكي الشعر العربي وتسايره نراها لا تطرق الجوانب المعنوية في التخصص والتي ترقى إلى مستوى المتخصصين بل هذه الأزجال لا تشارك الشعر إلا في تلك المعاني التي يقوى عليها العامة وتتفتح لها أذهانهم ، فاذا ما بلغ الأمر مبلغ التخصص والارتقاء عن ذلك المستوى انفصلت العامية عن العربية ، إذ لو قدر للعامية أن تلتزم بتلك الخصوصيات لاندجبت في الفصحى وكانت جزءا منها ولم تستقل عنها ، فاستقلال العامية عن الفصحى مبعثه ذلك التحلل من القيود الخاصة فلا هي تلتزم الإعراب . والإعراب قيد خاص يسمو ويرقى عن مستوى الحرية الشعبية في التعبير ولا هي تلتزم الصرف: فالصرف قيد خاص يسمو ويرقى عن مستوى الحرية الشعبية في الأداء ، فالعلة في ظهور العامية هو ظهور التراخي الذي يرزقه من لم يرزق حظا من العلم ومن لم يؤت نصيبا من السعي وراء الأسمى والأرقى ، تلك كانت نشأة العامية، وكانت هذه النشأة بين الدهماء

لأنهم أعجز الناس عن أن يفطنوا ويدركوا فإذا ما ساند هذا فشر الأمية ووقوع الأمم في ظل حاكين أجانب وجدت العامية مرتعها الخصب ففشت وانتشرت ، وإذا كانت اللغة العربية من القوة بمكان فلم تقو العامية في مراحل عنفوانها أن تأتي عليها، إذ أن القرآن الكريم فيما نعلم كان هو الحصن المنيع لبقاء العربية، وإذا ظلت العربية باقية بخصوصياتها والتزاماتها ، ولم تقو العامية على البطش بها هادنتها وأخذت تسايرها يحكى غرض غرضا ، وهذه المحاكاة لا تكون إلا فيما كان يشارك فيه العامة بأفهامهم وعقولهم ومداركهم، أما معز على العامة إدراكا وفهما وعقلا فلم تساير فيه العامية العربية ، وقد ضربنا مثلا لذلك بين الشعر والأزجال ، وقلنا إن الأزجال حين سايرت الشعر العربي لم تسايره في خصوصياته بل سايرته في عمومياته ، وكذلك الحال فيما نحن بصدده من فن الإلغاز والأحجية ، وإذا قلنا إن مسايرة العامية لا تكون فيما هو خصوصي بل فيما هو عمومي ، كذلك قسمنا شعر الإلغاز قسمين جعلنا القسم الأول منه ذلك الشعر الخصوصي ، وجعلنا القسم الثاني منه ذلك الشعر العمومي ، وإذا كانت مسايرة العامية للفصحى هنا في هذه الناحية لا تمس الشعر

الخصوصى الملمغز وإنما تفس الشعر العمومى الملمغز ، لذلك كان ما عرضناه من أمثلة من الشعر الخصوصى قليلا إذ ليس له نفع فيما نعرض . ولقد أكثرنا شيئا من الشعر العمومى الملمغز لأنه هو مناط المقارنة بينه وبين النظم العامى الذى جاء يحمل الفزورة أو الحزورة وقد رأيت أن هذا القسم الثانى من الشعر الملمغز الذى سايرته العامية كله دون استثناء

يسيرا على إدراك العامة وفهمهم وتكاد تكون عبارته وإن بدت عربية سليمة إلا أنها هي الأخرى ميسورة ، ثم تكاد النكتة فيه مما تحذقه نفوس العامة ، ولقد كان من الممكن أن نسوق جملة أكبر ولكننا اجترأنا بهذا . ورأينا خبر تمهيد لعرض النظم العامى الذى يحمل الفزورة أو الحزورة ، والذى سيتضمنه القسم الثانى من هذا البحث .

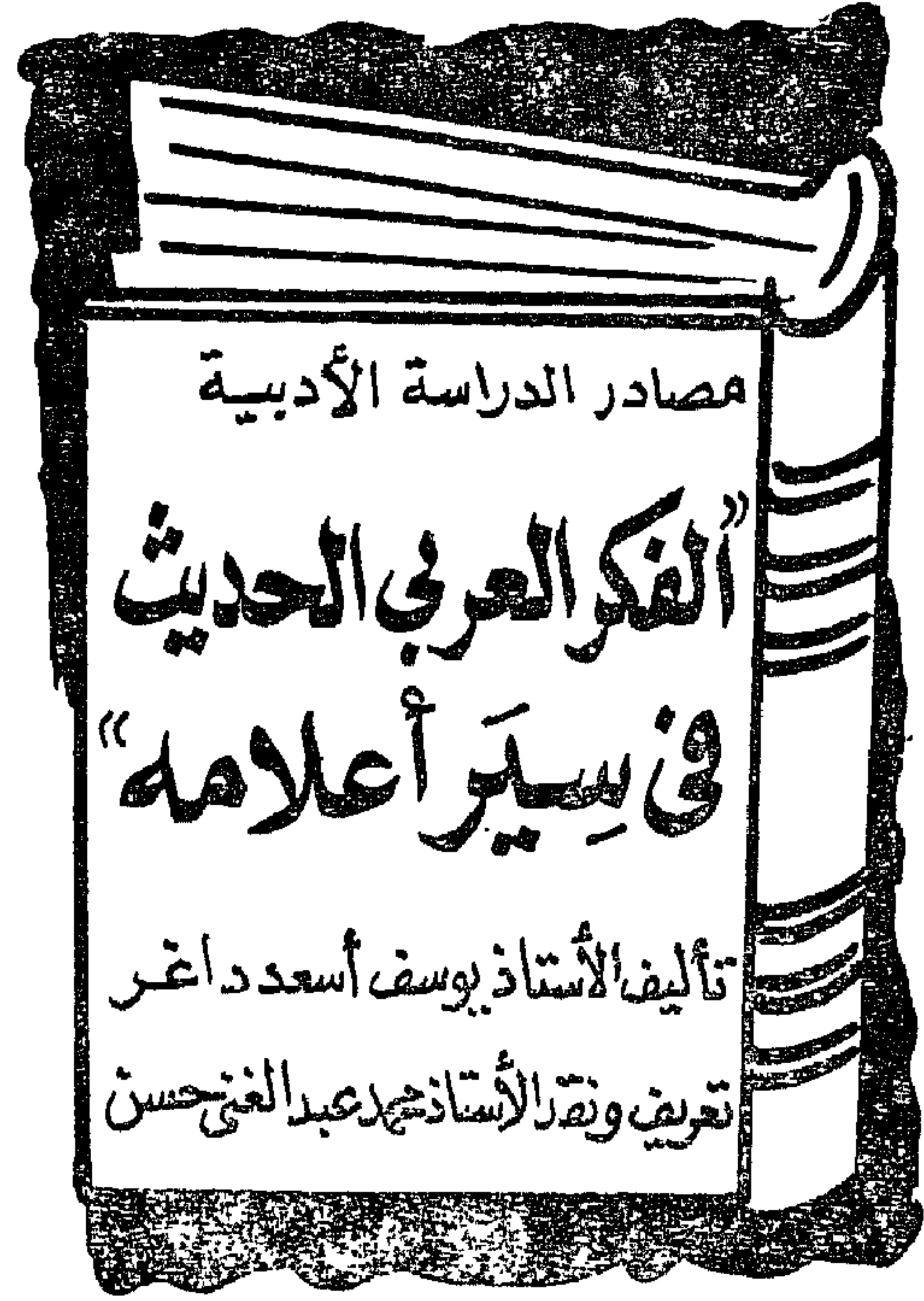
محمد قنديل البقلى





القرن التاسع عشر إلى سنة ١٩٧٢ . وبهذا الصنيع الشامل أصبح الكتاب يغطي بتراجمه للوفيات من رجال الفكر والأدب والفنون حقبة من التاريخ تمتد من سنة ١٨٠٠ م إلى آخريات سنة ١٩٧٢

ولقد بذل المؤلف الفاضل - كعهده دائما - جهدا غير قليل في متابعة ما استحدثت من وفيات الرجال حتى الوقت الذي كان كتابه تجمع حروفه في المطبعة ، حتى لا يكون متخلفا ولا مفوتا ولا مقصرا ، واستطاع بهذه المتابعة الواعية المتفتحة على أقطار العالم العربي في المشرق والمغرب ، وفي المهجرين الشمالي والجنوبي من العالم الجديد ، أن يزودنا في هذه الموسوعة الحليمة بوفيات حديثة جدا لأمثال المغفور لهم محمد فريد أبي حديد ، وفخرى أبي السعود ، وأحمد زكي أبي شادي ، وجورج أبيض ، وأحمد فؤاد الأهواني ، وأحمد الأسكندري ، ومحمد الأسمر ، وصلاح الأسير ، وعلى أحمد باكثير ، والبدوي الملمم يعقوب العودات ، ومحمد أحمد جاد المولى ، وعلى الحارم ، وحسين والى ، ونخالد الحرنوسى ، ومصطفى جواد ، ومحمد أمين حسونة ، وساطع الحصرى ، ودرينى خشبة، وعادل زعيتير ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد الزين ، وسلامة موسى ، وسليم حنين ، وعبد الرزاق السنهورى ، وجمال الدين الشيبان ، وطاهر الطناحى ، وعبد الحميد العبادى، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ومحمد عبد الحلیم عبد الله ،



آخر العهد بصمدور الجزءين الأول والثاني من هذا الكتاب الثمين



هو يناير سنة ١٩٥٦ ، حيث اشتمل الجزء الثانى على طائفة من أعلام الفكر والأدب العربى الراحلين منذ سنة ١٨٠٠ إلى سنة ١٩٥٥ م . والحق أن الجزء الثانى ، على الرغم من ضخامة حجمه واشتماله على ٢٠٦ ترجمة ، قد اضطر مؤلفه إلى إغفال مائة ترجمة كان قد أعدها للنشر فى ذلك الجزء الذى صدر من سبعة عشر عاما . ولكنه لم يزل منذ ذلك التاريخ يجمع المادة لكتاب - أو لجزء جديد - بدون فيه ما فاته ممن أسقط تراجمهم فى الجزء الثانى ، ويضيف إليهم كل ما استجد من الأعلام الراحلين منذ أول

إلى مجموعة الأدباء الأحياء التي يعززم إصدارها تئمة لهذه الموسوعة الحافلة ، حتى تكون أدنى إلى الاستيعاب والوفاء بأسماء الأعلام على قدر الإمكان .

والحق أنه في مثل هذا النوع من كتب التراجم والوفيات والطبقات تتلاحق الأحداث وتستحدث الأمور بما قد لا يمكن معه المتابعة مهما حرص عليها المؤلف . ففي ترجمته للشيخ الخطيب اللغوي الشاعر «إبراهيم المنذر» عضوالمجمع العلمي العربي بدمشق ، والمتوفى سنة ١٩٥٠ ، يذكر في ص ١٢٩١ أن له (ديوان شعر في جزعين بعنوان : ديوان المدرسيصدر الأول منهما قريبا على ما بلغنا من أخباره) . ولم تلبث الأيام أن أظهرت لنا الجزء الأول والكتاب في المطبعة ... فلم يستطع المؤلف أن يذكر لنا شيئا عنه أو عن تاريخ طبعه كما عودنا أن يفعل مع من يترجم لهم عادة .

وبهذه المناسبة نجز للنفوس أن نخرج قليلا على شعر الشيخ إبراهيم المنذر ، الذي كان فلتة من فلتات الدهر ، والذي تجلّت فيه العبقرية العربية بأجلى مظاهرها . فقد كان الرجل كلنا بأعجاب أمته ، ولغته الشريفة ، مغرما بالخلق العربي الرفيع . وما أصدقه وهو يقول منوها باللغة الفصحى :

لعيزلك ياأخت الكواكب في السما
فدى كل من صلى ، وصام ، وسلمما

ومحمد سعيد العريان ، ومحمد هاشم عطية ، وعباس محمود العقاد ، وعلى العناني ، ومحمد صادق عنبر ، ومحمد شفيق غربال ، ومحمود غنيم ، وإسماعيل القباني ، وكامل كيلاني ، وزكي المحاسني ، ومحمود مصطفى ، وعلى مصطفى مشرفة ، وعبد القادر المغربي ، ومنصور فهمي ، وإبراهيم ناجي ، وعبد اللطيف النشار ، ومحمد المراوى وغيرهم ممن انتقلوا إلى رحاب الله ، وتركوا في تراث العرب الفكرى المعاصر والحديث آثارا طيبة .

وعلى الرغم من هذه المتابعة الواعية لرصد وفيات أعلام علمائنا وأدبائنا ومفكرينا العرب في العصر الحديث ، فقد فاتت المؤلف بضع عشرات من أمثال الشيخ محمد المهدي زيكو ، والشيخ عبد الخالق عمر ، وأحمد العوامري ، والشاعر عثمان زناتي ، والشيخ أحمد زناتي ، والشيخ حسن منصور ، والشيخ عبد الوهاب خلاف ، وخليل ثابت ، ومحمد أحمد الغمراوي ، وعبد الحلیم النجار ، ومحمد علي النجار ، ومحمد سعيد الخلصي الشاعر التونسي ، والشيخ محمود حسن زناتي ، ناشر كتاب «الفصول والغايات» للمعري ، وعلام سلامة صاحب «معراج البيان» ، والأثرى حسن عبد الوهاب ، والأثرى يوسف أحمد حجة الخط العربي والفنون الإسلامية ، ومصطفى السقا وغيرهم ممن نرجو أن يهيئ الله المؤلف الفاضل ليضمهم

كل هذا يريك قدرة بارى الخلق
فانخشع لله كل الخشوع ..

لم يحاول الأستاذ داغر أن يقصر كتابه
الضخم على عدد معين من دعائم النهضة
العربية ورجالها البارزين ، ورأى بعين
المنصف المقدر أن يدخل مع هذا الفريق
الرائد كل من أسهم بجهاد مشكور في بناء
هذه النهضة العربية الحديثة . ولهذا لم يجعل
كتابته وقفا على القسم الشوامخ ، أو قاصرا
على الأعلام البارزين ، بل جعله يتسع
لكل من له في النهضة أثر ولو قليل ، وأن
شئت فقل أنه أراد أن يجعل كتابه صورة
صادقة للعصر الحديث كله ، بما فيه من قم
وسفوح ، وبما فيه من مصالين ومجملين ،
وآتين في آخر الحلبة ، وما في ذلك بأس
ولاً فيه من غض لقيمة الرواد العباقر ،
أو نقص لأقدارهم ، فأن تسجيل الآثار
لا يجوز أن يطغى فيه متقدم على متأخر ،
أو يجوز فيه أول على آخر . وما أصدق
مؤلفنا وهو يقول في هذا الصدد بنص
عبارته : (بين هؤلاء الأدباء والمفكرين ،
بالفعل ، من هم من دعائم النهضة الحديثة ،
ومن روادها البارزين ، بينما انحصرت
شهرة فريق منهم في حيز ضيق ، أو نطاق
محلي ، بالرغم من الإجابة التي بلغوها ،
والإبداع الذي تميزوا به ، وبينهم فريق
رفعه إلى هذا المصاف أو هام الناس المبينة
على دعايات مغرصة ، لم تتمكن من الكشف
فَعْنَهَا لبعدها عنا في الزمان والمكان ، أو لضآلة

لعينيك أبناء العروبة أيمنها
أقاموا ، وما كانوا على الضيم نوماً
لعينيك شرق العرب طرا ، ولم يكن
قدما مسيحيا ، ولا كان مسلما
لك الله يا أم اللغات ، فأنسى
أحبك حبا يملأ القلب والفما
وأهوى لسان العرب ؛ والفتية الألى
أحبوا لسان العرب حبا متيا

ولقد قال الشيخ المنذر الشعر الرصين
المشرق الديباجة في كل غرض كريم ،
حتى في الطبيعة وهو يلجأ إليها ليجد فيها
الأنس والراحة ، ولنسمعه وهو يقول في
صفة الربيع :

هو ذا الماء في الجداول يحكي
لمعان الندى ، وصفو الدموع
والنسيم العليل عند انبثاق الفجر
يُحيي النفوس بعد الهجوع
وهزار الرياض يشدو فيشني
بأغانيه لوعسة المفجوع
والفراشات فيه زرقا وبيضا
كصفوف من أنجم وشموع
يمتصن الأزهار مبتلة من
شفة النهر أو فم الينبوع

المراجع التي اعتمدها . فعلى النقد الموضوعي أن يعيد تقييمهم على أسس علمية جديدة (صفحة ف من المقدمة .

وبمناسبة الحديث عن المراجع التي اعتمده المؤلف عليها في التعريف بهذا العدد الضخم من المترجم لهم ، فإنه - في الحق - لم يدع مرجعا أو مصدرا يُسَعَفُه في قطر عربي أو مهجري إلا رجع إليه ، واعتمد عليه ، وأن كان قد فاتته من ذلك حنينة من الكتب المحلية الموزعة في أقطار العالم العربي ، والتي لم يستطع أن يصل إليها جُهدُه ، كما فاتته حنينة من المجلات العربية التي كانت ستزوده بأكثر مما حصل عليه من مادة . وإلا فأين مجلة « مجمع اللغة العربية بمصر » التي لم يذكرها في كتب مراجعته ، والتي يبدو أنه لم يطلع عليها ، ولم يسمع بها !! وأين مجلة « الفكر المعاصر » المصرية ، ومجلة « الكتاب العربي » المصرية التي أغفلها ، مع ذكره لمجلة « العرب » التي يصدرها ويرأس تحريرها الأستاذ البحاثة الخليل حمد الحاسر ، ومجلة « العربي » التي تصدر عن وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ، ويرأس تحريرها الأستاذ العالم الدكتور أحمد زكي ؟ وهاتان لا تقلان عن هاتين ...

ويضم الجزء الثالث من هذه الموسوعة الضخمة بقسميه : الأول والثاني ، نحواً من ٥٤٠ ترجمة ، منها المائة ترجمة التي أسقطها - أو اضطر إلى أسقاطها - من الجزء الثاني من هذا الكتاب الذي صدر سنة ١٩٥٦ ، وقد أضاف إليها اليوم نحواً من ٣٥٠ ترجمة ،

وهو عدد مبارك ضخم كان في استطاعة المؤلف أن يضم إليه أو يزيد عليه . لولا أنه لم يشأ أن يجعل الكتاب ميدانا واسعا يدخله كل داخل بغير حساب ، فضيق في الجمع ولم يوسع بغير حساب .

ويمثل هذا الكتاب معرضا للفكر العربي المعاصر والحديث من الخليج إلى المحيط ، وما وراء اللجج الخضر للمحيط ، حتى يصل إلى العالم الجديد . وهكذا تجد فيه الأردني ، والتونسي ، والجزائري ، والسعودي ، والسوري ، والسوداني ، والعراقي ، والعماني ، والفلسطيني ، والكويتي ، واللبناني ، والليبي ، والمصري ، والمغربي ، والمهجري . ولقد تسلل إلى أبواب هذا المعرض الرحيب بعض أخواننا الأعاجم ممن كان لهم نشاط في حركات الفكر الإسلامي العربي ، كالشيخ شبلي النعمان المتوفى سنة ١٩١٤ ، والذي كان راصدا لخرجي زيدان ، والأسكندري ، والأب اويس شيخو اليسوعي ، ينقد آثارهم ، ويعقب على إنتاجهم ، وهو من كبار علماء المسلمين في الهند . وكالشيخ محمد حسن الشيرازي من علماء إيران ، والمتوفى سنة ١٨٩٤ م ، وهو الذي استعان به السيد جمال الدين الأفغاني في بعض قضايا الإصلاحية . ولعل الذي شفيع للشيخ الشيرازي بهذا التسلل أنه لحأ إلى العراق فأقام فيه معلما ومصليحا ، وظل ببقية حياته بسامراء إلى أن توفي فيها ، فحمل نعشه إلى النجف ليدفن في ثراه ...

وليس هذا الاستثناء هو الوحيد في هذه الموسوعة . فأن زمان هذا المعرض الفكري

للنهضة العربية الحديثة قد حدده المؤلف
تصريحاً من بداية القرن التاسع عشر ، أى
من سنة ١٨٠٠ م ، ولكنه أباح لنفسه أن
يُدخل فيه واحداً - وواحداً لا غير - من
رجال القرن الثامن عشر ، وهو المطران
جرمانوس فرحات الذى توفى سنة ١٧٣٥
وبالطبع لم يكن له محل فى الترجمة له ،
والتعريف به فى هذا الكتاب الذى حدد
المؤلف معالم زمانه ، ولكنه يقول عنه فى
المقدمة : (فهو - وإن توفى سنة ١٧٣٥ م
من مؤسسى النهضة الأدبية ، وزارعى
بذورها ، ومن كبار روادها : ولذا لم يكن
بد من ذكره ، وخصه بترجمة إضافية بين
هذه التراجم التى عقدناها لهذا الرهط الكريم
من كبار الأدباء والمفكرين العرب ، وإن
ند عن الحقيقة التاريخية) . وهل نستطيع -
بعد هذا الاعتراف الواضح ، والتعليل له -
أن نلوم المؤلف الفاضل على هذا الاستثناء
الذى أبدى له من جميل العذر ما جعله مقبولاً
غير مردود ؟

وإذا كان المؤلف الفاضل قد أعلن فى
غير موضع منهجه فى التعريف بالترجم لهم ،
فأن ضخامة الكتاب كانت تجنح به إلى
العدول والتعديل ... أما الخطة العامة للمنهج
فباقية فيما يتصل بالعنصر الأول منها ، وهو :
هوية المترجم له ، أى : من هو ؟ والعنصر
الثانى ، وهو ذكر مؤلفاته وتناولها بالوصف
الببليوجرافى الكامل - وإن كان ذلك لم يتم
على مدار الكتاب كله - والعنصر الثالث ،
وهو خاص بذكر المصادر والمراجع عن

المترجم لهم ، سواء أكانت هذه المصادر كتباً
خاصة بالشخصية المترجم لها ، أم كتباً عامة
تناولتها بالبحث فى فصل من فصولها أو فى
موضع منها ، أم مقالات فى المجلات العربية :

ولنأخذ على سبيل التمثيل للنقص فى الوصف
الببليوجرافى الكاهل للمترجم لهم ، مثلاً
واحداً فى ترجمة الشيخ حسين والى عضو
مجمع اللغة العربية بمصر ، فقد ذكر من
مؤلفاته : (الموجز فى علم أدب البحث
والمناظرة) هكذا بدون وصف ببليوجرافى ،
وكذلك فعل فى كتبه : (كتاب الاشتقاق)
و (القصيدة النومية) و (تاريخ آداب اللغة
العربية) فأين ذكر الناشر ، ومكان النشر
وتاريخه ، وعدد الصفحات ، وتعدد الطبعات
للأثر الواحد وغير ذلك مما أسرف به المؤلف
الواعد فى المقدمة ، وزعم أنه جرى فى
الكتاب عليه ؟ ولم ينصف المؤلف من مؤلفات
المرحوم الشيخ حسين والى إلا كتاب (التوحيد -
مصر ، ١٩٠٩ ، فى علم الكلام) وكتاب
(الإملاء الكبير - مصر ١٩٠٥ - نقله
فى المقتطف ، ٣٠ (١٩٠٥) : ٤٠٨ ،
٥٥٩) ، وكتاب (تمرين الإملاء - فى
الحق والأدب واللغة والإنشاء - مصر ،
١٣٢٩) ، وهو إنصاف - كما ترى - لا
يرتفع إلى المستوى الذى وعدنا به المؤلف
فى صدر الكتاب .

أما المؤلفات المخطوطة التى تركها الشخص
المترجم له ولم يُقدّر لها الطبع بعد وفاته ،
فقد جهد الأستاذ داغر جهده ليدونها ،
وأغلب الظن أنه حرص على أن لا يفوته

المخطوطات وهي : ١ - شفاء الغليل في رحاة وادي النيل .

٢ - على مسرح الدهر ما رأيت ؟ وهي ملحمة تاريخية تعتبر من أروع ما نظم ، وتباغ زهاء ألف بيت ، ومطامعها :
نحاني بالله من رجم الظنون

ومن الحمقى ومما يعرفون
٣ - المجادلات السياسية وأسباب الفشل الأساسية .

٤ - إيقاظ الوسنان في حياة الإنسان .

٥ - حكم الشعب بين الديمقراطية والدكتاتورية .

٦ - مقالات وخطب سياسية ودينية واجتماعية .

٧ - الجرائم الثلاثة .

٨ - رسائل العبيدي « جزءان » .

أما المصادر والمراجع عن الشخصية المترجم لها ، فقد جهد المؤلف في تدوينها ، ولكنه - مع تشعب الشخصيات ، وتعدد الدراسات ، وقلة الوسائل ، وبُعد تناول لم يستطع أن يوفيقها حقها من الذكر ، فقد تفضل المؤلف - جزاه الله خيراً - فذكر مقالاتي ودراساتي في المحلات العربية عن الأدباء الذين ترجم لهم ، وكتبتُ أنا عنهم ، ولكنه أغفل بعض دراسات لي في المحلات عن بعض هؤلاء الراحين . وكذلك أغفل مقالات كثيرة لباحثين كثيرين . . . وما كنت أرجو من وراء هذه الملاحظة أن أشق عليه

منها شيء . . . ولكنها عمل شاق مضمن .
ولني لأعجب من مؤلفينا الأوائل كيف استطاعوا أن ينهضوا بذلك العبء مع بعد الشقة بين قطر عربي وقطر آخر ، ومع طول الطريق ، وقلة وسائل الاتصال ، فلا مسرّة ولا برقيات ، ولا سيارات ، ولا قطارات ولا مواخير ، ولا طيارات : كما في زماننا هذا . . . ألا يرحم الله رجالنا من أمثال ابن نخلكان في الوفيات ، والباخرزي في الدمية ، والعماد في الحريرة ، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ، وحاجي خليفة في كشف الظنون .

لقد استطاع الأستاذ داغر أن يزودنا في ترجمته للشاعر العراقي مفتي الموصل السيد « محمد حبيب العبيدي » بثبت لمؤلفاته المطبوعة ، رجع فيه في الأغلب الأعم إلى (معجم المؤلفين العراقيين) لذكور كيس عواد ، ولرؤفائيل بطي ، ولغالب الناهي ، ولمير بصري ، ولكن فاته ثبت آخر من مخطوطات هذا الشاعر العالم الكبير أفدناه من بحث للأستاذ « عبد الرزاق الهلالي » بمجلة الأديب البيروتية ، وقد رجع فيه إلى ما أفاده به الأستاذ « حازم المفتي » الذي كان مصدرأ من مصادر الترجمة الخليلية التي كتبها الأستاذ الهلالي عن الشاعر المفتي محمد حبيب العبيدي في مجلة « الأديب » . ولعل من المناسب أن نذكر هنا أسماء هذه

بمزيد من التتبع ، لولا أنني أعلم مكانه في البليوغرافى والتوثيق العلمى ، وأعلم أنه يقدر من ذلك على ما لا يقدر عليه غيره في بلد عربى آخر ، فهو فرد في هذا الموضوع .

أما طريقة كتابة الأعلام في هذا الكتاب فلم يجر المؤلف فيها على منهج واحد ، ولا على سنن واضح . ولو أنه سار على خطة واحدة لقبناها ورضينا بها ، ولكن الاضطراب في الطريقة يبلبل الذهن ، ويضل الباحث ضللا كبيرا . فقد جرى على الطريقة الأجنبية المتبعة في لبنان اليوم ، وهى لإيراد اسم الأسرة أو الجدل قبل اسم المترجم له . فالأستاذ محمد مسعود يأتى تحت : مسعود ، محمد ؛ والدكتور محمد مندور يأتى تحت مندور ؛ والشيخ عبد الوهاب النجار يقع تحت : النجار ، عبد الوهاب ؛ والصحافى السياسى أحمد وفيق يأتى تحت : وفيق أحمد ؛ والصحافى أحمد حافظ عوض يأتى تحت اسم : عوض ، أحمد حافظ . ومن هنا تقع الأعلام في غير مواطنها الأبجدية الواجبة المألوفة . فأحمد وفيق يقع في حرف الواو ، وأحمد حافظ عوض يقع في حرف العين ، وعبد الوهاب النجار يقع في حرف النون لا العين وهكذا .

ولو أنه سار في هذا النهج على طريق واحد ما كان لنا اعتراض عليه مادامنا عرفنا منهجه ، وعلمنا خطته . ولكنه يضع اسم ز على مبارك باشا على طريقتنا - أى في حرف العين بتقديم « على » على « مبارك » ، ويضع

اسم الدكتور على الناصر على طريقتنا ، ويضع اسم عمر الياقنى على طريقتنا ، ويضع اسم على الغياثى على طريقتنا ، ويضع اسم محب الدين الخطيب على طريقتنا ، وكذلك فعل في أسماء محمد الأسمر ، ومحمد عوض إبراهيم ، ومحمد عوض محمد ، ومحمد البشير الإبراهيمى ، ومصطفى نجيب ، ومعاوية محمد نور ، ومنصور فهمى . وبهذا الوضع الذى يجرى على الوضع السائد في البلاد العربية كلها يخالف طريقته التى جرى عليها فى الأكثر الأغلب من كتابه . وبذا اختلف المنهج وطريقة كتابة الأعلام فى كتاب واحد . . .

ولعل هذا الخلل فى طريقة كتابة الأعلام هو الذى قاده إلى الخلط مثلا فى كتابة اسم الأديب المصرى الرائد : حسين أحمد المرصنى ، فقد كتبه - على طريقته - هكذا : المرصنى أحمد حسين ، مما يوهم أن اسمه هو : أحمد ، واسم أبيه : حسين ، مع أن العكس هو الصحيح !

وقد يخلط الأستاذ الفاضل بين اسم أحمد ومحمد ، فى ص ١٥٥ يجعل اسم (أحمد نخيرى سعيد) (محمد نخيرى سعيد) ، ثم يعود فى ذيل ص ١١٥٥ فيعيد صحيفا على خلاف ماورد فى العنوان . كما يخلط بين اسم محمد ومحمود ، فى ص ١١١ يحيل اسم القاص المصرى محمود طاهر لاشين إلى : محمد طاهر لاشين ، وكذلك يعيده خطأ فى ص ١١٥٥ .

وفي بعض الأحيان يدخل (ال) التعريف على بعض الأسماء بلا مبرر ودون أن يكون ذلك واردا عليها في أصل تسميتها ، كما فعل في اسم المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش حيث يجعله : عبد العزيز الجاويش ، وإن كان أورده صحيحاً في الجزء الثاني الصادر سنة ١٩٥٦ .

أما تحريفات الطبع في الأعلام فقد وقع منها حفنة قليلة على مدار الكتاب كله ، فحسين فوزي يحرف إلى حنين ، ومحمد مسعود يحرف إلى محمد سعود ، وهكذا...

وما أكثر ما يتصرف الأستاذ داغر في الاسم الواحد إلى جملة صور ، بدلا من الثبات على شكل واحد وصورة واحدة لا يتعداها ، فاسم الأستاذ عبد الله يوركي حلاق ، يرد تارة عبد الله حلاق ، وتارة عبد الله يوركي ، وثالثة يوركي حلاق . : واسم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي يرد تارة عبد المنعم خفاجي ، وثانية عبد المنعم خفاجة ، وثالثة محمد عبد المنعم خفاجي ، ورابعة يورده هكذا : محمد عبد المنعم خفاجة ، كما في ص ١٠٠٩ (١) ١١ .

ولعل هذا الخطأ المطبعي الوارد في بعض الأعلام تغفر له حفنات أخرى من الأخطاء المطبعية الواردة في الكتاب كله ، كما في ص ٩٩٢ ، حيث ورد اسم فهد العسكري ،

وصوابه : العسكري بدون ياء : وكما في ص ١٣٩٨ حيث ورد : المصحف المقسم - لفريد وجدى ، وصوابه : المفسر ؛ وكما في ص ١٤٠١ حيث ورد تاريخ ١٩٣٦ ، وصوابه ١٨٣٦ ؛ وكما في ص ١٠١٢ حيث ورد في المراجع : معجم المؤلفين ، مجلد ٩ ص ٢٧٧ ، وصحته : ٢٨٧ ؛ وكما ورد في ص ١١١٢ اسم كتاب (سخريه الناس) وصوابه : سخريه الناي ؛ وكما ورد في ص ١٣٤٠ اسم (أبي حيات الأندلسي) وصوابه : أبي حيان ؛ وكما ورد في ص ١٣٧٩ اسم بلدة (السنبلوى) ، وصوابها : السنبلوين ؛ وكما ورد في ص ١٤٩٠ اسم محمد الحنيف ، وصوابه : محمود الحنيف ؛ وكما ورد في ص ١٤٩٦ اسم رواية (سجين زلدا) باللام ، وصوابها : زلدا بالنون ... !

بقيت بعد هذا عدة من المآخذ والملاحظات نجد من تصحيح الوضع أن نشير إليها ، أو نصحيح ما فيها من وهم ، لاحبا منا في التشهير وتكثير الأخطاء ، فأنا - والحمد لله - أبعد ما نكون عن ذلك ، ولكن حرصا على إحقاق الحق ، وتصحيح الوهم ، وإشاعة الصواب . وهانحن أولاء موردوها على ترتيب الصفحات :

* في صفحة ٧٥٦ - ورد اسم المؤرخ المصرى عبد الحميد العبادى هكذا : عبد الحليم ، وهو خطأ ، وكذلك ورد في ص ١٦٠١ : * في صفحة ٨٧١ ، السطر الأخير ، ورد

(١) وقد جاء محرفا في موضع آخر هكذا : محمد عبد النى خفاجى !

أن الأستاذ أباحديد كان عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

* صفحة ٩٨٨ - السطر السادس عشر -
جاء أن كتاب « محمود حمدي الفلكي » الذي ألفه أحمد سعيد الدمرداش صدر في (سلسلة أعلام الإسلام) ، والصواب أنه صدر في (سلسلة أعلام العرب) التي تصدرها الآن « الهيئة المصرية العامة للكتاب » ؛

* صفحة ١٠١٠ - السطر الثالث - ذكر أن شمس الدين قواقجي ، العالم الفقيه الخطيب سند بلاد الشام في عصره توفي سنة ١٩٠٥ م ، وهو خطأ ، والصواب أنه توفي سنة ١٨٨٨ م كما في « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة ، جزء ٨ ص ٢١٢ ، وجزء ٩ ص ٢٨٧ .
واسم هذا العالم المحدث محمد بن خليل بن إبراهيم الحسني الطرابلسي ، ولقبه شمس الدين ، وكنيته أبوالمحسن .

* صفحة ١٠٥٤ - السطران التاسع والعاشر ،
جاء أن كتاب « قرية ظلمة » وكتاب « متنوعات » هما للأديب الدكتور محمد كامل حسين أستاذ الأدب المصري بجامعة القاهرة ، والمتخصص في الدراسات الفاطمية وعقائد الأشعايلية . وهما ليسا له على الإطلاق ، بل هما من تأليف الأستاذ الطبيب الجراح الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية بمصر - مد الله في عمره ،

كتاب (مصر الإسلامية وتاريخ الخطط) منسوباً إلى الأستاذ زكي محمد مجاهد صاحب كتاب (الأعلام الشرقية) ؛ وليس هو له ، وإنما مؤلفه الأستاذ محمد عبد الله عنان ، كما جاء في ص ٨٧٢ .

* صفحة ٩٠٦ - السطر الخامس عشر ،
وردت العبارة الآتية : (وأتيح للغاياتي أن يشهد ثورة ٢٢ يونيو في بلاده . : .) وهي خطأ صوابه : ثورة ٢٣ يوليو ؛

* صفحة ٩٢٠ - السطر الأخير ذكر من مراجع ومصادر الشيخ كامل الغزي : مجلة المجمع . بدون تخصيص لأي المجمع العربية .

* صفحة ٩٣٣ - السطر الأخير ، ذكر المؤلف أن الدكتور بشر فارس (سافر إلى باريس حيث نال الدكتوراه ، وعاد إلى الجامعة المصرية أستاذاً) وهذا وهم لم يفتن له المؤلف ، فالذي نعلمه أن الدكتور بشر فارس لم يعين في الجامعة المصرية ، ولم يكن أستاذاً فيها ، وإنما كان عضواً وكاتماً سر للمجمع العلمي المصري .

* صفحة ٩٦٨ - السطر الثالث عشر -
جاء أن المرحوم محمد فريد أبوخديد كتب له في « السياسة الأسبوعية » ، وفي « الرسالة » ، والاقتصار على هاتين المجلتين لا يصبور الحقيقة كاملة ، فقد كان رحمه الله يكتب في مجلة « الثقافة » بوصفه عضواً في لجنة التأليف والترجمة والنشر . كما فات المؤلف أن يذكر

وقد جاءت الشبهة في نسبة الكتابين من ناحية تشابه الاسمين تشابهاً تاماً :

* صفحة ١١٤٣ - السطر السابع ، جاء في التعريف بالمرحوم الأستاذ محمود مصطفى أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية أنه تخرج في دار العلوم سنة ١٩١٢ ، وهذا صواب ، وإن كان يتعارض مع ما ذكر في رأس الترجمة له بأنه ولد سنة ١٨٩٩ ، وليس هذا بمعقول ، لأنه يعني أنه تخرج في دار العلوم وسنه ثلاثة عشر عاماً فالوهم هنا في تاريخ الميلاد . .

* صفحة ١١٥٩ - السطر الرابع - ذكر كتاب (من حديث الشرق والغرب) للمرحوم الدكتور محمد عوض محمد ، ولم يشر إلى النقد الذي نشره محمد عبد الغنى حسن لهذا الكتاب في مجلة المقتطف سنة ١٩٣٧ . وقد كان المؤلف الفاضل الأستاذ يوسف أسعد داغر حريصاً على أن ينشر نقد مؤلفات المترجم لهم في كتابه ، ولكنه لم يلتزم بهذا المنهج دائماً ، لما فيه من توسع ينتهي إلى التضيق ، فإن الإحاطة بذلك ، طالب لايسهل تحقيقه . .

* صفحة ١١٧٤ - السطر الثالث - جاء في التعريف بالدكتور يوسف مراد ، أنه اختصاصى بالفلسفة وعلم النفس . وهذا حكم ينقصه الدقة ، فالدكتور يوسف مراد كان من المختصين بدراسات علم النفس ، تشهد بذلك كتبه ومنها : (شفاء النفس)

و(سيكولوجية الجنس) و(مبادئ علم النفس) و(دراسات في التكامل النفسى) : ولم يعلم عنه تخصص في الفلسفة :

* صفحة ١٢٨٣ - السطر الأخير ، ورد البيت الآتي من شعر السيدة الشاعرة سلمى الملائكة ، أم الشاعرة نازك الملائكة هكذا :

ورجحان في عقلها لا يضاهاى
وسمه في قولها والفعال

وهو مكسور ويستقيم وزنه بوضع كلمة رجوح ، بدلا من رجحان ، فيصير هكذا :

ورجوح في عقلها لا يضاهاى
وسمو في قولها والفعال

* صفحة ١٢٩٧ - السطر الثاني . ورد اسم كتاب للدكتور منصور فهمى هكذا : (نخطات النفس) ، وصوابه : (نخطرات نفس) ، وهو من مطبوعات دار المعارف سنة ١٩٣٠ ، وكان من حظى أن أستقبله - في مطلع شبابه - بأبيات شعرية نشرتها صحيفة الأهرام في ذلك الحين .

* صفحة ١٣٧٤ - السطر السادس . جاء في التعريف بالشاعر المصرى محمد الهراوى صاحب « سفير الأطفال » ، ورائد الشعر السهل الخاص بأدب الطفولة ، أنه عين مديراً لدار الكتب المصرية . والذي نعلمه علم اليقين أن المرحوم الهراوى لم يكن في يوم من أيام حياته مديراً لدار الكتب المصرية ،

هذا على أن مجلة الكتاب هذه لم تكن من أعمال عادل الغضبان ، ولكنها من منشآت دار المعارف التي عهدت إلى الشاعر المترجم له برياسة تحريرها :

وبعد ! فإننا نرجو من الأستاذ الوثائقي الفاضل يوسف أسعد داغر أن لا يضيق بهذه الملاحظات التي لا تنقص مقدار ذرة من جهده العظيم الذي أسدى به إلى المكتبة العربية كتابا نعهده مرجعاً لاغنى عنه للتعريف بحركة الأدب والفكر والفن في العالم العربي الحديث . ونسأل الله أن يمد في عمره ، لينجز ما وعد به من إكمال هذه المجموعة بنشر سلسلة تتناول التعريف بالأدباء والمؤلفين الأحياء البارزين في العالم العربي اليوم . فليس من السهل أن نجد باحثاً منقبا دعوباً منظماً مثل الأستاذ داغر ، ليجزى في هذا المقام الذي تندر فيه الأقلام . . . ويقل فيه الزحام .

محمد عبد الفنى حسن

وإنما كان مديراً لإحدى الإدارات فيها ، وشتان بين الوضعيين . ولقد جاءت تواريخ ميلاد الهراوى ووفاته في رأس ترجمته مضطربة بالتاريخين الهجرى والميلادى ، مما يقتضى التصحيح والانتباه من القارئ الكريم .

* صفحة ١٣٩٨ - السطر الثالث عشر .
جاء اسم « المصحف المفسر » للمرحوم محمد فريد وجدى هكذا : (المصحف المقسم) ، ولا مجال هنا ولا محل للتقسيم . وإنما هو التفسير . على أن المصحف المفسر لمحمد فريد وجدى بين أيدينا وهو معروف ومشهور ، ولعل ذلك من أوهام الطبع وتحريفاته .

* صفحة ١٤٩٦ - السطر الخامس ، جاء في الترجمة لعادل الغضبان أن من مؤلفاته (مجلة الكتاب الشهرية) . وهذا تساهل في التعبير تنتفى معه الدقة الواجبة . فإن المجلة أو الصحيفة التي يصدرها المرء ليست من مؤلفاته ، ولكنها من أعماله وثمار جهوده .



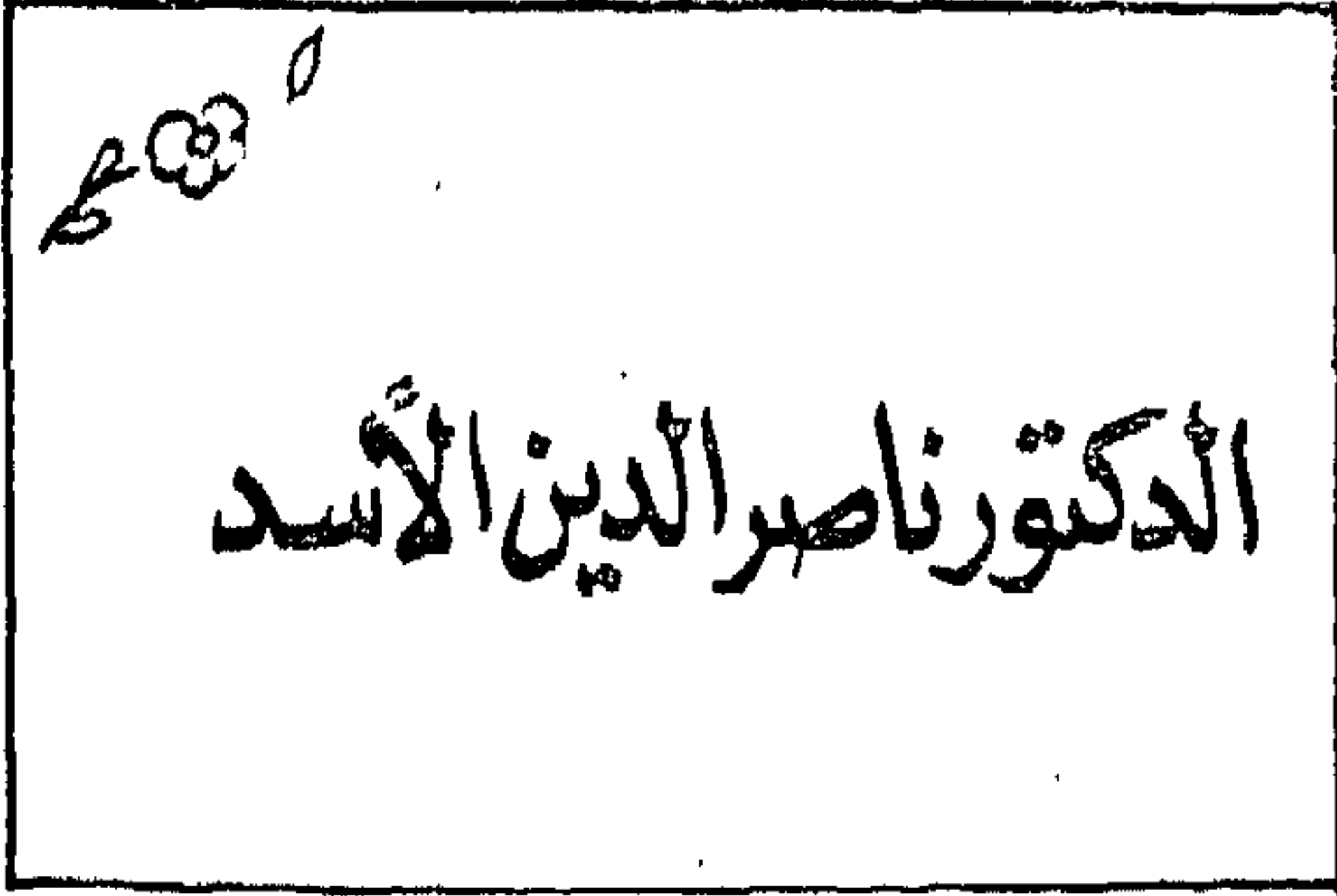
في الساعة الخامسة من مساء الخميس ١٢ من المحرم سنة ١٣٩٣ هـ

(الموافق ١٥ من فبراير سنة ١٩٧٢ م) اقام المجمع حفل استقبال الدكتور

ناصر الدين الأسد عضو المجمع الجديد من الأردن . وفيما يلي ما القى

في الحفل :

كلمة الافتتاح للدكتور عبد الرزاق محيي الدين في استقبال :



فحسب ، بل ونسبة ثقافة وأدب ، وله في البلاد العربية جهاد وطني وأساتذة وطلاب ، ومعارف وقراء ، وله قبل كل شيء هذه النخبة الصالحة من المصريين : أساتذة وطلاب .
باسم المجمع - مجمع اللغة العربية - أتقدم بتحيةة الزميل الكريم ، وأتسرف بتقديمه في هذه المناسبة ، والكلمة الآن للزميل الدكتور محمد مهدي علام .

● الدكتور عبد الرزاق محيي الدين :

باسم الله نفتتح الجلسة التي نستقبل فيها الأستاذ الجليل الدكتور ناصر الدين الأسد ، وكان من أعز أمانى أن أشهد هذا اليوم ، ولعل جميع العارفين بفضل الرجل كانوا يتطلعون في شوق إلى هذا اليوم . والدكتور ناصر وإن كان أردني مكان الولادة إلا أنه عربي منسوب إلى الأمة العربية على اتساعها أوطاننا لا نسبة دم

كلمة الدكتور محمد مهدي علام . . .

وإذا كان الممتازون من رجال العلم والفكر يتطلعون إلى شرف العضوية في المجمع العلمية ، فإن هذه المجمع تتطلع كذلك إلى هؤلاء الأعلام لتقلأ بهم ما يخلو فيها من الكراسي ، ليحل عالم جليل محل عالم جليل ، ولتظل الشعلة وهاجته تضيء السبيل أمام الأمة التي تنشيء هذه المجمع العلمية .

سيدي الرئيس ، سيداتي ، سادتي :

هذا يوم مشهود من أيام مجمعنا الموقر ، يوم يسعد فيه باستقبال عضو جديد يضم إلى كفاياته اللغوية والأدبية كفاية ممتازة ، ذات تاريخ وثيق في ميادين اللغة والأدب والثقافة ، وكل ما يتصل بالفكر العربي الرفيع .

وجمعنا هذا حريص على اختيار الأعلام
الثقات الذين تتمثل فيهم أهدافه في خدمة اللغة
العربية وأدبها على أعلى مستوى . وفي سبيل
ذلك يختار من صفوة أعلام البلاد العربية من
يمثلون بلادهم ليكونوا مع زملائهم المصريين
سدنة لهذه الكعبة العربية ، وحماة لهذا المعقل
الحصين .

واليوم يشرفني المجمع أن أنوب عنه
في عمل يسعدني أن أقوم به لصديق كريم :
أن أستقبل باسمه الأستاذ الدكتور ناصر الدين
الأسد .

ومهما يكن العضو الجديد الذي نستقبله
معروفا لنا ولغيرنا ، فقد قضت التقاليد
المجمعية أن يذكر مستقبله شيئا عن حياته
العلمية . ولولا ذلك لكان الدكتور ناصر
الدين الأسد في غنى عن أن أقول عنه أكثر
من قولي : مرحبا بك أيها الزميل الجديد
في حرم المجمع عضوا نعتز بزمالته .

ولكنني متابعة لهذه التقاليد ، أقدم زميلنا
الجديد بأنه من مواليد العقبة في الأردن في
الرابع عشر من شهر ديسمبر (كانون الأول)
سنة ١٩٢٢ .

وقد درس في الكلية العربية بالقدس ،
وحصل منها على الشهادة الثانوية الإنجليزية
(المتريكبوليشن) سنة ١٩٤١ ، وبعد سنتين
حصل على دبلوم التربية والتعليم من نفس
الكلية . ثم التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة ،
وحصل منها على الليسانس الممتازة سنة ١٩٤٧

وتابع دراساته العليا فيها ، فحصل على
الماجستير سنة ١٩٥١ بتقدير جيد جدا .
وكانت رسالته لها عن « القيان والغناء في
العصر الجاهلي » .

ومع ما بذل من جهد ، وأنفق من وقت ،
وحقق من نتائج ، في هذا الميدان ، فقد
أحس - كما يقول - أنه يسير في طريق
لا يكاد يستبين فيه مواطئ قدميه ، وأن عليه أن
يعود أدراجه ، ليبدأ بداية جديدة ، لا يخطو
فيها إلا بعد تثبيت وتيقن ؟

يقول : « وعدت ، وبدأت الطريق من
أوله ، وقضيت أربع سنوات أخرى ،
خرجت منها بهذا البحث لدرجة الدكتوراه ،
وأنا مقتنع بأن هذا الموضوع الذي أبحثه هو
الخطوة الأولى الصحيحة التي تسبق كل خطوة
غيرها ، في سبيل دراسة الشعر الجاهلي » .

وبذلك حصل ذلك الدارس الجاد على
درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز في سنة ١٩٥٥ ،
على بحثه عن « مصادر الشعر الجاهلي ، وقيمتها
التاريخية » .

وإذا حدثت امرأ نفسه بأن هذا الدارس
كان يسير في أرض معبدة ، وأنه كان
يبحث موضوعا مطروقا ، فليقرأ هذا السفر
العظيم الذي يربو على سبعمائة صفحة من القطع
الكبير ، ليرى أن الأناة العلمية ، وإسباغ
الدقة على مكاره التنقيب ، يتمثلان في عمل
من أهم أعمال الدكتور ناصر الدين الأسد ،

إن لم يكن حقا أهمها ، ذلك هو بحثه في مصادر الشعر الجاهلي .

فع وفرة ما كتب في هذا الميدان ، بأقلام الباحثين العرب والمستشرقين ، ومع انتشار عثير المعارك التي خاضها فيه العلماء والمؤرخون ، لم يردد « الأسد » أن يقتحم العرين ، ليثبت أنه صاحبه حقا .

ولكنني لا أنصف الدكتور ناصر الدين الأسد إذا وقفت في تقديره عند هذين العاملين العظيمين . مهما بلغا في دقة البحث وعمقه ، فإن له سلسلة من المؤلفات والبحوث المنشورة ، يقف القارئ أمامها في دهشة وإعجاب ، لتنوعها في إطار وحدتها .

ويتضح هذا التنوع في إطار الوحدة من عبارة وردت في بحث قدمه باسم « التراث والمجتمع الجديد » إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس في بغداد سنة ١٩٦٥ .

فقد عرض في هذا البحث الاتجاهين المتضادين في العكوف على التراث وفي إهماله ، ثم أعلن رأيه في اتجاه ثالث ارتضاه ، قائلا :

« وقامت مع هاتين الطائفتين ، واستمرت معهما تواجبهما ، طائفة ثالثة ، هي أقرب الثلاث إلى الفهم السليم ، وإلى طبيعة الحياة الصحيحة ، جمعت بين الحسينيين ، ورأت أن الحياة لا يمكن أن تجمد وتقف حيث كانت ، ولكنها في الوقت نفسه لا يمكن أن تنطلق متحللة من كل نظام يربطها بخصائصها ومقوماتها التي تتمثل في تراثها ؛ فأنزلت هذه الطائفة

قديمها في منزله الصحيح ، وعكفت عليه تدرسه وتحبيه وتجده ، وتستخرج كوامنه ، وتجلو روائعه ، ثم مضت في حياتها على هدى من هذا التراث ، تستقبل الجديد ، وتحيا فيه حياة سليمة ، وتشارك فيه مشاركة أصيلة .

وكذلك فعل ناصر الدين الأسد: ففي الوقت الذي يحقق فيه تحقيقا علميا دقيقا « ديوان قيس ابن الخطيم » ، و « ديوان شعر الحادرة » - يكتب عن « الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن » وعن « الشعر الحديث في فلسطين والأردن » ، وعن « تحليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين » ، وعن « محمد روجي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين » .

وفي الوقت الذي قد نترقب فيه أن تفكيره العلمي قد استغرقه بحثاه الرائيان اللذان عبر بهما خمسة عشر قرنا إلى مجاهل الشعر الجاهلي ، نراه يكتب عن « قصص الكيلاني للأطفال » ، وعن « فلسفة الاستعمار » ، وعن « الثورة العربية الكبرى والأدب » ، ويشترك في الترجمة عن الإنجليزية للكتاب العظيم الذي كتبه جورج أنطونيوس عن « يقظة العرب » ، ويراجع الترجمة العربية لكتاب « ليبيا الحديثة » .

وأعود فأكرر أن هذه الإشارات الخاطفة لا تنصف مؤلفها . فهذا الكتاب الذي ترجمه مع زميل فاضل ، كانت له ترجمة

سابقة لأستاذ فاضل آخر . وكان طبيعياً وقد قرأت الأصل الإنجليزي ، والترجمة الأولى ، وهذه الترجمة الجديدة ، أن تستوقفني بعض الفقرات ، أختار منها هذه الفقرة التي تتصل بمشكلة اللغة العربية وصراعها مع اللغة الأجنبية في سورية ، مرة مع التركية ، ومرة أخرى مع الفرنسية . يقول (ص ٤٩٧) :

« ومن أكبر أسباب ذلك الاستياء (الاستياء من الانتداب الفرنسي) تهديدهم لسيادة اللغة العربية . لقد كان من حسنات الثورة تصفية النزاع حول اللغة بين الأتراك والعرب . وحقق الدافع الثقافي الكامن وراء الثورة وجوده ، بعد النصر ، بتملك اللغة العربية زمام الأمور ، أعني جعلها الواسطة الوحيدة للتعبير في الحياة القومية ، وفي تحوير نظام التعليم تحويراً كاملاً . (وعلينا أن نعلم أن العامل الثقافي كان أعمق الدوافع وأكثرها طاقة في الثورة) - وكان رضى الشعب على أتمه عندما أصبحت اللغة العربية لغة المدارس والمحاكم بخاصة ، غير أن الانتداب الفرنسي - وهو ذو أغراض سياسية خاصة في شئون اللغة والتعليم - أعاد مشكلة النزاع القديم جذعة ، فأصبحت مسألة اللغة في المدارس والمحاكم صحت نزاع جديد مثلما كانت الحال في أيام الحكم التركي . »

والدكتور ناصر الدين الأسد رائد في البحث ، كما اتضح لنا ، ولذلك اتجه في كثير من نشاطه العلمي إلى البحث عن الرواد . فمن ذلك بحثه في « الاتجاهات الأدبية

الحديثة في فلسطين والأردن » . وهو بحث رائد في ميدان غير ذي معالم ، فوضع له الخطوط التي لا بد منها لتحديد الدراسة ، ومهد طريقاً علمياً لبحث الحركة الأدبية في هذين القطرين العربيين . وقد استرعى إعجابي وأنا أقرأ هذا البحث أن مؤلفه بناه على الاطلاع على نحو ثلاثمائة كتاب أو صحيفة ، وعرف فيه بنحو مائة وأربعين كاتباً وشاعراً .

وبعد ثلاث سنوات عاد الدكتور ناصر الدين الأسد لموضوعه ليفصل بعض ما أجمل في كتابه السابق ، فكتب عن الشعر الحديث في هذين القطرين ، وكان جهده هنا جهد رائد كذلك في تتبع هذا الشعر في الصحف والمجلات ، والمجموعات الخاصة ، وأفواه الأصدقاء .

ومن دراساته الرائدة عن الرواد ، كذلك ، كتاباه عن « خليل بيدس : رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين » وعن « محمد رويحي الخالدي : رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين » . ويتمثل في هذين الكتابين منهجه في التنقيب عن الرواد وآثارهم في القطر العربي السليب الذي خشى صديقنا ناصر الدين أن يندثر تاريخه الأدبي والثقافي في غمرة المحنة التي أصابته ، فما ترك حجراً إلا قلبه للوصول إلى ما سجله ، فكان في ذلك رائد المؤرخ للرواد .

سيدي الرئيس ،

إن هذا الأستاذ العالم قد قام بما قام به من التأليف في الوقت الذي كان يتولى فيه

أعماله ، بحوث علمية ممتازة نشرت لها مجلة
المجمع .

فباسم المجمع أتشرف بتقديم هذا العالم
الثابت الجذور في أصول التراث ، الباسق
الأغصان في الأدب الحديث ، الجامع بين
عراقة القديم ، وروعة الحديث .

سيدي الرئيس ،

لقد سبق أن دعى الدكتور ناصر الدين
الأسد فليبي دعوة الجامعة العربية . واليوم
يدعى فيلبي دعوة العربية الجامعة .

كثيراً من المناصب العلمية والثقافية . فهو
أستاذ جامعي مارس المحاضرة في عدد من
الجامعات العربية ، كما شغل مناصب قيادية
في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . وهو
الآن المدير المساعد للمنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم .

وحسبي أن أذكر أنه مؤسس الجامعة
الأردنية ، وكان عميدا لكلية الآداب بها ،
كما كان رئيسا للجامعة نفسها .

إن الدكتور ناصر الدين الأسد يدخل
مجمعا الموقر تتقدمه إلى جانب ما ذكرت من

كلمة الدكتور ناصر الدين الأسد . . .

سيدي الأستاذ الرئيس

الأساتذة العظام أعضاء المجمع

سيدي و سادتي :

هذا موقف هابه كل من وقفه قبلي ،
وقد رجعت إلى كلمات أكثرهم في هذه
المناسبة ، فمنهم من صرح ووضح ، ومنهم
من لم يصرح ولم يصرح ، غير أنهم جميعا في الشعور
بالهيبة من هذا الموقف سواء .

وبعضهم أساتذة لي أجلاء ، جلست ومازلت
أجلس منهم مجلس التلميذ ، وبعضهم علماء
اعلام ضربوا بأوفر سهم في ميادين المعرفة
الإنسانية وبلغوا فيها شأوا بعيدا ، وبعضهم
ملكوا ناصية البلاغة والفصاحة في الكتابة
والخطابة ، ودانت لبيانهم الأقلام والمنابر ،
غير أنهم جميعا - مع ذلك - في الشعور بالهيبة
من هذا الموقف سواء .

ولكن ، مالي أكني بغيري ؟ هل أراني
ألتمس بذلك العذر لنفسي حين أجد كل
كلام أعده لهذا الموقف أقل من أن يبلغ مشارفه ،
وأدنى من أن يرتفع إلى ذراه ؟ أجل ، إن
الأمر لكذلك وما على فيه إن شاء الله من بأس .

فجميعكم أيها العلماء الأجلاء ، أتمنح صرح
تعلو إليه الأعناق ، وأمنع معقل تتناول إليه الهمم

وأعلى منارة ترنو إلى ضوءها الأبصار ، فلا
عجب أن يتنافس في الانضواء تحت لوائه
المتنافسون ويتسابق المتسابقون ، ثم لا يجوز بعد
ذلك حماه ، ولا يدخل ساحته إلا صفوة
الصفوة وخيرة الخيرة ممن توهم فيهم القدرة
على أن يكونوا حماة هذه اللغة وحراس تراثها ،
وسدنة ثقافتها ، وما إن يؤذن لأحد منهم بالدخول ،
وتفتح له الأبواب ، ويخطو خطوته الأولى ،
حتى تتملك الرهبة نفسه ، وتملأ الهيبة قلبه ،
ويحس بالخشوع وهو يسير في رحاب الخالدين .
ثم لا يخف عنه بعض هذا إلا حين تأخذون
بيده ، وتتعهدونه بالرعاية ، ويألف المكان
والصحاب . وأعوذ بالله ، أيها العلماء الأجلاء
من أن أبالغ في القول وأشتط في الوصف ،
وأجلكم وأجل مجتمعكم عن أن أقول فيكم
وفيه ما لا يوافق الحق . ولولا خشيتي من
الظن أن ينالني من اثناء نصيب ، بعد أن
كرمتموني وأذنتم لي في دخول حماكم ، لقلت
ما كان ينبغي أن يقال في حقكم من أوصاف
التعظيم والإكبار . ولوجب على مجتمعكم ما قال
أبو الطيب :

فساق إلى العرف غير مكدر
وسقت إليه الشكر غير مجتم

هير أنى لا أجد لمثل هذا الظن بى مكاناً فى النفوس، فإذا كان من الصحيح أن بعض الذين يستحقون شرف العضوية بمجمعكم لم ينالوها لعلّة ليست فيهم، فإن من الصحيح أيضاً أنه ليس كل من اخترتموه ، مستحقاً الاستحقاق كله لشرف العضوية حين الاختيار . وليس فى الحالتين ما يقدح فى المجمع ولا فى الأشخاص ، ولا ما يخالف سنة الحياة وطبائع الأشياء ، فالنفر الأول إنما حال بينهم وبين المجمع أن عدد الأعضاء محدود وأن المستحقين كثر فلا بد من أن يؤذن لفريق وأن ينتظر آخرون . وأما نفر الثانى، فإنما أدخلهم تشجيع العلماء لتلامذتهم، ورعايتهم إياهم، وحبهم عليهم ورغبتهم فى أن يتمرسوا بعملهم على أيديهم وفى ظلهم ، عسى أن يكون منهم فى مقبل الأيام من يواصل الرسالة ويستمر فى حمل الأمانة . وما أحسبني إلا أحد هؤلاء التلاميذ الذين نالوا شرف التشجيع والرعاية والتعهد ، وعلى أن أطيل الاستماع والتعلم ، وأن أفرغ أقصى الجهد فى التلقى والاستفادة ، وأن أسير على هدى هؤلاء العلماء الأعلام، ولا أملك إلا أن أعدكم بذلك وأعاهدكم عليه ، وليس على الله ببعيد أن يحقق الأمل ويجعاني جديراً ببعض هذه الثقة الغالية .

من أجل هذا ، أساتذتى العلماء ، أكبرت الأستاذ الجليل الدكتور مهدي علام حين ندب نفسه ليستقبل أحد هؤلاء التلاميذ ، ولم يخالنى شك قط فى أنه قادر بحمدّ به أن يغطى ضعفى، ومستطيع برعايته وجميل ثقته أن

يرتفع بتقصيرى ، فأظهرنى بهذا المظهر الذى صوره لكم كريم خلقه ، وجاء حديثه كعادته أبدا :

إذا ما صافح الأسماع يوماً
تبستمت الضمائر والقلوبُ

فله أصدق الشكر وأخلصه كفاء ما أقال من عثرتى ، وجبر من كسرى ، وزين من أمرى .

ومن أجل هذا أيضاً. أشفقت على نفسى الإشفاق كله أن أخلف فى مجمعكم عضواً كان لاسمه من الدوى فى أقطار وطننا العربى وفى بعض الهيئات العلمية الأجنبية ، ما يجعله أكبر من كلمة يقولها فيه مثلى . وهل فى بلادنا العربية: بين مثقفها وعلمائها وأدبائها، من لم يسمع باسم قدرى حافظ طوقان ، ومن لم يقرأ له بعض نتاجه العلمى؟ غير أن الموقف يقتضى الخلف أن يذكر السلف ، ولو كان رحمه الله حياً يسمع ما أقول لتغمده بما عرف عنه من ساحة وسعة صدر ، وتجاوز عن تقصير الناس ، واغتفار لعجزهم وضعفهم :

أجمع من كتبوا عن آل طوقان بنابلس فى فلسطين - رد الله غربتها وطهرها من دنس احتلالها -. أنهم من عشيرة الطوقان السورية، وأنهم فرع من عشائر كانت تسمى الموالى . وربما كانت موالاتهم للدولة العثمانية سبباً لتسميتهم بهذا الاسم . وكانوا ينزلون سهل الغاب، فى سورية . وقد قيل فى أصول الموالى أقوال مختلفة لتشعب فروعهم وكثرة المنتسبين

إليهم وكان من أهم فروصهم عشيرتان :
[الطوقان وآل أبي ريشة .

وكان الطوقان من شيوخ الموالي ، ويرجح بعض الباحثين أنهم يرجعون في أصولهم إلى طيّبىء من عرب اليمن ، وقيل في سبب تسميتهم أقوال مختلفة ، منها : أنهم كانوا يضعون في أعناقهم طوقين تمييزاً لهم من بقية الموالي ، [ومنها : أن الطوقين كانا رتبة من الدولة العثمانية تدل على منزلة معينة .

المعروف أن آل طوقان جاءوا بعد ذلك من الجولان - فرج الله كربها وكشف غمها - [ونزلوا نابلس في نحو سنة ١٠٦٦ للهجرة . وبدأ نجمهم يتألق حين عين صالح (باشا) طوقان متصرفاً على القدس ، ثم توالى حكم نابلس من آل طوقان حتى نهاية الحكم العثماني ، وكانوا يسمون بالبيكات لأنهم أبناء صالح (باشا) وحفدته بعد ذلك .

ومن أشهر رجالهم مصطفى (باشا) حفيد صالح (باشا) ، وكان شيخاً على عشائر بني صعب ، ثم عين والياً على مصر ثم والياً على الحجاز ، وظل فيها إلى أن مات سنة ١١٩٧ للهجرة . وشارك بعض القادة العسكريين من آل طوقان مشاركة فعالة في قتال ظاهر العمر الذي اتفق مع علي بك الكبير وحليفته روسيا على إعلان العصيان والثورة على الدولة العثمانية ، في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ثم شاركوا كذلك في قتال نابليون وهزيمته في بلاد الشام .

وكما كان من آل طوقان الحكام والقواد كان منهم التجار والساسة والوزراء والعلماء والأدباء والشعراء ، ومن منا لم يسمع بشاعر فلسطيني غير منازع المرحوم إبراهيم طوقان وبأخته الشاعرة فدوى طوقان ، وهما ابنا عم قدرى لحا .

في ظلال هذه الدوحة ولد فقيدنا في مدينة نابلس في نحو سنة ١٩١٠ للميلاد ، وتلقى فيها دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم تلقى دراسته العالية في الجامعة الأمريكية ببيروت ، ونال منها شهادة البكالوريوس في الرياضيات سنة ١٩٢٩ . وأصبح بعد تخرجه مدرساً في كلية النجاح الوطنية بنابلس ، ثم تولى إدارتها سنة ١٩٥٠ فعمل على تطويرها وأنشأ فيها معهداً للمعلمين . ومع كثرة أعبائه وتعدد أعماله بعد ذلك ، ظل متمسكاً بإدارته لكلية النجاح حتى انتقل إلى جوار ربه في بيروت في ٢٦ من فبراير سنة ١٩٧١ .

انتخب نائباً عن مدينة نابلس في المجلس النيابي الأردني سنة ١٩٥٠ ، وتسلم منصب وزير الخارجية الأردنية سنة ١٩٦٤ فعمل على تحسين العلاقات بين الأردن ومصر والاعتراف باليمن الجمهوري .

ذاع ذكره في مجال البحث العلمي وخاصة في تاريخ العلوم عند العرب ، وزادت تأليفه على عشرين كتاباً ، وكتب كثيراً من المقالات في العلم والسياسة والأدب والأخلاق نشرتها

له المجالات في مختلف أقطار الوطن العربي ،
وأذاع عشرات الأحاديث من إذاعات البلاد
العربية وبعض الإذاعات الأوروبية ، وألقى كثيرا
من المحاضرات العلمية والتوجيهية في عدد من
البلاد العربية والإسلامية وانتخب عضوا في نحو
عشرة مجامع ومجالس وجمعيات علمية عربية
وأجنبية ، وشارك في عدد كبير من المؤتمرات العلمية
والثقافية . ومنحته جامعة البندج شهادة
الدكتوراه الفخرية في القوانين تقديرا لجهوده
المتواصلة في الفكر الإنساني والتراث
الحضاري والعلمي .

أيها العلماء الأجلاء
سيداتي وسادتي :

هذه نظرة عابرة على حياة عريضة عميقة
لرجل نذر نفسه للدراسة والبحث ، وعاش
لهما ، واستغنى بهما عن الزوجة والبنين ،
وعرفه أبناء أمته مما كان ينشر في الصحف
والمجلات وخاصة المقتطف والرسالة والثقافة ،
ثم من مؤلفاته وبحوثه التي أصبحت ركنا
أساسيا في ثقافة الجيل .

وإذا كان مثل هذا المقام لا يحتمل الإطالة ،
ولا يتيح الفرصة للإحاطة بشخصية فقيدها
وتحليل نتاجه العلمي ، فإن من الإنصاف أن
نقف وقفة فيها بعض التأمل لخصائص ثلاث ،
أحسب أنها المحاور الأساسية التي كان يدور
عليها جهده ونشاطه في مجال البحث والدراسة .

فأولاها - عنايته المتصلة بالتعريف بتراث
العرب العلمي في شتى ميادينه ، وخاصة في

الرياضيات والفلك ، ودعوته الدائمة إلى وصل
حاضرنا في العلم بماضيينا الزاهر فيه ، لإقامة
هذا الحاضر على أسس متينة من شخصية الأمة
ومقوماتها ، مع تنبيهه الدائم إلى عدم الاقتصار
على ذلك وضرورة الأخذ بالعلم الحديث وتبني
تطوره والاستفادة من أساليبه ومناهجه ونتائجه .

كان هدفه من عنايته ببعث تراثنا العلمي
ودعوته إلى إحيائه ومعرفته هدفا واضحا
محددا نص عليه بعبارات كثيرة في مناسبات
شتى ، منها قوله :

« لقد أدرك الغرب وبعض أمم الشرق أن
بعث الثقافة من أهم العوامل التي تتركز عليها
النهضات والحركات ، وأن الأمة التي تبغى مجدا
عليها أن تخلق في الأفراد روح الإيمان بقدرتهم
على الابتداع ، وأن تنشئ فيهم الشعور بالعزة
القومية ، وذلك بالاهتمام بماضيها ، وربطه
بماضرها ، وتعريف الناشئة بجهود أسلافهم
ومآثرهم في ميادين العلوم ، وما كان لها من أثر في
تقدم الحضارة » .

ومنها قوله أيضا :

« إن الأمة العربية من الأمم التي خلفت
آثارا جليدة في ميادين المعرفة عادت على
الحضارة بالتقدم والارتقاء . وقد لا يكون
هناك أمة لها ما للأمة العربية من تراث خالد
وأثر بليغ في سير العلوم ، فلولا نتاج القرية
العربية لتأخر سير المدنية بضعة قرون . ومما
يؤسف له حقا أننا أهملنا تراثنا ولم نلتفت
إليه ، وأنه بإهمالنا هذا وعدم التفاتنا إلى مآثر
أسلافنا أصبح لدى الكثيرين منا اعتقاد

بعدم قابليتنا ، وأنه لم يكن لأجدادنا أى جهد فكري عالمي ، وأنه لم ينشأ بين العرب من استطاع أن يبلغ في ميدان العلم مبالغ علماء أوروبا وعباقتها . ومن أغرب ما نشاهده اليوم أن نجد كثيرين ينكرون على العرب مآثرهم في مختلف العلوم والفنون ، وقد يزيد استغراب القارىء الكريم إذا علم أن هذا الإنكار سائد ومسيطر على المثقفين وأصحاب الشهادات والألقاب العلمية . وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، حد الإنكار ، بل يتعداه إلى الاستخفاف بكل ما هو شرقي عامة وعربي خاصة ، وإلى التنقص من جهد السلف وفضلهم على المدنية ، في حين أننا نجد في الغرب من قام يدافع عن الحقيقة لأنها حقيقة ، ومن قام يظهر الحق لأنه حق ، وقد دفعهم الإخلاص للحقيقة أن ينصفوا الحضارة العربية بعض الإنصاف ، فاعترف غير واحد بما للمدنية العربية من فضل على مدنية أوروبا التي ينعمون بها . وقد ثبت لهم أنه كلما تقدم العلماء في البحث عن نتائج قرائح العرب تجاسى لهم فضل العرب على العلم والعمران بصورة أوضح ، وظهر لهم أن العرب سبوا الغرب في وضع النظريات الرياضية والفلكية والفلسفية ... إننا أولى من غيرنا بمعرفة عباقتنا ونوابغنا . إنه لو اوجب مقدسنا علينا أن نهتم بتراثنا وبما أورثه أسلافنا إلى الأجيال .

ومنها قوله أيضا :

« إن الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ليس فيها شذوذ أو خروج على منطق التاريخ ، فلم

يكن بد من قيامها حين قامت . وقد قام أصحابها العرب بدورهم الكبير في تقدم الفكر وتطوره بأقصى الحماسة والتهيم ، وهم لم يكونوا مجرد ناقلين كما قال بعض المؤرخين ، بل إن في نقلهم روحا وحياة ، وكذلك لم يكن ميكانيكيا ، فهو أبعد ما يكون عن الحمود .

وقد خطوا في العلوم خطوات فاصلات كان لها أبعد الأثر في تقدمها ؛ فبعد أن اطلع العرب على ما أنتجته قرائح القدماء في سائر ميادين المعرفة تنقحوه وشرحوه وأضافوا إليه إضافات هامة أساسية تدل على الفهم الصحيح وقوة الابتكار .

بمثل هذه العبارات الواضحة حدد عالمنا هدفه وأبرر قيمة موضوعه . ومن أجل هذا كان من أوائل ما نشر من مقالات مقالة عنوانها « حول التراث العربي » وأخرى عنوانها « حاجتنا إلى ما يحيي الخصائص العربية » وثالثة عنوانها « حول محاضرات ابن الهيثم التذكارية » ورابعة عنوانها « الملاححة عند العرب » وخامسة عن « ابن ماجا : أسد البحر الهائج » ، وغيرها كثير .

ومن أجل هذا أيضا كان من أوائل ما صدر له من بحوث مطولة بحثه الذي أعده سنة ١٩٣٦ ، وعنوانه « الأثر العلمي للحضارة الإسلامية وأعظم علمائها » نشر في كتاب « نواح مجيدة من الثقافة العربية » ، وهو هدية المقتطف السنوية ، وفيه بحوث لثلاثة علماء آخرين .

ثم صدر في سنة ١٩٤١ كتابه الذائع الصيت « تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك » طبع ثلاث طبعات كانت الثالثة سنة ١٩٦٣ . وأصبح هذا الكتاب عمدة المثقفين والدارسين في موضوعه ، وأثنى عليه كثير من العلماء العرب كالمرحوم الدكتور علي مشرفة والأجانب كالدكتور سارتون ، وقرظته المجلات العلمية والأدبية .

وتوالى بعد ذلك كسبه وبحوثه في هذا الباب : فصدر له في سنة ١٩٤٦ « الأسلوب العلمي عند العرب » ، وفي سنة ١٩٥٤ « الخالدون العرب » ، وفي سنة ١٩٥٦ « العلوم عند العرب » ، وفي سنة ١٩٥٨ « ابن حمزة والتمهيد إلى اللوغارتمات » ، وفي سنة ١٩٦٠ « مقام العقل عند العرب » وفي سنة ١٩٦١ « أثر العرب في تقدم علم الفلك » ، وفي السنة نفسها « العلوم عند العرب والمسلمين » ، وفي سنة ١٩٦٢ « الروح العلمية عند العرب والمسلمين » ، وفي سنة ١٩٦٦ « حيوية العقل العربي في نقد الفكر اليوناني » ، وفي السنة نفسها « أبو الريحان البيروني » .

ونشرت هذه الكتب والبحوث في القدس وعمان والقاهرة وبيروت ، وبعضها طبع عدة مرات .

أما ثمانية خصائصه : فتتمثل في السعي إلى تبسيط المعرفة العلمية وتقريرها إلى عقول الناشئة وجمهرة المتعلمين والمثقفين ، وكان هذا دأبه في كثير مما كان ينشر من مقالات

في المجلات والصحف السيارة التي كان يقرأها جمهور متفاوت الثقافة ، مختلف المشارب ، متعدد التخصص .

ومما ذكره في هذا المجال في مقالة نشرها في المقتطف سنة ١٩٣٤ عنوانها « غرائب الأعداد وعجائب المعادلات » قوله :

« ومن البديهي أنني في هذا المقال لا أستطيع أن آتي على جميع غرائب الأعداد وعجائب المعادلات ، فغرائب الأعداد لا تدخل تحت حصر عدا كون بعضها يحتاج إلى استعمال ما قد يدخل السأم والملل إلى النفوس .

وأما عجائب المعادلات فسأتى على ذكرها تنويها ، إذ تحتاج إلى استعمال الصعب من القوانين الرياضية والمعادلات العويصة ، وهذا مامسناحاول تجنبه في مقالنا هذا ، ولكننا سنأتى على بعض أمثلة بسيطة من غرائب الأعداد وعجائب المعادلات من التي لا تحتاج إلا إلى إلمام بسيط بقواعد الحساب ومبادئ الجبر » .

ومما قاله في هذا أيضا :

« لا يستطيع أحد من الذين يُعَنَنُونَ بالعلوم الطبيعية والفلكية تبسيط بحوثها إلا إذا كان مالكا لخاصيتها ، ضليعا في اللغة ، واقفا على أسرارها . فليس من السهل تقديم الموضوعات العويصة في قالب نحال من التعقيد والغموض ، كما أنه ليس من السهل أيضا وضع النظريات والقوانين الكونية وما يتصل بها من ظواهر وحركات في أسلوب يستسيغه أصحاب الثقافة

العامة وجمهور المتعلمين . . . ولهذا فقليلون هم الذين يوفقون في عرض بحوث العلم الدقيقة والعويصة ، كالفلك والرياضيات والطبيعات ، في لغة سلسلة سهلة المأخذ ، بعيدة عن الغموض والإبهام .

وفي هذا الباب صدرت له ثلاثة كتب في سلسلة « اقرأ » بدار المعارف بمصر . الأول سنة ١٩٤٣ وعنوانه « الكون العجيب » ، والثاني سنة ١٩٤٩ وعنوانه « العيون في العلم » والثالث سنة ١٩٥٥ وعنوانه « البقاء والفناء » في الطاقة الذرية . ونالت هذه الكتب رواجاً لدى القراء فطبعت مرات كثيرة .

وأما ثلاثة خصائصه فقد كانت حرصه على إشاعة المعرفة العلمية وجعلها جزءاً من ثقافة المرء العامة ومن تكوينه العقلي والخلقي وأسلوبه في التفكير .

فكان يؤكد في كل مناسبة ربط العلم بالعمل في جميع ميادين الحياة ، ويكشف عن الأصالة الوثيقة بين العلم والخلق ، وأن المرء كلما زادت معرفته العلمية زاد معرفة بكثرة ما يجهل ، وذلك يكسبه تواضعاً وسمو خلق ، وأن العلم يقود لا محالة إلى الإيمان . وكان يحرص على أن يبنى عن العرب والمسلمين التشبث بالخرافات ، ويبرز جوانب عقليتهم العلمية التي تعلق الظواهر الكونية ، وتردها إلى قواعد وقوانين في نظام علوي وناموس إلهي تتجلى فيهما قدرة الله وحكمته في أفعاله وأعماله .

وربما كان أشهر ما صدر له في هذا الباب كتابه « بين العلم والأدب » سنة ١٩٤٦ ، وقد

جمع فيه بعض مقالاته التي نشرها في المجلات والصحف وبعض محاضراته العامة ، وفيها بسط لآرائه في ضرورة التزود بالمعرفة العلمية لتكتمل للمرء ثقافته .

وبعد . . .

فما أحسبني - مع هذا التطواف كله - قد وفيت فقيدينا بعض حقه ، وقد بقيت في النفس أشياء كنت أتمنى أن أتحدث عنها ، وخاصة ما يتصل منها بمواقفه وكتاباته القومية التوجيهية ، وقد صدر له كتابان : الأول سنة ١٩٥٠ وعنوانه : « بعد النكبة » والثاني سنة ١٩٥٣ وعنوانه : « وعى المستقبل » ، وهما كتابان لا يغني عرض مجملهما عن قراءتهما .

أيها العلماء الأجلاء .

سيداتي وسادتي :

كنت من الذين سعدوا بمعرفة عالمنا الراحل حقبة زادت على العشرين عاماً ، والتقيت به مراراً في نابلس في منزله وفي كلية النجاح الوطنية ، ثم كنت ألتقي به كل أسبوع حين شرفت سنة ١٩٦٢ بتأسيس الجامعة الأردنية في عمان ثم توليت رئاستها ست سنوات ، وكان رحمه الله عضواً في مجلس أمنائها ، وكان حديثنا لا يسكاد ينقطع عن المصطلحات العلمية ، واستعمال العربية لغة للتدريس في السكليات العلمية ولغة للبحث العلمي . وكانت صلاتي بموضوع المصطلحات بدأت منذ سنة ١٩٥٥ حين عقد المؤتمر العلمي العربي الثاني في القاهرة بدعوة من الإدارة

الثقافية بجامعة الدول العربية ، وكنت حينئذ عضواً في وفدنا إلى المؤتمر ، وبدأت من هذا المؤتمر عناية الإدارة الثقافية بتوحيد المصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام حتى نهاية الدراسة الثانوية: في الرياضيات ، والطبيعة ، والكيمياء والنبات ، والحيوان والجيولوجيا . فأعدت نماذج من الكراسات اشتملت كل صفحة من صفحاتها على عدة أعمدة ، تضمن العمود الأول مصطلحات علم من هذه العلوم باللغة الإنجليزية ، وعلى رأس كل عمود من الأعمدة الباقية اسم إحدى الدول العربية لتضع في العمود المخصص لها اللفظة العربية التي تستعملها في كتبها المدرسية مقابل المصطلح الأجنبي . وبذلت الإدارة الثقافية جهوداً متصلة لجمع إجابات الدول العربية وتنسيقها ، واستغرق ذلك سنوات إلى أن ضم المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط إلى جامعة الدول العربية ، وقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأصبح المكتب من أجهزتها ، فأحيل الموضوع عليه ، فسعى إلى استكمالها من إجابات الدول العربية ومن جهود خبراءه في استخراج النقص من المكتب المدرسية نفسها بعد أن جمع المكتب هذه الكتب من البلاد العربية ، وأثبت المصطلحات باللغتين الإنجليزية والفرنسية . وسيعرضها على المؤتمر الثاني للتعريب الذي سيجتمع في الجزائر في الشهر الأخير من هذا العام . هذه قصة واحدة من قصص كثيرة عن محاولات تنسيق المصطلحات وتوحيدها ، استهدكت هذا الجهد الكبير

واستغرقت هذا الوقت الطويل . أما وضع المصطلحات : تعريفاً أو ترجمة أو إحياء للكلمة قديمة ، فله قصص كثيرة عند العلماء والاتحادات العلمية والمجامع ، وحسبنا أن نقتصر على مجملنا هذا وحده ونذكر الزمن الطويل الذي قضاه ، والجهد المفضى الذي بذله في تقديم ثروة من المصطلحات في مختلف فروع العلم والمعرفة وجوانب الحياة ، مما أسماه « المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة » بلغت عشرات الألوف من المصطلحات والألفاظ ، مع الشروح المعروفة بمعانيها ، المقربة للدلالات ، نشرها في مجلدات كبيرة تضم كل مجلد مجموعة من هذه المصطلحات العملية والفنية حشدت لها جهود خبراء المجمع ولجانته ، وعقد لها مجلسه ومؤتمره جلسات طوالاً استغرقت سنوات متواصلة .

وأستاذنا أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم المذكور الأمين العام للمجمع في أن أستاذنا يبعث ما كتب في مقدماته لهذه المجموعات ، قال :

« ولغة العلم وليدة المصنع والمعمل ، وثمره من ثمار قاعة الدرس والبحث . وقد تختلف من باحث إلى باحث ، ومن بلد إلى آخر . ويحرص المجمع الحرص كله على أن يلاقى بين هذه الأطراف ويوحد الكلمة ، ويجمع الباحثين والدارسين على لغة علمية عربية سواء . ولا يزعم مطلقاً أنه بلغ في ذلك الغاية ، فخبرائه قد يتعدون في الموضوع

الواحد ويختلفون ، وأعضاؤه قد يُغلبون استعمال قطر عربي على آخر . وبعض المصطلحات التي أقرها لفظان مختلفان أو أكثر، ولا يزال الأمر يتطلب مزيداً من الصقل والتقويم. وبقيننا أن متابعة نشر مجموعة المصطلحات العلمية والفنية كل عام من أنجع الوسائل لتدارك بعض هذا النقص .

وقال في مقدمة مجموعة أخرى :

« والمجمع يؤمن إيماناً جازماً بأن قيمة المصطلح في نشره واستعماله ، وينادي دائماً بتوحيد المصطلحات العلمية بين العامة والخاصة في العالم العربي بأسره ، ويأمل في أن يعين نشر مجموعة منها كل عام على ذلك .»

ويقول في مقدمة ثالثة :

« وليست اللغات مما يفرض فرضاً . . . وإنما هي استعمال سري واستقر ، وعرف هذب ونقح على مر الزمن ، وحياة المصطلح العلمي في تداوله ، وتوحيده في أن يتفق عليه المشتغلون به .»

وكما استأذنته في الاستشهاد بكلامه والاقْتباس منه ، استأذنه في أن أفهم كلامه — وإن جاء ظاهره في صيغة خبرية تقريرية — إنه في حقيقته إنشائي دعائي ، أكاد أسمع من خلال ألفاظه صيحته المدوية مهيباً بعلمائنا وجامعاتنا ومعاهدنا أن ينشروا هذه المصطلحات فيما بينهم وفيما بين تلامذتهم، وأن يستعملوها في بحوثهم العلمية وكتبهم ، وقيل

ذلك ومعه وبعده، في تدريسهم باللغة العربية؛ ذلك أن اللغات كما قال : « استعمال سري واستقر ، وعرف هذب ونقح على مر الزمن . وحياة المصطلح العلمي في تداوله ، وتوحيده في أن يتفق عليه المشتغلون به .» فأين هم أساتذتنا في جامعاتنا ومعاهدنا الذين يستعملون هذه المصطلحات لتسري وتستقر ، ويتداولونها لتحيًا ، ويشغلون بها لتتوحد؟ إن المجمع قد أدى الأمانة ونهض بالرسالة ، وهو في طريقه إلى استكمالها ، وبقى أن يقوم من يعمل المجمع من أجلهم بواجبهم .

وعلى ما للمصطلح من قيمة وخطر ، وعلى جلال عمل المجمع وجهده فيه ، فإن هذا ينقلنا إلى القضية الكلية ، إلى القضية الأم إلى قضية اللغة العربية من حيث هي . ماذا فعلنا بأنفسنا وبلغتنا ؟ بدأنا بأن جعلنا لغتنا مادةً ، مجرد مادة دراسة لها دقائق معدودات في جدول الساعات الأسبوعي في المدرسة ، وعزلناها عن بقية المواد ، وأصبح التلميذ لا يسمع لغته إلا في هذه الدقائق ، كما يسمع اللغة الأجنبية المقررة ، أما في بقية المواد فتغيب عن أذنيه ونفسه هذه اللغة ، بل قد يسمع من بعض مدرسي هذه المواد الاستهانة باللغة العربية والحكم عليها بالعجز عن الوفاء بمعاني تلك المواد . ومع تراخي الزمن وانهازم النفوس ، أصبحت هذه اللغة ، في أثناء الدقائق المخصصة لها ، تُدرّس بالعامية ؛ يستعملها مدرس اللغة العربية في درسه وشرحه وحديثه في حجرة الدراسة ، وما أشبه ذلك ؛

بما كان يحدث في أواخر العهد التركي في بعض بلادنا العربية من تدريس اللغة العربية باللغة التركية . واستطال الأمر وتفاقم حتى أصبحت العامية هي لغة التدريس والمحاضرة في أقسام اللغة العربية نفسها في الحرم الجامعي ولم تعد آ ان ناشتتنا تسمع أنغام الفصحى ، حيل بينهم وبينها ، في المدرسة وفي الجامعة وفي المسرح والسينما والإذاعتين المسموعة والمرئية . كما حيل دون أن تكون هذه اللغة لغة العلم النظرى والتطبيقي ولغة البحث العلمى .

فإذا كانت اللغة هي أداة التفكير كما أنها أداة التعبير ، فإن من الطبيعى أن يكون تفكير المرء في مستوى لغته ، أفيكون استعمالنا العامية وغلبتها علينا السبب فيما يتصف به أكثر تفكيرنا الآن من عامية وسطحية وتخلف ؟ إننا لا نعرف أمة فعلت بنفسها وبلغتها ما فعلنا . إننا أمة لا نتكلم لغتها ، وكل أمة سوانا تتكلم لغتها ، على تفاوت بين أبنائها في قدرتهم على البيان بها بحكم تفاوت حظهم من التعليم والثقافة . فالإنجليزى يتكلم الإنجليزية ، والفرنسى يتكلم الفرنسية ، والألماني يتكلم الألمانية ، وكل فرد في كل أمة يُنشأ من الطفولة المبكرة على سماع لغته والتحدث بها في كل مادة من مواد الدراسة في مراحل تعلمه جميعها ، وفي المسرح والسينما والإذاعة وغيرها . ومع ذلك فنحن نزعم - ونحن على حق - أننا أمة واحدة ؛ وأن أهم مقوم من مقومات الأمة الواحدة هو اللغة ، ثم نحطم هذا المقوم تحطياً بأيدينا .

معذرة ، أيها العلماء الأجلاء ، فإنى لم أقل سوى بعض مما تعرفون ، ومن أين لمثلنى أن يأتى بجديد عليكم ! ، ولكنها نَفْثَةٌ مصدر لم يُطَقَ كتمانها بعد أن طال وجعه منها ، فلم يجد من يبثه شكواه أجل منكم وأعون على البلوى . وإن نياس ، فعملكم الدائب ، وذودكم عن لنتنا ومنافحتكم دون حماها ، كل ذلك كفيل إن شاء الله ببلوغ الغاية .

أساتذتى العلماء ، أعضاء مجمع الخالدين : سأظل ما حييت أذكر لكم صنيعكم ، وأشكر لكم فضلكم ، حتى إنى : لقد خيفت أن لا تقنع النفس بعدها بشيء من الدنيا وإن كان مقنعاً

ورحم الله أبا العلاء ، فكأنه كان ينظر إلى ما فى نفسى لكم بعين بصيرته حين قال :
فإنَّ مُنْأَى أَنْ يُسْرَى حَصَاكُمْ
وتتقصر عن زهائكم الرمال
وأنَّ تُعْظَمُوا خُلُوداً فى سعُود
كما خالدهت على الأرض الجبال

وأضرع إلى الله العلى القدير أن يكتب الشفاء لشيخنا الخليل رئيس مجمعنا الأستاذ الدكتور طه حسين ، وأن يسبغ عليه ثياب الصحة ، ويرزقه طول العمر ؛ ليواصل رعايته للعلماء والأدباء ، وأهل الفكر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٤ من ربيع الآخر سنة
١٣٩٣ هـ (الموافق ٧ من مايو سنة ١٩٧٣ م) أقام المجمع حفل استقبال
أعضائه الجدد : الدكتور أحمد الحوفي ، والدكتور حامد عبد الفتاح
جوهري ، والدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش . وفيما يلي ما ألقى
في الحفل :

كلمة الافتتاح للأستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع :

وهناك زميل جديد رابع عزيز علينا جميعا
هو الأستاذ الجليل مصطفى مرعي ، قد رأى
لأسباب طارئة أن يؤجل استقباله إلى الدورة
القادمة والمجمع ، إذ يسعده أن يهنئ زملائنا
الجدد بما نالوه من ثقة وتقدير ، ليسعده كذلك
أن يرى كفايات عظيمة تضاف اليوم إلى كفايته ،
وأن يرى نشاطا علميا جديدا سيلتقي بنشاطه .
وإننا لعل ثقة أن زملائنا الجدد سيسهمون
بعلمهم وكفائتهم في تحقيق رسالة المجمع وإنهم
لفاعلون إن شاء الله .

مرحبا بكم أيها الفرسان الثلاثة في المجمع
الخالد .

أما الآن . . أيها السادة فسيتولى الزملاء :
الدكتور إبراهيم أنيس ، والدكتور عبد الحليم
منتصر ، والأستاذ إبراهيم اللبان استقبال زملائنا
الجدد . سيأتي كل منهم كلمته بعد العضو الذي
يستقبله .

وليتفضل الدكتور إبراهيم أنيس .

بسم الله الرحمن الرحيم

زملائي :
سيداتي :
سادتي :

لقد كان السيد رئيس المجمع الدكتور طه
حسين يود أن يشاركنا في هذا الحفل ، ولكن
حالته الصحية قد اضطرته إلى الاعتكاف
والاعتذار .

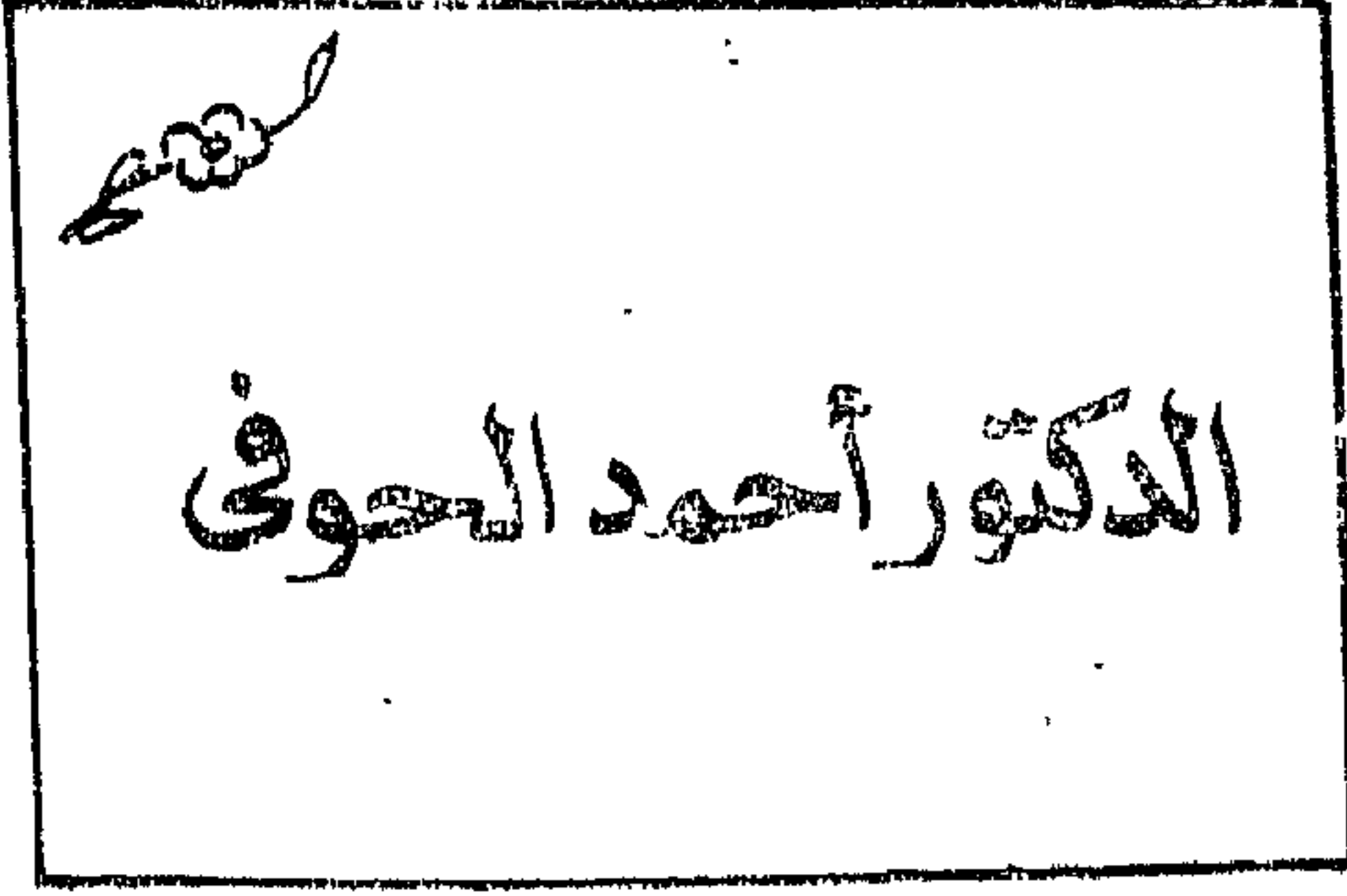
فباسم المجمع بل باسمكم جميعا أبعث بتحياتكم
مع أمانينا له بالشفاء العاجل ، وإنه ليسر المجمع
أن يجتمع اليوم لاستقبال ثلاثة من أعضائه
الجدد وهم :

الدكتور أحمد مجد الحوفي .

الدكتور حامد عبد الفتاح جوهري .

الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش .

كلمة الدكتور ابراهيم أنيس في استقبال :



بسم الله الرحمن الرحيم

التي كانت تعيد لي الثقة بمحتمية القدر ، والإيمان
بأن كل أمر مرهون بلحظة محددة .

واليوم أيها السادة أشعر بالسعادة غامرة لفوز
صديقي الدكتور الحوفي ، وأني انتدبت لاستقباله
وانترحيب به .

وفي حديثي عن الدكتور الحوفي أودّ لضيق
المقام أن أمرّ مروراً سريعاً بتلك الناحية من
حياته التي أشبهها بالسجل المدني أو البطاقة
الشخصية فأقول :

ولد في قرية بالقرب من دمنهور سنة ١٩١٠
وبدأ تعلمه في القرية وفي دمنهور ، ثم انتقل
إلى القاهرة ليلتحق بتجهيزية دار العلوم
ويستكمل فيها المرحلة الثانوية من تعلمه ، ثم
التحق بدار العلوم العليا كما كانت تسمى آنذاك
، وتخرج فيها سنة ١٩٣٦ وكان أول دفعته .
ولعله كان يتطلع إلى بعثة في الخارج ، ولكن
الظروف حينئذ لم تهيأ لذلك . فقتنع صاحبنا
بالتدريس في المدارس الابتدائية والثانوية بنين

السيد الرئيس ، السادة زملاء أعضاء المجمع ،
سيداتي ، وسادتي :

كان من حظي ، بل مما أسعدني حقاً أن
أشترك في ترشيح صديقي الدكتور أحمد الحوفي
لعضوية المجمع . ولبثت أو اظب على الاشتراك
في هذا الترشيح ، وأنا سعيد بذلك ،
إلى أن أتمّ مجلسنا الموقر اختياره ،
لصبر العضو الحديد وجلده !! ذلك لأن للمجمع
تقليداً لا يكاد يجيد عنه إلا في حالات نادرة
لها ظروفها ، هو أن يدع القاصد إلى محرابه
واقفاً ببابه ينتظر فترة قد تطول سنوات ،
حتى يبرهن لنا أنه يتحلى بصبر أيوب ، وإذا
بالأبواب الموصدة تفتح ، وإذا بالمرشح يصبح
عضواً بين الخالدين !!

وحيثما تخلف صديقي الدكتور الحوفي
لا عن جدارة واستحقاق سعيت إليه على
استحياء لأقص عليه ما كان . وأشهد أنني
لم أصادف منه إلا ابتسامة السباحة والرضا ،

وبنات ، وكان يعلم بإخلاص إلى أن كان في المدرسة السعيدية حين ضمت دار العلوم إلى جامعة القاهرة ، ورأى مجلس الكلية أن يختار بعض النابهين من المتخرجين في الدار ليكونوا معيدين أو مدرسين مساعدين ، وجاء الحرفي إلى دار العلوم الجامعية مدرسا مساعدا سنة ١٩٤٨ ، وهنا كانت فرصته ، أو كأنما وجد نفسه ، فحصل على الماجستير سنة ١٩٥٠ بتقدير ممتاز ، والدكتوراه سنة ١٩٥٢ ، بتقدير ممتاز . ثم تدرج في وظائف هيئة التدريس إلى أن أصبح رئيسا لقسم الدراسات الأدبية ، ولما بلغ الستين عين أستاذا متفرغا :

وعكف الدكتور الحوفي خلال حياته الجامعية على التأليف ، فأنتج كتبا كثيرة في الأدب العربي قديمه وحديثه :

فاستوحى من الأدب الجاهلي أربعة كتب هي الغزل في العصر الجاهلي ، والمرأة في الشعر الجاهلي ، وأغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، والحياة العربية من الشعر الجاهلي . وألف كذلك كتابا عن أدب السياسة في العصر الأموي :

كما ألف كتبا خمسة عن بعض القداماء من أئمة العلم والأدب كالجاحظ ، والطبري ، وأبي حيان التوحيدى ، والزنجشري ، وابن الأثير ، وكتبا أربعة عن الإسلام هي : من أخلاق النبي ، وسماحة الإسلام ، وتحت راية الإسلام ، ومع القرآن الكريم .

وأخيرا ألف كتبا ثلاثة عن أمير الشعراء شوقي هي : وطنية شوقي ، والإسلام في شعر

شوقي والنسيب في شعر شوقي . . . إلى غير ذلك من مؤلفات أخرى ، وكلها مطبوعة منشورة متداولة في صورة كتب أحصيت في المذكرة التي قدمت لنا فبلغت خمسة وعشرين كتابا ، قرأتها كلها والحمد لله !! فقد كان يقررها على حين يهديها إلى ، وكنا نستأنس بها في ندوات علمية أو ندوات علمية حرصنا في السنين الأخيرة على أن نعقدتها معا بانتظام ، يعلمني فيها ما لم أكن أعلم ويتعلم مني ما لم يكن يعلم ، فلا تكاد تنتهي الندوة أو الخلوة حتى نكون قد اهتمدنا إلى رأى سديد ، أو فكرة جديدة في مسألة علمية .

هذا إلى بحوثه ومقالاته الكثيرة التي نشرت في المجالات العلمية والأدبية بالعالم العربي ، وإلى إشرافه على عدد موفور من الرسائل العلمية الجامعية .

والدكتور الحوفي أوجه أخرى من النشاط ، لا يمانع في الإعلان عن بعضها ، ولكنه يصبر على إخفاء البعض الآخر . نأما الذي لا يرى مانعا من الإعلان عنه فمثل اشتراكه في مؤتمرات إسلاميين بمكة وطرابلس ، وفي ثلاثة مؤتمرات أدبية اثنين منها ببغداد ، وواحد في غزة ومثل أنه رئيس لجنة التعريف بالإسلام ، وعضو لجنة الخبراء بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

وأما الذي يحرص على إخفائه لأنه لم يقيم به إلا ابتغاء وجه الله ، فمنه أنه يرأس جمعية صغيرة للتوعية الدينية والروحية بين أهالي الحي الذي يسكن فيه .

ويكفي أن تعلم أن من الآثار المحيطة لهذه الجمعية أنها بنت مسجدا جميلا في ذلك الحى .

إلى هنا أيها السادة وأنتهى مما يشبه السجل المدنى أو البطاقة الشخصية للدكتور الحوفى ، لأقفز إلى ما أوثره من حديث آخر عنه أستوحيه من دراستى للغة فى شتى نواحيها ، وأتخذ لهذا الحديث عناوين ثلاثة :

(١) باب تأصيل الكلمات والدكتور الحوفى .

(٢) باب دلالة الألفاظ والدكتور الحوفى .

(٣) باب الأصوات اللغوية والدكتور الحوفى .

أما باب تأصيل الكلمات والدكتور الحوفى فمع أنى استطعت فى بعض بحوثى تأصيل كثير من الكلمات العويصة ، لعل أشهرها فى ذلك البحث الذى ألقيته فى أحد مؤتمرات الجمع تحت عنوان (تأصيل كلمة السماء) ، ومع هذا أعترف أمامكم أنى عجزت عن تأصيل كلمة « الحوفى » !!

وقد سألته فى ذلك فقال إن « الحوفى » أصلها « الحوفى » نسبة إلى الحوف ، وهو كما تقول المعاجم القديمة حرف الوادى وجانبه !

ثم ذهب صديقى وجاءنى بنصوص تاريخية قديمة تقرر أن قوما من قبيلة قيس نزلوا بالحوف الشرقى من مصر ، أى فى صحراء الشرقية ، وكان ذلك فى عهد هشام بن عبد الملك ، ثم وفدت

إليهم بعد ذلك جموع من إخوانهم على دفعات ، ومازالوا يتركثون حتى صاروا خطرا على ولاية مصر ، فقد ثاروا على الولاة عدة مرات كان آخرها أيام المأمون ، فجاء إلى مصر بنفسه وأدبهم وقضى على ثوراتهم . ويرى المؤرخون أنهم جاءوا من نجد ، ويجب الدكتور الحوفى أن يتصور هذا ، بدليل أنه حين أعير بجامعة الرياض كان يمن حنيننا عجيبا إلى صحراء نجد ، ويخرج للتجوال فيها !! ويذكر أنه فى إحدى المرات سأل الراحل النجدى عن نبت اشتهر بيننا جميعا منذ صبا فى بيت من الشعر مشهور هو :

تمتع من شميم عرار نجــــد

فما بعــــد العشيــــة من عرار

فقال للرائد النجدى ، وقد بلغ به الحنين مبلغه إلى أجداده القدامى : ناشدتك الله يا أخى فى العروبة إلا دلتنى على العرار الذى اشتهرت به صحراء نجد !!

فنظر إليه الراحل النجدى دهشا متحيرا وقال : العرار ؟ إيش هذا ؟ لأعرفه وما سمعت به من قبل !!

وهكذا نرى أن صديقى ينتسب إلى عرب الحوف الذين ورد ذكرهم فى تلك النصوص التاريخية ، وانتشروا بعد ذلك فى الدلتا والبحيرة مسقط رأسه !!

ولكنى أخالفه فى هذا التأصيل ، وأضن به ، بل أسمع به عن أن ينتسب إلى هؤلاء

القوم المشاغبين المشاكسين الذين يقول فيهم القرآن الكريم : « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » !

وفوق ذلك هناك أمر يزعجني في هذا التأصيل المزعوم هو أن تطور « الحوئي » كما يرى صاحبنا إلى « الحوئي » تطور عرفناه فعلا في بعض الكلمات العربية مثل « نوم » التي أصبحت في ألسنتنا « نُوم » ، وعرفناه أيضا في لغات قديمة كال يونانية واللاتينية ، ولكننا عرفنا بعد طورا ثالثا للصوت المركب (أو) ، وتم ذلك الطور الثالث في اليونانية ، واللاتينية في أوائل العصر المسيحي . فأطوار الصوت المركب (أو) هي أن يصبح أولا أ (أو) ثم يصبح (آ) . وأخوف ما أخافه أن (الحوئي) الذي تطور إلى (الحوئي) يتجه إلى الطور الثالث وهو (آ) فتكون الكارثة !!

لذلك أنصح صديقي العلامة البحاث أن يلتمس لنفسه تأصيلا آخر يكون أليق به ، وإلا تطورا لاسم إلى مالا تحمد عقباه !!
وأما من حيث باب دلالة الألفاظ والدكتور الحوئي ، فهناك حقيقة يعرفها المشتغلون بعلم الدلالة هي أن كثيرا من الكلمات ذات الدلالة المجردة يفهمها معظم الناس فيها تقريبا ، ويتعاملون بها فيما بينهم تعامل تقريبا . ويكفي أن نتذكر ما قرأناه في الصحف منذ أيام من أن هيئة الأمم المتحدة ظلت جيلة من الزمن ودون جدوى تحاول أن تعرف كلمة العدوان تعريفا جامعاً مانعاً ، كما يقول المناطقة !!

ولما ألفت منذ ما يقرب من عشرين عاماً كتابا في دلالة الألفاظ كان عليّ أن أنصل بأمثال الدكتور الحوئي ، وأن أوثق صلتهم حتى أستطيع تحديد المعنى تحديدا دقيقا لبعض الكلمات ذات الدلالة المجردة من مثل : (السباحة ، الكياسة ، العفة ، النزاهة ، الإخلاص ، الوفاء) فأوشكت دلالتها بعد ذلك أن تصبح في ذهني دلالة حسية ، لأنها تمثلت أمامي في صورة حية بين السجايا التي يتحلى بها أمثال الدكتور الحوئي !!

وأخيرا باب الأصوات اللغوية والدكتور الحوئي ، فنحن أيها السادة في دراستنا الحديثة ، لأصوات اللغة نقسمها من حيث صلتها بطريق التنفس إلى أنواع ثلاثة : ولست أدري لماذا أحب دائما أن أربط بينها وبين أنواع ثلاثة من الناس :

فهناك أصوات لغوية عند النطق بها نسمع شيئا من الدوى أو الانفجار ، لأن الطريق معها تعترضه سدود واختناقات ، وهذه الأصوات تصوّر لي نوعا من الناس هم أصحاب الجلبة والضوضاء الذين يتصاحون دون هدف فينطبق عليهم المثل المشهور : أسمع جمعجة ولا أرى طحنا ، وليس في صاحبنا شيء من ذلك ، فليطمئن الجمع !!

وهناك أصوات أخرى مجهدّة مرهقة ، وعند النطق بها ينفذ الهواء من ممرات ضيقة جدا ، فنسمع لها صغيرا أو فحيحا كفحيح الأفاعي . وهي تصوّر لي نوعا من الناس

الوقت واضح ، جلي ، لا التواء 'عنده
ولامواربة . يجيد الصمت كما يجيد الكلام ،
فيحسن الاستماع إلى الناس ، ويستمتع الناس
بمخاطبته ، ثم لا يغريه ذلك أبداً بالصمت
عن كلمة الحق ولا إلى أن يبتلى بشهوة
الكلام !!

ومن الغريب أن هذه الأصوات الموسيقية
هي أكثر الأصوات شيوعاً في لغتنا العربية ،
كما برهنت على ذلك إحصاءات الحاسب
الإلكتروني ، وربما كان شيوعها في لغتنا
أكثر من أي لغة أخرى ، ولكن مع الأسف
الشديد ، من يشبهها من الناس بين أبناء
العربية في هذه الأيام قليل أوندرا !!

أما بعد : فإذا سئلت أن أعبر عن أحب
تعريف بالدكتور الحوفي إلى نفسي قلت :
هو النبي النقي ، الطاهر ، ثم أصبح عالماً من الأعلام
الحالدين في مجمعنا الموقر ، فأهلاً به ومرحباً !!
والسلام عليكم ورحمة الله

هم المعقدون ، الجدلون ، الخصمون ، الذين
يبدلون جهد المستميت في الإعلان عن أنفسهم ،
وليس في صاحبناشيء من ذلك ، فليطمئن
المجمع !!

أما النوع الثالث من الأصوات وهو
الذي أراه أشبه بصديقنا الدكتور الحوفي ،
فهو تلك الأصوات اللغوية التي حين النطق
بها لا يصادف طريق التنفس أي حوائل أو
موانع ، فينسب النفس معها انسياً هادئاً
مرحاً ، وهي مع ذلك أوضح في السمع وأبين
هي الأصوات الموسيقية التي يتغنى بها ، أو
التي هي أقبل للتغنى بها ، وذلك بحمال وقعها
في الأسماع ، وحسن جرسها في الآذان .
وجهاز النطق معها أشبه بمجدول من الماء الصافي
النقي البراق الذي يتحدر دون أن يكون لجر يانه
هدير أو خريبر !!

وكذلك صديقنا الدكتور الحوفي يمضي في
حياته في هدوء وسكون وسلام ، وهو في نفس

كلمة الدكتور أحمد الحوفي :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس

السادة الأعضاء

حضرات السادة والسيدات

منذ أذن لي أن أقوم بهذا المقام تخالجت في نفسي ألوان من الشكر ان ، وتسابقت إلى البوح بها والإلسان عنها ، وأنا أشعر بالمعجززة عن إيفاء كل منها ما يرضيه من بيان . وليس لي في الجهر بهذا العجز تزيد أو تخيل ، بل إنه لي الصدق المحض المبرأ من شوائب التحايل والادعاء ، فكثيراً ما تكون العواطف أسمى من الشعر ، وأقوى من النثر ، وأعصى على التبيان .

وقد كنت أحسب أنني حينما أمسك بالقلم لأعد كلمة لهذا المقام يسهل علي ما أبتغي من طواعية التعبير ، ومواتاة التصوير ، وإرضاء الضمير ، فإذا بي حينها جدد الجدد التي قلبي مرضوضاً ، وأحس لساني معقوداً ، وأجد بياني ضنيناً .

وأنى لي أن أستطيع شكران الله سبحانه وتعالى على جليل نعمائه ، وعظيم آلائه ، إذ

قبيضس لي أن أكون من سدنة اللغة العربية الفصحى التي اصطفاها لينزل بها قرآنه الكريم ، واختار سيد بلغائها عليه الصلاة والسلام خاتماً لرسله ، ثم شاء لي سبحانه وتعالى بعد حقبة في سدانة هذا المحراب أن يكافئني أعظم مكافأة ، فيسّر لي أن أكون عضواً بمجمعكم الموقر العظيم .

وكيف لي أن أوفى أخي الكريم وصديقي الحميم الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس حقه من شكرى لما طوّق به عنق من ثنائه ، ولما أضفاه على شخصي الضعيف من فضله ، ولما نوه به من ثمرات حبه؟ وإنه لأجدر مني بما وصف ، وأحق بما أشاد ، وأغلب ظني أن علماء المجمع قد صافى بعضهم بعضاً ، فاستتمنوا فيما بينهم سنة الإيثار ، فيقدم كل منهم أخاه على نفسه ، ويخلع مزاياه على غيره ، ويكسو رصتهاء حُملاً من سماحته ودماثته ونبل مشاعره ، تحقيقاً لقول أمير الشعراء شوقي :

وما أدبى لما أسدوه أهمل
ولكن من أحب الشيء حابي

وكقوله :

رب سامح البيان نوه شأني
أنا أسمو إلى نباهة شأنه

ومن أين لي أن أقتنص البيان اللائق بشكر
السادة أعضاء المجمع لانتخابي عضواً في مجمع
الخالدين، لأنال شرفاً طالماً هفت إليه قلوب
واشرأبت آمال ، ولأكون معهم كالفن
المأمول الثمر في دوحة فينانة هانية الجنى، مرموقة
القطوف منذ زمان بعيد ؟

والحق أنه شرف عظيم لي أن أنضم إلى
المجمع الأمثل الذي يكتنز صفوة من علماء
اللغة وخصائصها، وأصفياء العلوم ووحدانها،
لينموا اللغة ويطوروها ويطوعوها للتعبير
عن كل علم وفن وشأن من شئون الحياة ،
وليصونوها من الحمود والتخلف ، وليرتفعوا
بها عن مضايق العامية وفقرها ، وعن مزلق
الفهامة وضيرها ، فإنه من اليسير على من
يشدّون الناس إلى أسفل ليؤثروا العامية في
خطبهم وفي شعرهم ونثرهم أن يدفعوهم إلى
أعلى ليصطنعوا الفصحى لساناً مبيناً ما استطاعوا
إلى ذلك سبيلاً .

ولعل خير فكاكة تصور حال هؤلاء وأولئك
هي قول الجاحظ: رأيت امرأة طويلة القامة
وكنت على طعام ، فأردت أن أمازحها ،
فقلت لها : انزلي كلى معنا ، فقالت : بل
اصعد أنت حتى ترى الدنيا . فليصعد أنصار
العامية إلى سماء الفصحى ليروا الثراء والجمال
والبلاغة والافتنان .

هاشت الفصحى بياناً للعرب وعزة ،
ودامت أوثق آصرة للأخوة والوحدة، وعاش

المجمع اللغوي حديبا عليها، دعوبا على رعايتها،
محققاً ما يامله العرب لها من نماء وثراء وحيوية
[وازدهار .

• • •

أيها السادة الأجلاء والسيدات الفضليات
من سنن المجمع الحميدة أن يعرف العضو الخالف
بالعضو السالف الذي خلفه على كرسيه :
وقد كان سلفي هو المغفور له الأستاذ
مصطفى نظيف .

١ - أما موجز حياته فإنه ولد بالإسكندرية
في ١٢ من يناير سنة ١٨٩٣ ، وبعد أن حصل
على الثانوية العامة أوفد في بعثة إلى إنجلترا ،
فدرس في جامعة برستول، وتخصص في الطبيعة
والرياضيات ونال الدرجة سنة ١٩٢٠ ،
وعاد من البعثة فعين مدرساً للطبيعة بمدرسة
المعلمين العليا حتى سنة ١٩٣٠ ، وكان يدرس
هذا العلم في الوقت نفسه لطلاب مدرسة
[الطب ومدرسة طب الأسنان، ثم عمل مفتشاً
بوزارة المعارف وناظراً لمدرسة الفنون
والصنائع ، ثم اختير سنة ١٩٣٢ أستاذاً
مساعداً لعلم الطبيعة بمدرسة الهندسة ، ثم
أستاذاً بها حينما ضمت إلى جامعة القاهرة سنة
١٩٣٥ وتولى رئاسة القسم ، إلى أن عين سنة
١٩٥٠ وكيلًا لجامعة عين شمس .

ولما بلغ سن التقاعد سنة ١٩٥٣ استبقته
الدولة وعينه مديراً لجامعة عين شمس سنة

١٩٥٤ وبقي في هذا المنصب إلى سنة ١٩٥٦
إذ طلب إعفائه من العمل .

وكان رحمه الله يساهم في مجامع وجماعات
شتى ، فهو عضو بالمجمع اللغوي منذ سنة ١٩٤٦
وعضو راسل بالمجمع العلمي العراقي ، وعضو
بالمجمع العلمي المصري ورئيس سابق له ،
وعضو بالأكاديمية المصرية للعلوم ورئيس
سابق لها ، وعضو بالمجلس الأعلى للعلوم ،
وعضو بلجنة الطاقة الذرية ، ورئيس الجمعية
المصرية لتاريخ العلوم ، ورئيس الاتحاد
العلمي العربي ، والشعبة القومية للاتحاد الدولي
لعلوم الطبيعة . وأول نقيب للمهن العلمية .

وقد نال تقدير الدولة مرات ، فحصل على
جائزة الدولة في الطبيعة سنة ١٩٤٧ ، وعلى
وسام الجمهورية من الطبقة الثانية سنة ١٩٥٥
ونال جائزة الدولة التقديرية في العلوم سنة
١٩٥٨ وهو أول من حصل عليها ، واستحق
وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى سنة ١٩٥٩ .

٢- وأما أخلاقه فقد كان رحمه الله مثالا
رائعا في الموازنة بين الشغف بالعلم والكلف
بمكارم الأخلاق .

كان كما رآه تلاميذه وخلطاءه أبي
النفس ، نقي القلب ، متأبياً على الصغائر ،
متعالياً على متاع الحياة الزائل ، دمث الطبع ،
حلو العشرة ، أنيس المجلس ، جهم التواضع .
وكان كما اعتادته خلدصانه زاجر العلم ، عميق
الفكر ، دقيق المعرفة ، مفخرة للعلم وللعلماء ، أعاد
إلى الأذهان مواقف السلف العظيم الذين كانوا

يعتزون بعلمهم في كل مقام ، فقد عقد المؤتمر
العلمي العربي الأول سنة ١٩٥٣ بالإسكندرية ،
وانتخبه الأعضاء بالإجماع رئيساً ، فلما أقبل السيد
رئيس الجمهورية ليشهد جلسة الافتتاح ،
ابتدأ الأستاذ مصطفى نظيف خطبته في المؤتمر
بقوله : « لقد مضى الزمن الذي يسعى فيه العلماء
إلى الحكام ، وجاء الزمن الذي يسعى فيه
الحكام إلى العلماء » .

وكان رحمه الله مضرب المثل في نهوضه
بأعماله ، وفي حرصه على مواعيد عمله ، وفي
كلفه بالإنتاج ، فلم يتخذ عن جلسة ، ولم
يخضر جلسة إلا وهو دارس ما سيرض فيها
دراسة أمينة بصيرة ، فإذا المشكلات التي غُمّت
وأعضدت تسفر وتستنير ، ويحصي الحق
ويتهج الأعضاء . وكان غيوراً على الفصحى ،
ومن أول الدعاة إلى تدريس العلوم بها في
الجامعات ، وقد ابتدأ هو بالتنفيذ العملي ،
فدرّس علم الطبيعة باللغة العربية في مدرسة
المعلمين العليا منذ العقد الثالث من هذا القرن ،
ودرس بها في كليتي الهندسة والعلوم ،
وساهم في هذا المجال بمؤلفاته ومحاضراته
ومشاركته في لجنة العلوم الرياضية والهندسية
والطبيعية وعلم النفس بالمجمع اللغوي ، وكان
علمه بالعربية يسعفه بالمصطلحات التي يراها
كفيلة بتأدية المعاني .

٣- وأما إنتاجه فإنه إنتاج عالم جيهباز ،
يعرض الموضوع في كتاب أو بحث أو محاضرة
عرضاً شائقاً في لغة فصيحة ، وأسلوب بارع ،
ودقة في الفكرة ، وأمانة على العلم ، لا يتسهل

ولا يتهرب سواء أكان الموضوع في مجال تخصصه أم في غيره .

وحسبنا أن نذكر ثلاثة من كتبه :

(1) الحسن بن الهيثم .

بحوثه وكشوفه البصرية

نشرته جامعة القاهرة في سنة ١٩٤٢ ،
١٩٤٣ في مجلدين تقارب صفحاتها ألف
صفحة .

درس في هذا الكتاب ابن الهيثم دراسة
مستوعبة كشف فيها عن عبقريته وعن بحوثه
المبتكرة في علم الضوء ، وبين آثارها في نهضة
علم الضوء الحديث ، ونوه بفضله في إبطال
ما سجد له أو قليدس وبطلليموس وغيرهما من أن
الإبصار يتحقق بخروج شعاع من العين إلى
الشيء المرئي ، وأثبت أن للضوء حقيقة ذاتية
إذ يدخل الضوء إلى الشبكية ومنها إلى المخ
فيحدث انطباع الأشكال .

ووضح أن ابن الهيثم هو صاحب الرأي
الصحيح في الأضواء الذاتية والعرضية
والمنعكسة وفي الفجر والشفق والكسوف
وقوس قزح ... إلخ ، وأنه السابق إلى الطريقة
العلمية التي يزعم بعض الدارسين أنها من
ابتكار علماء الغرب ، إذ كان يعتمد على
الاستقراء ، وعلى القياس ، وعلى التمثيل ،
وبهذا سبق « فرنسيس بيكون » وتفوق عليه :

وكان الأستاذ مصطفى نظيف يحض على
أحياء ما بقي من تراث ابن الهيثم وأضرابه
من العلماء العرب ، ويلح في أن نبصر به
أبناءنا الدارسين وننوه به ، ولا يقتصر
تنويرنا على بطليموس وأوقليدس
وروجر بيكون ودافنشي وكبلر وغيرهم .

ويقتضيني الإنصاف أن أجهر بأن الأستاذ
الدكتور عبد الحلیم منتصر قد أعلن مرات -
وهو عالم كبير لرأيه قيمته - أنه إذا كان
ابن الهيثم قد تهادى إلى حقائق عظيمة في علم
الضوء فإن الأستاذ مصطفى نظيف هو الذي
أجلى هذا العلم في العالم العربي بعد ابن الهيثم .

(٢) علم الطبيعة

نشأته ورقبه وتقدمه الحديث

طبع سنة ١٩٢٧ في نحو أربع مئة وخمسين
صفحة .

ألم في هذا الكتاب بالمسائل الأولى في تاريخ
علم الطبيعة منذ نشأته في العصور القديمة إلى
أحدث نظريات العلماء المعاصرين .

وأولى عناية خاصة النهضة العلمية العربية
الإسلامية وعلم الفلك عند العرب ، وآراء
فلاسفتهم في الطبيعة والميكانيكا وعلم الصوت
والحرارة والمغناطيسية والضوء .

(٣) البصريات الهندسية والطبيعية

نشره سنة ١٩٣٠ في نحو ثمان مئة صفحة

هذا الكتاب أول كتاب باللغة العربية نهض بدراسة علم الضوء إلى مستوى الدراسات الجامعية عالج حقائق علمية متصلة بالضوء مثل الانعكاس والانكسار والعدسات والحركة الاهتزازية والحركة الموجية ووصف العين والتشتت والألوان والتحليل الطيفي : الخ .

أما بعد

فقد كان الأستاذ مصطفى نظيف مفضرة للعلماء ولأعضاء المجتمع اللغوي تفكيراً وإنتاجاً

وسلوفاً وسدانة للعربية الفصحى ، فُحِّق للشاعر

الكبير الأستاذ عزيز أباظة أن يقول في رثائه :

وجد الهيم ذهنًا صافياً

كشف الأستار عنه والسُدُولا

أما الباحث عن تاريخنا

إن في تاريخنا مجداً أثيراً

من يكن بالعلم غدى معهداً

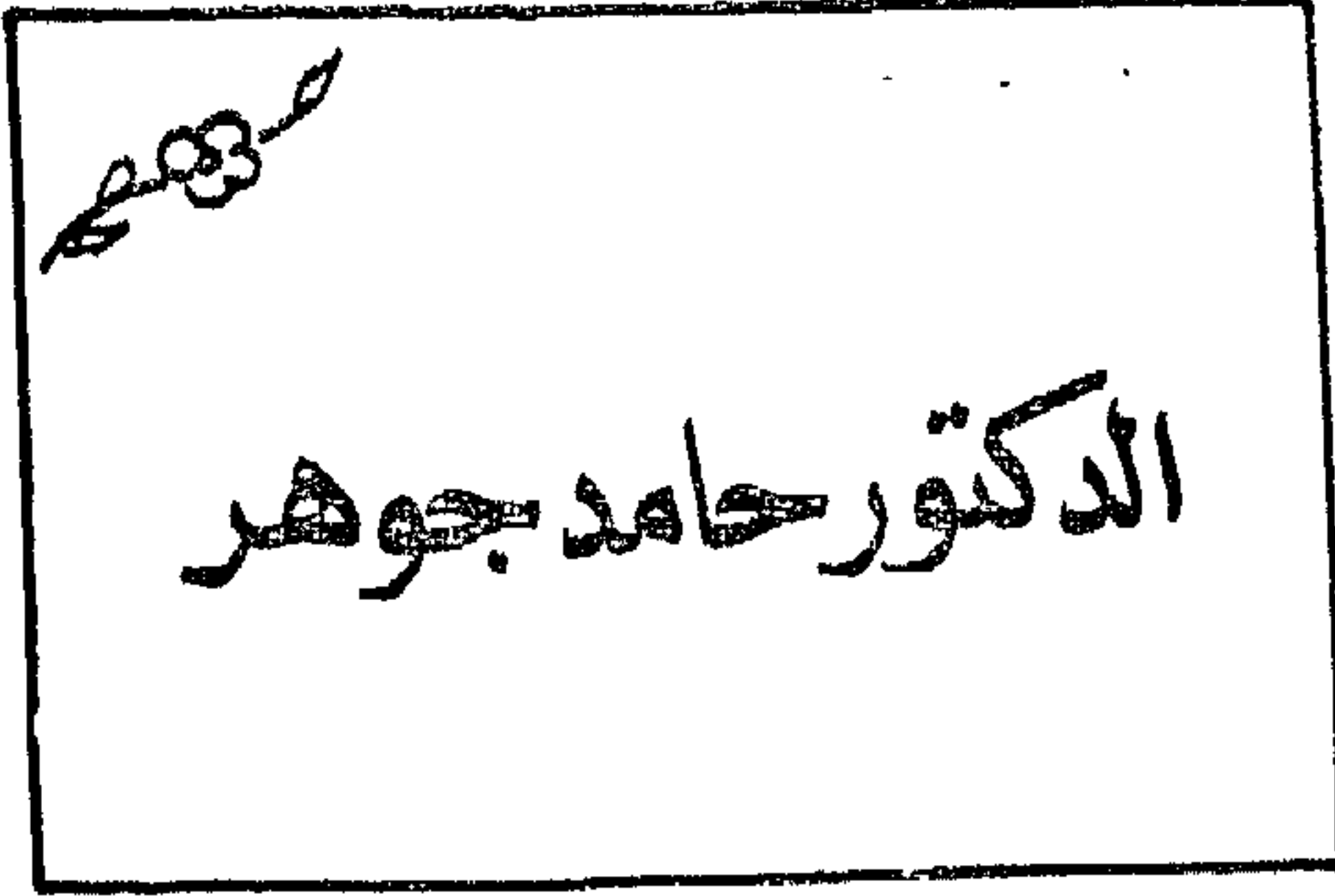
فنظيف وحده علمكم جيسلاً

يانظيف العرض والنفس لقد

حمد الشرق لك الجهد الجليلاً

والسلام عليكم ورحمة الله .

●●● كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر في استقبال :



كان يحرص على قراءة إنتاجهم الفكري والشعري والأدبي ما استطاع إلى ذلك سبيلاً : التحق أول الأمر بكلية الطب ، ومع نجاحه بتفوق في السنة الإعدادية ، فإنه آثر أن يتحول إلى كلية العلوم ، وكانت جديدة على مصر بل على الشرق العربي كله . فقد كنا نعرف مدارس الطب والهندسة والمعلمين وما إليها ، وكنا نعرف الطبيب ، والمهندس ، ومدرس الكيمياء ، أو الطبيعة ، أما الكيميائي أو الطبيعي أو البيولوجي أو النباتي ، فلم يكن لنا به عهد ، بل لم يكن لمصر به عهد ، حتى قال أحد المسئولين لأحد أفراد الدفعة الأولى ، ومن بينهم زميلنا الكريم - وقد سأل عن الشهادة التي حصل عليها - عندما قيل له « بكالوريوس علوم » : ولم لا تقول « بكالوريا علمي » أحسن ؟

وكذلك تخرج صاحبنا في كلية العلوم وعمل معيداً بها لتفوقه ، واختاره أستاذه ليجتهد في فسيولوجيا الحيوان فحصل على درجة الماجستير في هذا الفرع من العلم بعد عامين من تخرجه :

عشق البحر وعرائسه فتبتل إليه أربعين عاماً ، سكن إلى شواطئه ، يطالع أمواجه إذا أصبح ، ويتطلع إليها إذا أمسى ، يركب أمواجه سائحاً جاثلاً ، ويغوص في لخته باحثاً منتقياً ؛ ذلكم هو زميلنا الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر الذي نستقبله اليوم عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية ؛ لنفيد من علمه وخبرته الطويلة بالبحار وعلومها .

ولد الدكتور جوهر سنة سبع وتسعمائة وألف ، والتحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية الابتدائية ، وحفظ جانباً من القرآن الكريم ، ثم تتلمذ على الأستاذ عبد الله عفيفي بالثانوية الملكية فتأثر به في حب اللغة العربية ، وبخاصة الشعر ، الذي حفظ منه الكثير ، بل حاوله في صدر شبابه . إنه من الجيل الذي تتلمذ على أعلام الشعر واللغة والأدب في العصر الحديث : شوقي ، وحافظ ، ومطران ، والمنفلوطي ، والعماد ، والزيات ، وطه حسين ، وأحمد أمين ، إنه الجيل الذي

ولكنه ما كاد يرى البحر الأحمر في محطة الأحياء البحرية بالغرندقة ، حتى شغفه حباً ، ولا اعتبارات علمية ووطنية آثر المقام على شطآنه ليعمل مساعداً للرئيس الأجنبي ، فقد لاحظ أن العينات البحرية الشمينة من كائناته ورنخوياته ومرجانياته يبعث بها إلى المتاحف العلمية الأجنبية ، فأثر أن يمضى زهرة شبابه ليكون حارساً أميناً على ثرواتنا العلمية من البحر ، وكأنما فتنته عرائسه فاتخذ من البحث العلمي في كائناته وأسماكه ذريعة وتعلية ، ليبقى بجوارها متمبئلاً في محرابها ، خبيراً عالمياً من خبراء البحر المرموقين .

إنه صاحب الرأي القائل بأننا يجب أن نعيش عصر البحار قبل أن نحاول عصر الفضاء . وإن أعلى البحار حق مشاع للجميع ، فمالنا نتطلع إلى الفضاء الواسع العريض قبل أن نرتاد البحار ونغوص في أعماقها ، ونستخرج ما فيها من كنوز ونستنفذ ما بها من ثروات . إن ثلاثة أخماس سطح الكرة الأرضية ، إنما هي بحار ومحيطات ، بها من الكنوز المعدنية والغذائية والبروتينية ما يكفي مئات الملايين من البشر غذاء وكساء وصناعة . إن نفقات البحوث البحرية محدودة وعائدها مضمون ، أما نفقات بحوث الفضاء فباهظة ، وعائدها غير مضمون . إن أهم مشكلات العصر هي الانفجار السكاني مع ازدياد الطلب على الموارد الأولية المحدودة ، فمالنا نقصر هذا التقصير الشديد في استغلال البحار الواسعة العريضة :

وكذلك تابع البحث العلمي المنظم في كائنات البحر الأحمر ، حتى حصل على درجة الدكتوراه في العلوم في هذا الفرع من المعرفة ، ولعله أول من حصل عليها في مصر . ومع ذلك فلم تفتنه الدرجات العلمية التي حصل عليها ، ولا البحوث العالمية التي نشرت باسمه في أرقى المجلات العلمية والتي نوهت بها المحافل العلمية الدولية . لم يفتنه ذلك كله عن البحر وعرائسه ، ولم يدفعه إلى التطلع إلى المناصب التي تشرف بها ، ولا إلى سكنى المدينة بدلا من الغرندقة ، حيث زرقة السماء والماء وحيث الجوالدانيء شتاء والمعتدل صيفاً ، وحيث الكائنات البحرية من رنخويات ومرجانيات يسعى إليها في زورقه الناضوري ، ذى القاع البلورى ، يزورها كل صباح ، ولا يعود إلى معاملة ومختبراته ، إلا بعد أن يسجل مشاهداته وملاحظاته ، وبعد أن يأخذ عيناته يجرى عليها تجاربه بعد فحصها بعنساته ومجاهره .

وكذلك أمضى الدكتور جوهر زهرة شبابه ، بل وسنى كهولته باحثاً دارساً للبحر ، حتى غدا خبيراً عالمياً مرموقاً من خبرائه ، فخرج على الناس بعشرات البحوث المنشورة في أرقى المجلات العلمية والعالمية :

بقى الأستاذ في صومعته ، وإن طلابه ومريديه ليحججون إليه ، يتعلمون عليه ردهاً طويلاً أو قصيراً ، إلا أنهم لا يلبثون أن يدفعهم الحنين إلى المدينة ، مغانين ومرابحها فيتركوا الغرندقة بعد عامين أو ثلاثة ، ويقطعوها فترات كيلا يبتعدوا طويلاً عن حياة المدينة . أما صاحبنا فإنه قائم

أعلى البحار منذ قرون فإن الدكتور جوهر
يقود البحث العلمي البحري في الوطن العربي
في القرن العشرين .

لقد كان الربان المساهر لسفينة البحث
العلمي في البحار المصرية ، فشارك ، وأشرف
على تنسيق بحوث الثروة المائية في مصر منذ
أكثر من ربع قرن من الزمان ، فليس ثمة
معهد ينشأ ، أو بحث بحري ، أو بعثة توفد ،
إلا وهو صاحب الرأي الأول في الإنشاء أو
الإجراء أو الإيفاد وكذلك تتلمذ على يديه
عشرات ممن حصلوا بإشرافه على درجات
الماجستير والدكتوراه .

لقد أنشأ متحفاً بحرياً رائعاً ، به مجموعات
تحتوي على الغالبية العظمى من حيوان البحر
الأحمر ونباته ، بحيث تعد مرجعاً للدراسة
هناك البحر ، كما أنشأ مكتبة تضم أغلب
المراجع الأساسية للدراسة البحر الأحمر ،
تجمع معظمها عن طريق التبادل مع المعاهد
العلمية البحرية العالمية . كما أنشأ معهد الأحياء
المائية بعنابة بالسويس ، وأقام به متحفاً آخر
لأحياء البحر الأحمر ، نسقها تنسيقاً تصنيفياً
وبيثها على أحدث النظم والأصول العلمية .
وأنشأ كثيراً من المماهات أو معامل البحث
المائية التي تزود بماء البحر الحار ، وهي
في الوقت نفسه مرتبة مائي خاضع للبحث
والتجريب ، وخاصة ما يسمى بالتجارب
الضابطة . وكم شهدنا القروش والحيتان
وعرائس البحر في مماهات الدكتور جوهر

بالبحر لا يبرح ولا يريم ، وبتتابع الأعوام ،
يتأسد طلابه فيعودون سراعاً إلى مناصبهم
ومعاملهم وكلياتهم في هذه الجامعة أو تلك وفي
هذا المعهد أو ذلك ، ويبقى صاحبنا في مهجره
الذي ارتضاه لنفسه طائفاً مختاراً ، فقد كرس
حياته لدراسة علوم البحار ، وليكون مدرسة
من الباحثين ، يوجه طلابها ، كلاً للدراسة
فرع من فروع البحث المتشعبة ، وإنما هدفه
من ذلك خلق جيل يستطيع الاضطلاع بشتى
نواحي البحث في البحار المصرية ، ويستطيع
بفهمه الأكاديمي حل المشاكل المختلفة الخاصة
باستغلال الثروة المائية لهذه البحار استغلالاً
حسناً :

على أنه وجه جانباً من اهتماماته بأحياء
المياه العذبة ، وبخاصة القواقع ناقلة الأمراض
الطفيلية للإنسان والحيوان وكذلك أسماك
النيل ذات القيمة الاقتصادية . وتمتاز بحوثه
ودراسته بأنها متكاملة ، لا ينتقل من بحث
لآخر ، إلا بعد أن يحيط بجوانبه المختلفة .

ولعل لا أغالى إذا قلت إنه أول مصري
في العصر الحديث يشتغل بعلوم البحار على
البحر الأحمر ، كرس حياته لها منذ أكثر
من أربعين عاماً ، حين تسلم محطة الأحياء
البحرية بالغرندقة جنينا أوليدا ، فنهض بها
حتى يفعت على يديه ، وغدت معهداً له مكانته
الدولية يفد إليه للدراسة العلماء والطلاب من
كل رجا من أرجاء العالم :

لأنه ابن ماجد العصر الحديث ، فإذا كان
ابن ماجد قد قاد رحلة فاسكودي جاما في

التاريخ الطبيعي والمهات في مختلف أنحاء العالم . ولأنه يقوم ببعض هذه الزيارات على نفقته الخاصة، ولا يبخل عليها بوقت أو مال لأنها من أجل العلم ، ومن أجل الوطن ورفعة شأنه وسمعته العلمية .

ولعل من مظاهر تقديره العلمي في الخارج أو في الوطن العربي، أن دعت جامعة كبرج لمتابعة بحوثه التي بدأها في الخارج ، ولعلها كانت أول دعوة من نوعها بالنسبة لمصر والمصريين ، كما انتخبته أكاديمية العلوم في واشنطن للعمل عضواً رسمياً في المؤتمر الدولي لمعاهد الأحياء البحرية سنة خمس وخمسين ، علماً بأن مجموع الأعضاء اثنا عشر فقط ، وكذلك اختارته هذه الأكاديمية عام ثلاثة وستين للاجتماع الذي عقد بمدينة كومو بإيطاليا للدراسة تنشيط معاهد الأحياء البحرية ، وخاصة بمنطقة البحر المتوسط .

واختارته هيئة الأمم المتحدة سنة سبع وخمسين مستشاراً للسكرتير العام في علوم البحار ضمن هيئة من عشرة مستشارين ، ثمانية منهم خبراء في القانون الدولي ، وواحد في شؤون المصايد البحرية ، وذلك لتنظيم المؤتمر الدولي لقانون البحار، وكذلك اختارته الوكالة الدولية للطاقة الذرية سنة تسع وخمسين في المؤتمر الدولي للتخلص من مخلفات المواد المشعة . وكان رئيساً للجنة التخلص من مخلفات المواد المشعة في البحر ، وكانت هذه اللجنة واحدة من اثنتين رئيسيتين تكون منها المؤتمر .

بالفرقة ، تسبح وتغتنى وتتكاثر وهي تظن أنها بمنأى من أعين الرقباء والدارسين وخاصة عيني زميلنا «جاحظ» العصر، الذي أعاد تجارب زميله التي أجراها منذ نحو من ألف عام على الطير والحيوان والحيات فراقب سلوكها ، وسقى بعضها خمراً ليرى أثرها عليها ، فكذلك فعل زميلنا ، ولكن بأسلوب العصر وأجهزته وأدواته ، وعلى الحيوانات المائية خاصة ، وإنما تجمعهما الدقة العلمية والأناة والصبر والمثابرة— وإذا قلنا: إن أبا عثمان كان أستاذاً في علم الحيوان التجريبي وفي سلوك الحيوان ، وفي علم الشكل ، فإن زميلنا الكريم أستاذ بمقاييس العصر العالمية ، وبكل ما تحمله الكلمة من معنى في علوم البحار بعامة، ورخوياته ومرجانياته وأسماكها بخاصة:

ولقد نشر الدكتور جوهر بحوث محطة الأحياء البحرية، وأشرف على طبعها، وتبادلتها مع مايزيد على ثلاثمائة معهد في الخارج ، وظل يشرف على نشرها بانتظام مايزيد على ربع قرن من الزمان .

ولقد كسب الدكتور جوهر ببحوثه ودراساته شهرة عالمية ، فشارك في عشرات المؤتمرات الدولية في علم الحيوان ، وعلوم البحار والمصائد والبيولوجيا الإشعاعية في الأحياء البحرية ، وأسهم فيها جميعاً ببحوثه المبتكرة الأصيلة ، كما زار عدداً كبيراً جداً من الجامعات والمعاهد الخاصة بعلوم البحار والمصايد ومحطات الأحياء البحرية ومتاحف

وخمسين ، ورئيس للجمعية المصرية لعلوم البحار ، وزميل بالأكاديمية المصرية للعلوم ، وعضو مجلس إدارة الاتحاد العلمي المصري ، وأمين صندوقه ، ونائب رئيس المجمع المصري للثقافة العلمية ، وزميل أكاديمية علم الحيوان الدولية بالهند ، وزميل الأكاديمية الدولية لعلماء المصايد بروما ، وعضو مراسل في المجمع الهندي للأحياء البحرية ، وعضو المجلس الأعلى للمصايد منذ إنشائه ، وبلجان تنسيق بحوث الثروة المائية ، وعضو مجلس كلية العلوم بجامعة القاهرة ، وعضو اللجنة الدائمة لفحص الإنتاج العلمي للمتقدمين لوظائف الأستاذية بالجامعات في علوم الحيوان والحشرات [وعلوم البحار : وقد نال جائزة الدولة سنة ١٩٥٣ :

أيها السادة الزملاء

يطول بنا الحديث إذا أنا حاولت استقصاء أعمال زميلنا الكريم ، وقد آثرت أن ألوذ باتفاقنا على الاختصار ، عجزاً مني عن ملاحقة هذا الربان العالمي الماهر ، أحد علماء العالم المعدودين في علوم البحار ، أقدمه فخوراً به أن يكون أحد أعضاء مجتمعنا الموقر ، فعضويته كسب للمجمع الذي يضمه ، وزمالتة شرف للهيئة التي إليها ينسب ، والسلام .

وقد أبرمت معه الوكالة الدولية للطاقة الذرية عقوداً لإجراء بحوث للكشف عن التلوث الذري بماء البحر باستعمال الأحياء البحرية ، أشرف فيها على مجموعة من هيئة البحث بالمؤسسة المصرية للطاقة الذرية : وانتخبه المجمع الهندي للأحياء البحرية عضواً مراسلاً علمياً بأن عدد الأعضاء المرسلين لا يزيد على عشرة لأن العضوية فخريّة . كما اختارته منظمة الأغذية والزراعة بهيئة الأمم المتحدة عضواً بلجنتها الاستشارية . وأوفد متحفاً للتاريخ الطبيعي بنيويورك الدكتور يوجيني كلارك للعمل تحت إشرافه على الأسماك السامة لمدة عام ، وأتبع ذلك بإرسال سبعة من البحارة لنفس الغرض :

كما اختارته المؤسسة المصرية العامة للثروة المائية عضواً في مفاوضات الحكومة السوفيتية للتعاون في مجال الصيد في سنة ثلاث وستين . ثم عضواً في اللجنة الثنائية العربية السوفيتية المشتركة لتنفيذ الاتفاقية العربية السوفيتية في مجال الصيد : واختاره المجلس الأعلى للبحث العلمي بالعراق لدراسة موضوع إنشاء محطة للأحياء المائية والبث في تقارير سبق أن وضعها خبراء في هذا الموضوع :

وزميلنا هورثيس جمعية علم الحيوان بجمهورية مصر العربية منذ إنشائها سنة ثمان

◆ ◆ كلمة الدكتور حامد جوهر

سيدي الأستاذ الكبير الرئيس :

سادتي أعضاء المجمع الموقرين :

سيداتي وسادتي :

ولا مريّة في أن أهم ما يفعم النفس من مشاعر في مثل هذا الموقف إنما هو الشعور بالاعتزاز بالانتساب إلى مجمعكم الموقر الذي يسجل له الزمن كل يوم من الخدمات في سبيل إعلاء لغة القرآن ، وإبراز طاقاتها الخلاقة والذود عنها من مفتريات أعدائها الكثيرين ، ما يجعل الانتساب إليه شرفاً لا يدانيه شرف ، وأمنية يحلم بها أعلام العلماء وأرباء الأدباء :

وإنني إذ أعتز بهذا الشرف الذي أوليتمونيّه ليشارككن في ذلكم زملائي من المشتغلين بالعلوم الطبيعية ، إذ لا مرء أن في ذلكم لتقديرًا للدور الخطير الذي تلعبه العلوم الطبيعية في عصرنا الحاضر . ليس هذا فحسب ، ولكنه أيضا تقدير لما ظلّت بلادنا العربية في أمسّ الحاجة إليه ؛ من نشر الوعي العلمي والحياة بالعلم بين شعوبها . وتعريب التعليم العلمي في جميع مراحلها . تلكم الأمور التي يزداد الإحساس بها والحاجة إليها يوما بعد يوم ، والتي تتطلب منا جهودا مضاعفة للحاق بالتقدم الخيالي الذي تحرزّه العلوم في كل لحظة في سائر بقاع العالم . ولنكون أقوى عدة وأكمل عتادا لما يجابهنا وسيجابهنا من معضلات .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد ؛ ففي هذا المقام وأمام هذا المجمع الموقر من الجهابذة العظام ، أرباب البلاغة والإبداع ، وقادة الفكر والعلم والبيان ، ليس أحكم من القصد في القول ، وبخاصة وقد وسع كرمكم ورحابة صدركم أربعة من الأعضاء الحدد دفعة واحدة ، وكان عليكم أن تستمعوا في هذا الاجتماع إلى ست كلمات (١) .

ولما لم أكن فارس هذا المضمار فلا ينبغي لي إلا أن أفسح الميدان لزملائي الذين حباهم الله ظلاقة في اللسان ، وطلاوة في الحديث ، وكلهم كذلكم والحمد لله .

ولكن الأمر الذي لا مفر منه ، وهو من أحب الأشياء إلى القلب ، أن أبدأ بإزجاء الشكر لكم جميعا ، إذ تفضلتم فحبوتموني بهذا الشرف الذي لم أكن لأتوق إليه ، أو تشرئب إليه نفسي ، أو يصبو إليه مثلي . ولكن سماحتكم كانت فوق ما تصورت وتصور لداي .

(١) كان من المقرر أن يستقبل الأستاذ مصطفى مرعي في هذا الحفل ، مع زملائه الحدد ، ولكنه اعتذر لسفره إلى

الخارج ، فتأجل استقباله للدورة الأربعين .

عن اللفظ السليم يطابق المعنى المنشود ، فإذا
وقفوا إليه طربوا له طربهم للقطعة الموسيقية
أو الصورة الجميلة .

سادتي :

ليس بي ولا بكم من حاجة للقول : إني لست
متفنتها في اللغة ولا ما لكا لناصيتها ، ولكني
أراكم وقد بلغت الأوج في اللغة والقمة من
بيانها وبديعها ، وغصتم في أعماق تاريخها وألمتم
بكل أبعادها ، أضفتم علوما متعددة متنوعة .
ومنذ سنوات كثيرة أدركتم بثاقب فكركم
وبعد نظركم دور العلوم الطبيعية والتجريبية
في الحياة العصرية ، فأضفتم تخصصات جديدة
وها أنتم الآن تضيفون فضلا جديدا وتخصصات
أخرى مما نرجو أن يكون فيه إثراء للغتنا
العتيبة الجميلة ، وإثبات لقدرتها على مجارة
التقدم السريع . فإذا كانت اللغة هي الروح
فمختلف العلوم والفنون أجسادها ، وإذا كان
لابقاء للجسد بالروح ، فلا كيان لروح
[بلا جسد .

سادتي أعضاء المجمع الموقرين :

لقد شئتم أن أشغل الكرسي الذي كان
يشغله المرحوم الأستاذ الحليل عبد الفتاح
الصعدي ، وتقضى تقاليد المجمع المبادرة
بالحديث عن السلف الذي دعيت إلى خلافته
وفي ذلكم ظلم للراحل الكريم عظيم ، فلقد

سادتي :

إني ، وإن عجب بعض الناس ، لأجد
ميادين مشتركة بين عمل مجتمكم الموقر وعمل
المشتغلين بالعلوم الطبيعية والتجريبية .
ولأضرب مثلا لهذا : ميدان « الكلمة » . إن
أهم ما يميز العلوم الطبيعية أو على الأصح أهم
مقوماتها هو الدقة ، بل إن المعرفة في المجالات
الطبيعية لا تصبح علما إلا إذا خضعت للوصف
المدقق والتعبير السليم والقياس المحكم . وهل
بدون الكلمة السليمة الصحيحة المختارة يمكن
أن نسجل معرفة ما ، أو أن نقلها من شخص
لآخر أو من جيل لما بعده من أجيال ؟

لذلك فالمشتغلون بالعلوم الطبيعية حريصون
الحرص كله على وزن اللفظ بأحكام الموازين
وتعريف الأشياء والأفعال بأوضح التعاريف ،
فلا يطلق اللفظ إلا على معنى واحد أو شيء
واحد ، فلا تلتبس المعاني الواحد في الآخر ،
ولا تندغم المفاهيم أو تتداخل . وهذا أيضا هو
سبيلكم في عملكم الذي يسعدنا أن نسير معكم
فيه على هديكم .

وتلكم العلوم الطبيعية الحاملة ، التي تقوم في
كثير من الأحيان على القياس والتركيب
والاستنتاج والتعقيب والتعقيد ، بحيث تكاد
تنطمس فيها معالم الجمال ، من أشد المشتغلين
بها حاجة إلى شيء من الجمال يرفهون به عن
النفس المكذوبة ! وإنهم لو وجدوه في البحث

كنت أوشك أن يحمل عبء هذا عنى من هو
أبلغ منى لسانا وأقوى بيانا ، ليني ذلكم
الرجل الحليل حقه . ولكنه كان سمحاً متواضعاً
في حياته ، ولا أعتقد إلا أن السماحة والتواضع
ما برحا روحه في مماته .

وإني لأستأذنكم أيها السادة أن أقف هنيهة
أترحم فيها على روح شيخنا الفاضل ، وأبكي
فيها زمالته الموثقة ، وأخلاقه القويمة ، وعلمه
الغزير ، وفضله الوفير ، وأتجه إلى الله تعالى
أن يسكنه فسيح جناته ويجزيه الجزاء الأوفى .

لم تطل معرفتي بالزميل الكريم بقدر
ما كنت أتمنى ، فلم تزد على نيف وعشر
سنوات . وقد اختطفته يد المنون وهو أكمل
ما يكون صحة ، وأوفر ما يرجى نشاطاً ،
وأحرص ما يكون على أداء واجبه كاملاً .

لقد كان رحمه الله وفيه للجميع أعظم
ما عرف الرفاء ، وكان غلبته له أكل ما ينبغي
الإخلاص ، وكان الجميع ملء قلبه وبصره
وسمعه ، لا يتقسم قلبه مع الجميع مقتسم .
كان كذلك حتى آخر لحظة في حياته . لفظ
أنفاسه الأخيرة وهو في طريقه إلى الجميع
ليؤدى واجبا نحو زميل مثله عظيم سبقه إلى
لقاء ربه . فكانت صدمته صدمة قاسية
أصابت كل عارفيه ، وعارفى علمه وفضله
ووفائه وإخلاصه .

كنا في لجنة علوم الأحياء والزراعة نعوص
في بحر لغة القرآن ، سعياً إلى إخراج لآله
ودره وجواهره وكنوزه الوفيرة ، فكانت

تتلاقفنا بلحج معجزاتها ، وتتجاوزنا تياراته ،
وكانت عملية شاقة مضمينة : فكان لا بد لنا من
ربان ماهر خبير بسبل هذا الخضم العظيم ،
ومسالكه ، فكان من المآثر الغر لمجتمعنا الموقر
أن أهدانا في لحننا زمالة هذا العالم المبرز
الذى وهب نفسه خالصة للمجتمع ورسالته ،
وكان له اهتمام خاص أصيل بتعريب
المصطلحات العلمية والفنية . يدافع عن
المصطلحات العربية السليمة ، وعن الألفاظ
التي تحل محل الدخيل منها ، دأب البحث
والتنقيب عن مفردات اللغة في شتى النواحي ،
ودالاتها ، موثماً بسعة اللغة ووفائها بمطالب
التقدم العلمى والفنى .

وجد فيه أعضاء لحننا العالم المتواضع
جليل الشائل ، صافى الود ، رضى الخلق ،
متوقد النشاط ، دأب العمل ، محباً للبحث ،
فألبثوا أن أفسوا إليه واتخذوا منه صديقاً
حميلاً وزميلاً كريماً مكرماً ، لم نجد أسعد
ولاً أحب إلى النفس من زمالته وصحبته .

لست أريد أن أستغرق وقتكم في سرد
تاريخ حياته ، وقد وفى ذلكم زميله الحليل
الأستاذ عبد الحميد حسن حين رثاه إلى
الجميع : وكل ما أحب أن أخص بالذكر هنا
أنه كان عضواً في أربع لجان علمية بالجمع ،
كما راجع دستور الأدوية من الناحية اللغوية
بتكليف من وزارة الصحة ، وهو أول دستور
رسمى يظهر باللغة العربية ، كما نشر بحثاً عن
« مصطلحات العلوم في اللغة العربية ودور
الجمع فيها » .

سادق :

إذا ذكر المرحوم الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي ، فلا شك في أن أول ما يطرق أذهاننا ذلكم العمل الفذ والأثر المفيد الخالد الذي أنجزه سنة ١٩٢٩ هو وزميل كريم له ، ألا وهو معجم « الإفصاح في فقه اللغة » فقد جمع فيه مفردات اللغة طبقا لما تنتمي إليه من فصائل المعاني ، كالرياح والسحب الأشجار والثمار والملبس والمسكن وغير ذلكم . وفي سنة ١٩٦٤ نشرنا طبعة ثانية منه موسعة ، وصلت إلى ضعف الأولى . ولقد كان هذا المعجم العظيم خير رفيق ومعين لنا في البحث عن كلمات عربية تقابل المصطلحات الأجنبية .

والله أدعو أن يتعهد الفقيد الكريم بفيض ، رحمته ، وأن يجزيه بما عمل خير الجزاء :

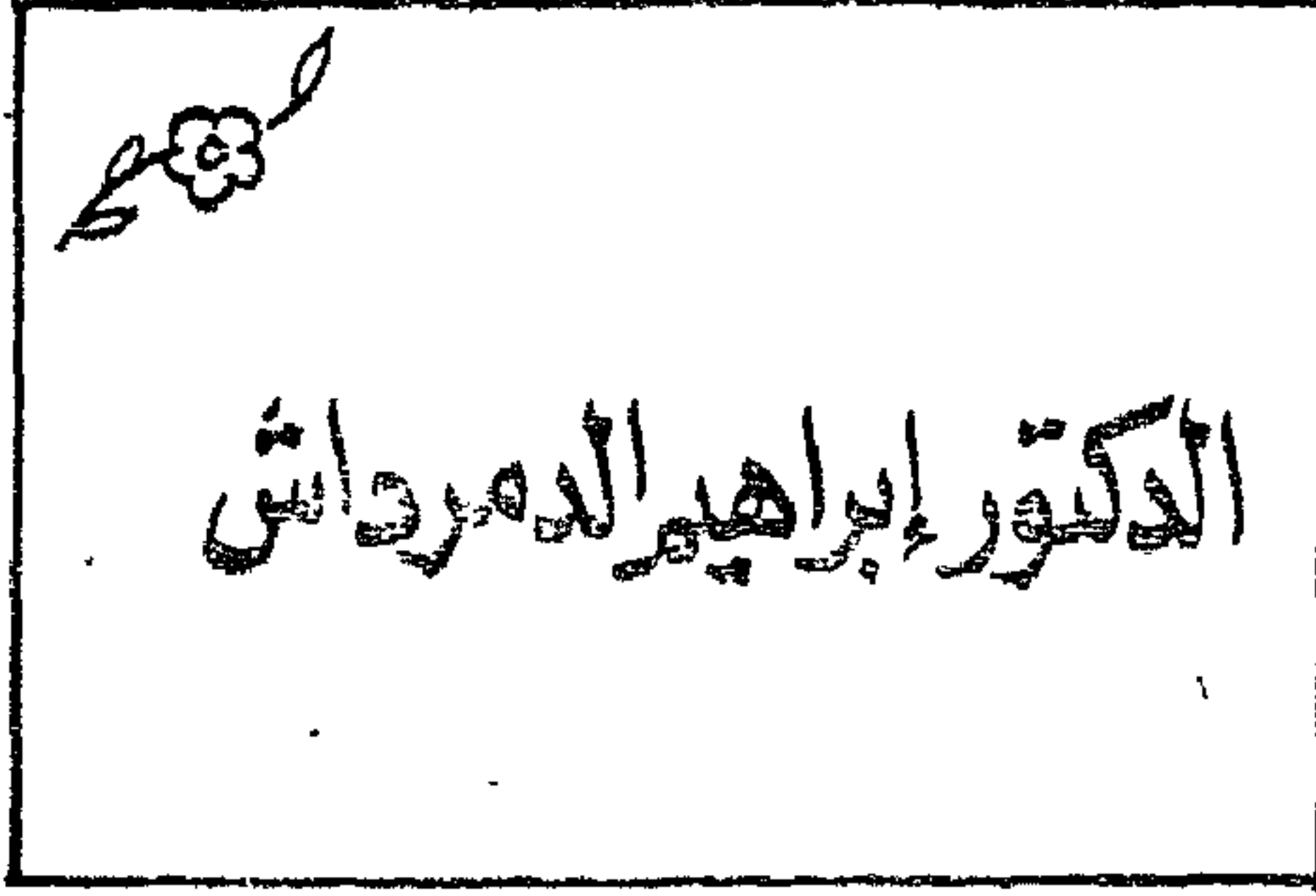
والآن أرجو أن تأذنوا لي بكلمة واحدة أتوجه بها إلى الأستاذ الدكتور عبد الحلیم منتصر لأسأله : كيف جاز له أن يقول في كل ما قال ؟ وهو مني الأخ والزميل وصديق العمر ؟

إنني في الواقع لا إخال إلا أن منتصر (اسما ووصفا بأمر الله مستديما) لا إخال إلا أنه يتقمص شخصية أخرى ليشحذ قريحته ويرسل بيانه ليمتدح إخوانه .

إنني لم أوت من البلاغة بعض ما أوتي ، ولن أتمكن من الرد عليه بمثل ما قال . وإنما بحق لي أن أقول : إنني أعتز كل الاعتزاز بما أنتم خير من يعرفون فيه ويقدرون له ، إلى جانب امتيازه العلمي ، من رسوخ قدمه وعلو كعبه في شؤون اللغة ، فلا قبل لي بأن أتبارى معه في هذا المضمار . وكل ما يمكنني أن أفعله هو أن أزجي إليه الشكر خالصا عطرا .

وأخيرا أكرر لكم جميعا شكري وعرفاني بعظيم جميلكم ، وأدعو الله تعالى أن يجعلني أهلا لثقتكم الغالية ، وأن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خير أمتنا ولغة القرآن الكريم ، وأن يهدينا سواء السبيل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

●●● كلمة الأستاذ إبراهيم البان في استقبال :



بسم الله الرحمن الرحيم .

ولد السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش بالقاهرة في ٧ من أكتوبر سنة ١٩٠٦
وتابع دراسته الابتدائية والثانوية فإلى
بمجاح وامتياز ، حتى حصل على دبلوم
مدرسة الهندسة الملكية في سنة ١٩٢٥ وكان
أول الناجحين ، ثم سافر إلى سويسرا ، وهناك
حصل من جامعة زيوريخ في سنة ١٩٢٨ على
دبلوم الهندسة المدنية ، ثم مضى قدما في
دراسته حتى نال منها في سنة ١٩٣٠ درجة
الدكتوراه في العلوم الهندسية . وفي ذلك الحين
كان التعيين في تلك الجامعة مقصورا على
السويسريين ولكن الأستاذ Karner الذي
كان قد لمح فيه مخايل التفوق العقلي والعلمي
استطاع أن يتخطى هذا الوضع الجامعي العام
ويعينه مساعداً له .

هذا بإيجاز هو تاريخ دراسته العلمية ،
ولكنه جمع في دراسته بين العلم والعمل ، ففي

السنوات من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٣ نال تدريبا عمليا
واسعا في أربعة مصانع كبرى هي :

- ١ - مصنع M.A.N بجوستا فسبرج
M.A.N. Gustavsburg
 - ٢ - مصنع G.H.H. بأوبرهاوزن
G.H.H. Oberhausen
 - ٣ - مصنع كروب براينهاوزن
Krupp., Rheinhausen
 - ٤ - مصنع دورمان لوزج بلندن
Dorman Lorg & Co., London
- ثم درب بعد ذلك في سنة ١٩٣٦ وسنة
١٩٣٩ في شركتين كبيرتين هما :
- ١ - شركة Buss والسكك الحديدية
السويسرية .
 - ٢ - وشركة De Havilland لصناعة
الطائرات بانجلترا .

ولما عاد إلى مصر استقبل حياته العملية
بعزيمة قوية وثابة ، وقام لأتمه وبلاده بعدد

من الخدمات الجليلية في داخل كلية الهندسة
وخارجها وفي خارج الجمهورية أيضا .
ونبدأ من ذلك بحياته في الكلية :

في سنة ١٩٣٥ عين مدرسا بمدرسة
الهندسة ثم توالى بعد ذلك خطوات الترقية
المعروفة فرقي في سنة ١٩٣٩ أستاذا مساعدا ،
ثم عين في سنة ١٩٤٤ أستاذا في كلية الهندسة
بجامعة القاهرة حيث شغل على التوالي ثلاثة
كراسي مختلفة الاختصاص هي :

١ - كرسى حساب الإنشاءات :

٢ - وكرسى الكبارى والإنشاءات
المعدنية .

٣ - ثم كرسى تصميم هياكل الطائرات ،
وهنا عين رئيسا لقسم هندسة الطيران :

وقد أتبع للكلية أن توضع تحت إدارته
أكثر من مرة :

١ - فقد انتخب عميدا لها في سنة ١٩٥٢ :

٢ - وتحت نظام التعيين عين عميدا لها في
سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٦٢ .

هذه صورة موجزة لحياته داخل الكلية ،
ولكن نشاطه امتد إلى خارج الكلية كما قلنا
من قبل :

١ - فقد انتخب عضوا في اللجنة الدائمة
للجمعية الدولية للكبارى والإنشاءات في
سنة ١٩٥٢

٢ - واختاره زملاؤه المهندسون نقيبا لهم
في سنة ١٩٥٥ .

أما أعماله خارج الجمهورية فتشمل :

١ - عدة محاضرات ألقاها في سنة ١٩٥٩ في
أكاديمية العلوم ببودابست بالمجر وجامعة فيينا
بالنمسا .

٢ - والاشتراك المشرف في عدة مؤتمرات
دولية أهمها المؤتمر الدولى للكبارى والمنشآت
بزيورخ سنة ١٩٢٨ ثم بباريس وبرلين وليبيج
وكمبريدج واستكهلم في ١٩٣٢ ، ١٩٣٦ ،
١٩٤٨ ، ١٩٥٢ ، ١٩٦٠ على التوالي :

كما دعى إلى المؤتمر الدولى لأساتذة الجامعات
بفيينا سنة ١٩٥٤ وميونخ سنة ١٩٥٦ :

وقد نال جائزة الدولة التقديرية للعلوم
سنة ١٩٦٨ .

وفي مجال الخدمات القومية أحب أن أنوه
ببعض نشاطه فهو :

١ - عضو مجلس إدارة معهد أبحاث البناء ؛
٢ - وعضو مجلس إدارة المؤسسة العامة
للطيران .

٣ - وعضو اللجنة العليا لأبحاث الفضاء
الخارجى .

٤ - وعضو المجلس الأعلى للجامعات :

٥ - وعضو مجلس إدارة جامعة الأزهر :

٦ - وعضو ومقرر لجان فحص جوائز
الدولة التشجيعية .

كما اشترك في عضوية لجان تطوير التعليم
الجامعى وكانت آراؤه ومقترحاته في دستور

الجامعات ونظمها ولوائحها مرجعا في كثير من التعديلات والإصلاحات .

والتممة الطبيعية لما سبق هي الإشارة إلى مكانته العلمية العالية وسأحدث عنها في إيجاز :

للأستاذ الدكتور الدمرداش مدرسة خاصة في بحوث الإجهادات الناشئة عن العزوم في الشبكات الإطارية وفي الأعتاب الإطارية، كما عالجت بحوثه المنشورة في الداخل والخارج حساب العقود المشدودة، والأعتاب المقواة، والإطارات المقفلة، والإجهادات في أركان الإطارات والهياكل الإنشائية وحساب الكبارى المتحركة والانبعاج وغير ذلك من البحوث العلمية :

وقد نخطت شهرته العلمية حدود بلاده فورد اسمه في بعض المراجع العلمية العالمية كالمرجع الذي أصدره الدكتور شليختر Prof. Dr. Schleicher مع نخبة من كبار الأساتذة في يوليو سنة ١٩٥٥ كما نوه به الدكتور شتوسى Prof. Dr. F. Stüssi رئيس الجمعية الدولية للكبارى والمنشآت في كتابه عن الإنشاءات المعدنية الذي صدر في زيورخ : وذكره كذلك ريجنالد رينولدز : Reginald Reynolds في كتابه Beware of Africans الذي طبع في لندن في سنة ١٩٥٥ :

أ وهو يجيد اللغة الألمانية إجادة تامة وبها كتب أكثر بحوثه كما يجيد الإنجليزية والفرنسية :

ومع هذا قائمة تحتوي على واحد وثلاثين من بحوثه العلمية الضخمة التي أصدرها باللغات الأوروبية المختلفة :

وتبقى بعد ذلك كله شخصية الدكتور الدمرداش وسأمتس بعض جوانبها التي تكشف لي في أثناء عملي معه كعميد في جامعة القاهرة لعدة سنين .

كان أول ما لفت نظري أن الدكتور الذي نشأ هذه النشأة لم يخضع لإغراء ظواهر المدنية الحديثة بل ظل محتفظا في قرارة نفسه بالروح الدينية العالية، فكان في جميع ظروفه محافظا على الشعائر الإسلامية محافظة صادرة عن إيمان عميق راسخ ، وكان بوجه خاص مواظبا على أداء الصلاة في أوقاتها مهما كانت الظروف المحيطة به، ولم يرعني بالإضافة إلى هذا إلا سعة اطلاعه على الدين وعمق إدراكه لأصوله والكثير من فروعها :

أما الأمر الذي أثار دهشتي فهو مكانته الأدبية فإنه مع تذوقه للأدب العربي ودقة إحساسه بالجمال الأدبي حتى في أخفى صورته، قد جمع إلى ذلك موهبة خاصة نادرة فيمن كان في مثل ظروفه فالدكتور الدمرداش شاعر ، وأحب أن أنوه هنا بمستواه الشعري :

فإذا كان أسلوبه في صحته ورقته وسموه يشير الدهشة ، فإن معالجته للموضوع الذي ينظم فيه الشعر تكشف الناظر عن براعة فنية قليلة النظير ، فهو حينما ينحدر إلى أعماق النفس البشرية يرى أدق حركاتها العاطفية

وأخفاها بوضوح تام ، ثم يكسوها من بيانه
حلة سندسية تم عن أدق معالمها وأعمق
تطوراتها :

وقليل منا من يعلم أنه أودع الأوراق
مجموعة صالحة من هذا الشعر الفريد ، أرجو
أن يتاح له نشرها في المستقبل القريب
إن شاء الله :

أما إذا ذكر الوفاء ورعاية الحقوق فإنه
يقدم في كل ذلك أمثلة رائعة تركت في
نفوس إخوانه وزملائه أثراً عميقة باقية ،
وقد كان أروع ما رأيته منه أنه في العهد
الحديد كان يحرص أشد الحرص على أن يتقدم
لمجلس الجامعة في كل انعقاد تقريباً بثبت
ظويل من أسماء الخريجين الممتازين يطلب

تعيينهم معيدين في الكلية . وقد حملتني دهشة
من كثرة العدد وأنه يفوق لأحالة حاجة الكلية
على أن سألته : ماذا تقصد بهذا ؟ فكان جوابه :
إننا مقبلون على عصر لإنشاء في جميع ميادين
الحياة الصناعية والهندسية وسنحتاج لأحالة
إلى عدد كبير من المهندسين ، للقيام بهذه
الأعباء الكثيرة المتنوعة ، فمن الخير أن نسبق
الحوادث ، ونعد العدد الكافي من المهندسين
الأكفاء الضروريين ، للقيام بهذه النهضة
العمرانية الواسعة ؟

هكذا كانت غيرته على المصلحة العامة
في مجال المهمة الموكولة إليه ، ومساهمته
المخلصة المثابرة في تقديم أوسع الخدمات الفنية
لأتمته وبلاده ، في ساعة نهضتها ووقت حاجتها ،

**البحوث العلمية المنشورة
للأستاذ الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش**

1. "Beitrag zur Berechnung der Biegespannungen in Dreieck-Fachwerken mit und ohne Hilfssystem," Gebr. Leemann AG, Zürich, 1931.
2. "The Problem of Load Distribution on Floors," Year's Book of the Civil Engineering Society, Royal School of Engineering, Giza, 1935.
3. "Das Stahlgerüst für den Umbau der Mohammed Ali Moschee auf der Citadelle zu Kairo", Mitteilungen der Internationalen Vereinigung für Brückenbau und Hochbau, 1936.
4. "The Bending Stresses in the Members of a Truss due to the Rigid Connections at the Joints", Gebr. Leemann AG, Zürich, 1937.
5. "The Effect of a non-uniform change in the Temperature of a Truss", Year's Book of the Civil Engineering Society, Royal School of Engineering, Giza, 1937.
6. "First All-Welded Steel Structure in Egypt," the Welder, London, 1937.
7. "Welded Steel Shed used for the Egyptian State Railways at Nuzha", Alexandria, The Welder, London, 1938.
8. « الإجهادات الناشئة في شبكات الريج نتيجة للتغير في أضلاع الكمرات الرئيسية »
المؤتمر الهندسي العربي بالقاهرة عام ١٩٤٥ .
9. "The Stresses due to a non-uniform Change in the Temperature of a Truss", Volume IX, Publications of the International Association of Bridges and Structural Engineering, 1949.
10. "Statics of the Vierendeel Girder" Volume XII, Publications of the International Association of Bridges and Structural Engineering, 1952.
11. "The problem of Web Buckling in a Plate Girder Section", Engineering Magazine, Cairo, 1952.
12. "The Vierendeel Girder with Equal Chord Stiffness", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1953-54.
13. "The Design of Bow-String Girders and Tied Arches", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1954-55.
14. "Determination of Bending Stresses in Triangular Framed Structures by Elastic Weights and Couples", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1956-57.
15. "The Continuous Vierendeel Girder", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1956-57.

16. "Der Durchlaufende Rahmenträger", Volume XIX, Publications of the International Association of Bridges and Structural Engineering, 1959.
17. Re-"Buckling of Struts of Variable Bending Rigidity", Discussion of Paper 58-A-39, Journal of Applied Mechanics, The American Society of Mechanical Engineers, 1959.
18. "Der Rahmenträger", Vortrag im Ausseninstitut der Techn. Hochschule in Wien, am 14. X. 1959.
19. "A Kerettartók (Vierendeel-Tartók)", Lecture delivered in the Hungarian Academy of Science, Budapest, 1960.
20. "Solution of the Vierendeel Girder by Joint Relaxation and Member Slopes," Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University 1959-60.
21. "Zur Berechnung des Rahmenträgers," Der Bauingenieur, Heft 4, 1961.
22. "Re-Buckling Tests on Plate Girders", Theme VI. Sixth Congress, International Association of Bridges and Structural Engineering, Stockholm, 1960.
23. "The Method of Joint Relaxation and its Application to Vierendeel Girders", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1960-61.
24. "Vereinfachte Berechnung des Balkens mit Stabbogen", Mitteilungen der technischen Kommission, Schweizer Stahlbauverband, Heft 42, 1962.
25. "The Method of Alternating Relaxation", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1961-62 .
26. "Fixed-End Struts of Variable Section", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1965-66.
27. "Deformations of the Vierendeel Girder " Journal of the Egyptian Society of Engineers, Vol. VIII, No. 1, 1969.
28. "Stresses in Vierendeel Girders " Journal of the Egyptian Society of Engineers, Vol. VIII, No. 3, 1969.
29. "The Bow-String Vierendeel Girder", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1966-67.
30. "Analysis of Orthogonal Grid-Works", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1967-68.
31. "Elastic and Limit States Design", ASCE-IABSE International Conference on Planning and Design of Tall Buildings, Lehigh University, Bethlehem, Pennsylvania, U.S.A., 1972.

◆ ◆ كلمة الدكتور ابراهيم الدمرداش

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الأجلاء

أحمد الله على آلائه وأصلى على أنبيائه ،
ثم أذكر من ذكرني بالخير ، وأشكر له أن
زكّاني لدى الغير ، كما أذكر وأشكر لمن
تبع نصحه وتوصيته وأولاني صوته وثقته ،
حتى وقفت ببابكم طالباً ومريداً ، ودلفت
إلى محرابكم عضواً جديداً . يسّركم الله تعالى
لليسرى ، وآتاكم من فضله الحسنى ، وحفظ
العربية ذكراً ، والعروبة فخراً ، والعرب
ذخراً ودهراً . آمين

أيها السادة الأجلاء

لو كانت لي الخيرة ، لما تردّيت في
الخيرة ، ولأشرت بالبنان إلى إبراهيم اللبان ،
ليكون لي رائداً في مجيئكم ، ودليلاً في
أحلبتكم ، فهو مثال الرجل الكامل ، والعالم
الفاضل ، ولقد حقق الله تعالى رجائي ،
واستجاب لدعائي . وهاهو بالأمس يزكّيني ،
ويقوم اليوم بتقديمي . جزاه الله تعالى عنى
كل خير ، ورضى عنه وأرضاه . آمين .

أيها السادة العلماء

الرسم لغة المهندس ، فهو يؤثر الأشكال
على الأقوال ، ويرصد وحى الخيال بالمنظور

والظلال ، ثم يعطى فكره للناس ، هندسة في
قرطاس : وأنى له أن يصف آلة أو مبنى ،
دون مسقط أفقى ، ومنظر جانبي ، بل قطاع
ثم قطاع ، في شتى الأوضاع .

والرسم في الحقيقة تعبير مباشر ، صامت
في ذاته ، ناطق بصفاته ، يدل على نفسه
بنفسه ، فلا يحتاج إلى ترجمان ، وإن أردت
تفسيره بالبيان ، اختلف اللسان ، باختلاف
الزمان والمكان . فللشيء الواحد في كل بلد
اسم ، وفي كل لغة رسم . فإذا سمعت الناس
يتحدثون عنه اختلط الحابل بالنابل ، كأنك
في برج بابل .

من ثمّ تتضح فائدة الرسم كمختصر مفيد ،
لما له من ميزة الإيضاح والتوحيد . والقول مع
بلاغته ، والكلام على فصاحته ، لاغنى لهما
عن الصور والأشكال ، في أغلب الأحوال .
لذلك تجد المعجمات تستعين بالمبنى في تفسير
المعنى ، وتأتى بالرسم لتعيين المسمى .

والفكرة والوحى والخيال ، هي مصدر
الرسم والكتابة والكلام : إلا أن طريقها إلى
الرسم أقصر ، وإلى الكلام أطول ، وإلى
الكتابة أطول وأطول . ذلك أن اللفظ ترجمة
للمشاهدة ، حسية كانت أو معنوية ، والكتابة

ترجمة لهذه الترجمة . ومن ثم تتضح صعوبة النقل من لغة إلى لغة .

فإنك تصيد الفكرة بإدراكك ، وتسعى جاهداً في التعبير عنها بحركات لسانك ، ثم تقيدها بتسطير بنائك ، وكلاهما عرف عند بني قومك . والدليل على ذلك ، أن كلامك لا يفقهه غيرهم ، وتوكتابتك لا يفهمها من ليس منهم . فهي مجموعة من الأصوات والرموز ، لا تدل دلالة مباشرة على المقصود منها . فإذا جاء غيرك وقرأها ، وبطريقته فهمها ، ثم حاول نقلها إلى لغة أخرى لفظاً وخطاً ، وليس اللفظ كاللفظ ، ولا الخط كالخط ، فهل تعتقد أن من قرأها بعد ذلك ، يدرك ما أردت ، ناهياً عما أدركت ؟ هذه هي الترجمة ، وتلك خطواتها ، وما يكتنفها من عقبات .

وأود في معرض الحديث عن اللفظ والخط ، أن أشير إلى تلك المحاولات العقيمة ، التي تدعو إلى كتابة الفصحى بالأحرف اللاتينية ، كما فعل غيرنا بلغتهم الشرقية ، والفارق بين الحالتين كبير . فالعربية لغة أصيلة ، ذات تاريخ قديم ، وتراث جرم ، من نثر وشعر وسحر بيان . فهل يحق لبنها ، أن يتنكروا لماضيها ، ويجعلوا من الحرة العربية ، تجارية أعجمية ؟ كلا ! وهل تعدل الحروف اللاتينية حلاوة الخط العربي ؟ يا قوم ! ما أجمل النسخ وأحلى الثلث ، وهل بعد الرقعة من اختزال ؟

ثم من يقول بأن الحروف الأعجمية تحكى النطق العربي الصحيح ؟ وتفصح كحفص ، فتحسن تلاوة القرآن الكريم ؟ إني على يقين من أن هذا الاتجاه السقيم ، سيبعدنا جيلاً بعد جيل ، عن لغتنا العربية ، والذكر الحكيم .

ومن هذا القبيل ، قول بعضهم : إن العربية الفصحى صعبة المراس ، ومن ثم فليهمم يؤثرون النزول بها إلى مستوى اللهجات الدارجة ، التي تختلف زماناً ومكاناً ، والتي من شأنها ، أن تباعد بين الشقيقتين العربيتين ، فوق أنها لا تكتب ، ولا تكفي لدقة التعبير . والأحرى بنا أن نصوب هاتيك شيئاً فشيئاً ، حتى ترتفع إلى الفصحى ، فنجمع بذلك الشمل على سواء .

ومن المشاهد أن أكثر الدول تقدماً ، هي التي تكتب كما تتكلم ، ولا تختلف لهجاتها إلا قليلاً . ومن شأن مجمعكم الموقر أن يعمل على تيسير العسير ، والنهوض بالدارجة رويداً إلى الفصحى وتقارب اللهجات ، توثيقاً للصلوات ، وعلى الله قصد السبيل .

إننا لأننا نأذى بلزوم ما لا يلزم ، ولما كنا نقول بوجوب الاهتمام بتعليم الفصحى ، والعمل على استخدامها . فوحدة اللسان ، هي السبيل إلى وحدة القلب . وإذا جمع القرآن الكريم بين أفئدتنا ، فلتجمع الفصحى بين ألسنتنا ، والمرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، أي إيمانه وفصاحته .

وعندما نودى بالتعريب ، رأيت كثيراً من الناس يشرحون بالعامية ، ويبقون على المصطلحات الأعجمية ، حتى أسقط في يد السامعين ، واقتصروا على السمع دون التدوين . والتعريب الصحيح هو أن تنطق بالفصحى شرحاً ومنتأ ، وأن تكتب بها كذلك . وهنا تبرز للعيان ، حاجتنا إلى التوحيد . وتلك مهمة المجمع التي هو بالغها بإذن الله تعالى .

أيها السادة العلماء :

يركن المهندس إلى الأعداد والأرقام ، لتحديد الأبعاد والأحجام . والأرقام عشرة ، وهي أقل من حروف الهجاء ، ولكن تبادلها وتوافيقها لا تحصر ، وتتعدى جموع الحروف والكلمات . إذ أن الأخيرة ترتبط بالمعنى فلا تتعداه ، أما الأولى فهي طليقة ، تصغر إلى النهاية ، وتكبر إلى ما لا نهاية .

ومن عجب أن الصفر ، وهو لا شيء ، إذا كان من أهل الشمال ، أدركه الإهمال ، أما إن كان من أصحاب اليمين ، فهو حسنة تضاعف إلى عشرة أمثال . ومن تواضع العرب ، أنهم ينعنون الأرقام العربية ، بقولهم إنها هندية . وقد أجمع العالم كله على أنها عربية ، خلافاً للرومانية . ولولا تلك الطريقة العربية المثلى ، لما قامت للعلوم نهضة . فالطريقة الرومانية لكتابة الأعداد سقيمة عقيمة ، تحد ولا تنطلق ، ولا تصلح لعمليات الحساب البسيطة ، ناهيك بالرياضة الحديثة .

ومن المأثور عن العرب ، أنهم أول من استخدم الجبر ، وكانوا يسمون المجهول الذي يراد تعيينه « الشيء » ، ويرمزون إليه بحرف « الشين » . فلما فتحوا الأندلس ، ونقلوا علومهم إليها ، لم يجد الإسبان في هجاءهم ، ما يقرب نطقاً من « الشين العربية ، إلا الحرف اللاتيني « x » . ومن ثم انتقل هذا العرف إلى كافة الغرب ، وما زال إلى اليوم ، رمز الشيء المجهول في علم الجبر .

أيها الأدباء العلماء :

إن الأدب حرفة الأدباء ، ولكنه متعة غيرهم من العلماء ، وهو أكبر من أن يكون صنعة فحسب ، فهو متعة روحية ، وغاية ثقافية . وإن في اختيار مجمعكم الموقر ، غير اللغويين لعضويته ، معنى سامياً رفيعاً . فهو يدل على إيمانكم الحق ، بالأغنى للأدب عن العلم ، كما أنه لاغنى للعلم عن الأدب ، وأن الثقافة الكاملة تجمع بين الأخوين .

أيها السادة الأجلة :

ولد عبد الرزاق السنهوري ، مع من ولد ، بالإسكندرية عام ١٨٩٥ م ، وتوفي مع من مات بالقاهرة عام ١٩٧١ م . ولكنه لم يعيش كما عاشوا ، ولم يميت كما ماتوا . فمن منهم بلغ ما بلغه ، في علمه وفقهه ، حتى أصبح علماً من أعلام القانون ، وحيجة يرجع إليه وإلى مؤلفاته ؟ ثم من منهم وصل إلى ما وصل إليه ، من مناصب الدولة الرفيعة ، وسكن في قلوب تلامذته ، وعارفي فضله ؟

إن مثله لم يمت ، فهو قائم بيننا بكتبه ،
وأحكامه وحججه ، وخالد بذكره العاطر
على الألسنة ، وسيرته الحافلة بجليل الأعمال :
وما زال أستاذا لمن يقرأ له ، ومرجعا يستشهد
به .

أجل . لقد كان عبد الرزاق السنهورى
طالبا نابها ، يتم حاضره عن مستقبله . وبعد
أن حصل على إجازة الحقوق بمصر ، سافر
فى بعثة إلى فرنسا ، حيث حصل على الدكتوراه
فى العلوم القانونية ، ثم على للدكتوراه فى
العلوم الاقتصادية والسياسية ، فملك بهما
الناصيتين .

وبعد عودته من بعثته ، التحق بهيئة
التدريس بكلية الحقوق ، وتدرج فى السلم
الجامعى إلى أن أصبح عميدا لها عام ١٩٣٦ :
ثم تقلد منصب القضاء بالمحاكم المختلطة ،
حتى عين مستشارا مساعدا بقضايا الحكومة ،
فوكيلا لوزارة المعارف ، ثم العدل ،
فوزيرا للمعارف عام ١٩٤٥ ، ثم وزيرا

للدولة ، فوزيرا للمعارف مرة أخرى من
١٩٤٦ إلى ١٩٤٩ . وعين بعدها رئيسا لمجلس
الدولة ، وظل هكذا حتى ١٩٥٤ . وقد اختير
عضواً بالمجمع عام ١٩٤٦ .

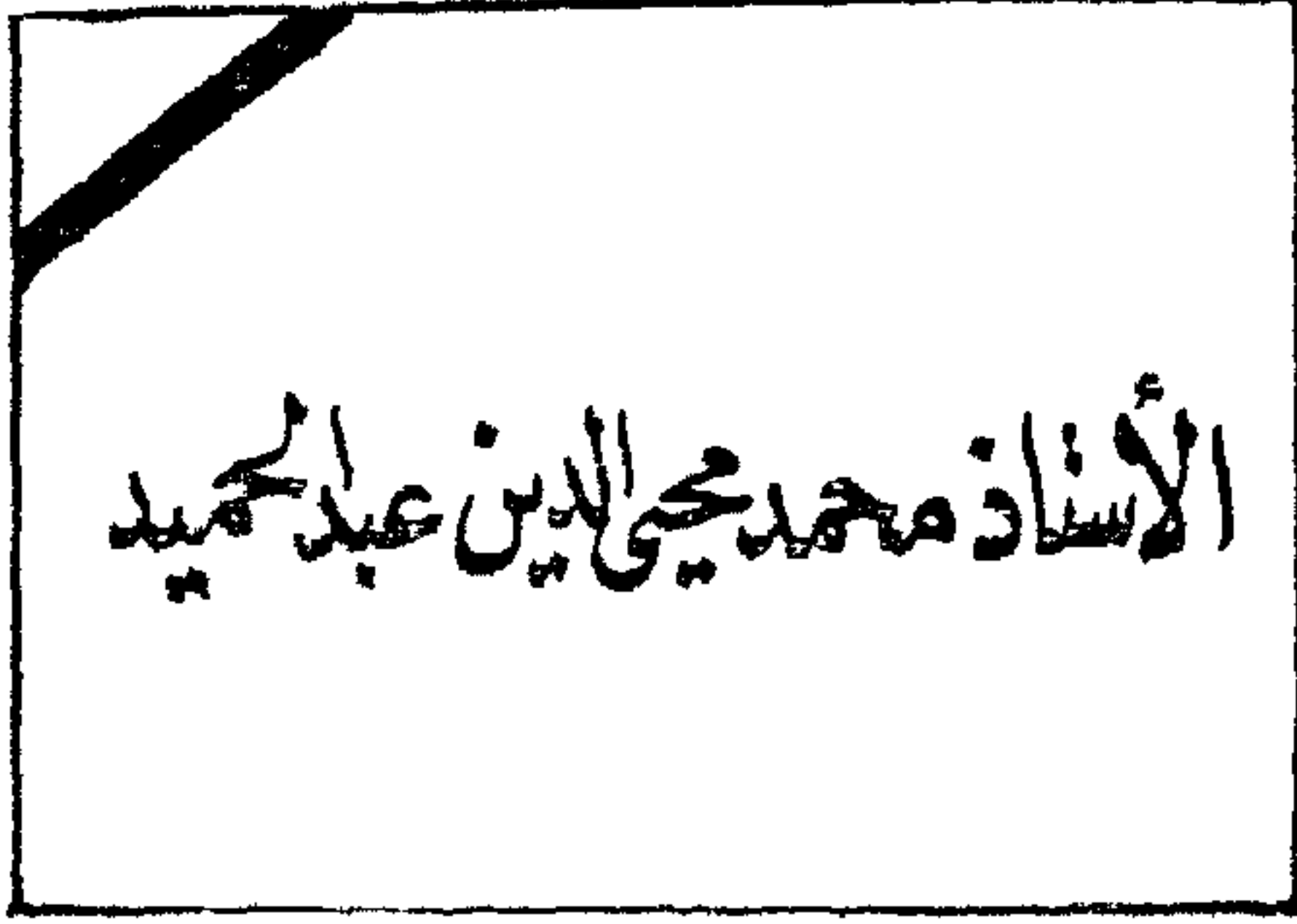
وكانت له اليد الطولى فى وضع كثير من
قوانين مصر ، والدول العربية الشقيقة . وله
من المؤلفات القانونية ما يجلب عن الحصر ،
من مراجع العصر . هذا وقد رأس وفد مصر
فى كثير من المؤتمرات العالمية ، وهيئة الأمم .
كما كان رئيسا للجنة الثقافية ، فى جامعة
الدول العربية .

ذلك عبد الرزاق السنهورى الذى فقدته
المجمع بالأمس ، وهو يفتقر إليه اليوم ،
والذى أردتم أن أتبوا مكانه بينكم ، فحق
لى أن أذكره وأشكر لكم ، فقد برّى بعد
موته ، وأضاف لنفسه حسنة فى آخرته .
فسلام عليه فى الأخيرين .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب
العالمين :

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٢١ من صفر سنة ١٣٩٣ هـ
(الموافق ٢٦ من مارس سنة ١٩٧٣ م) أقام المجمع حفل تأبين للمغفور له
الأستاذ الشيخ محمد محيي عبد الحميد عضو المجمع ، وفيما يلي ما ألقى :

كلمة الأستاذ عبد السلام هارون في تأبين المغفور له :



ما تكون المصاحبة ، وعرفته أبين ما تكون المعرفة
وجمعت بيني وبينه رابطة من روابط المصاهرة
منذ زمان بعيد ، كان بها لي اعتزاز ؛ لأنها صلة
برجل فاضل وإمام عالم نبيل .

كان مولد الفقيد بين نهاية القرن التاسع
عشر ومشارف القرن العشرين في قرية كفر
الحمام من إقليم الشرقية ، ونشأ والده الأزهرى
تنشئة دينية ، فحفظ القرآن الكريم أول ما حفظ
ودرس الدراسة الأولية في قرينته الصغيرة ،
ثم التحق بمعهد دمياط الديني يطلب العلم حين
كان والده قاضيا بنهارسكور ودمياط ، ثم انتقل
إلى معهد القاهرة بانتقال والده إليها ، لتقلد
منصب المفتي لوزارة الأوقاف . وحصل على
شهادة العالمية النظامية مع أول فرقة نظامية
في سنة ١٩٢٥ فانتظمت به مع زملائه هذه
الباقية الأولى من النظام الجديد للأزهر ، وكان
هو الزهرة الأولى في تلك الباقية السعيدة .

سيادة الرئيس :

زملائي الأجلاء :

سيداتي وسادتي :

في غربة عن الدار والوطن تلقيت نعيه فبدأ
على الجزع وكأني لم أسمع بهالك من قبل ،
ونسيت في عمرة المفاجأة وهول الصدمة سنة
الحياة منذ خلق الله الدنيا .
وقلت لعبد الله إذ حن باكيا :

تعز وماء العين منهمر يجرى
تعز فإن كان البكا رد هـ الكا

على أحد فاجهد بـ كاك على عمـرو
وتلقيت فيما بعد كتاب المجمع يدعوني إلى
أن تكون لي كلمة في تأبين الفقيد ، وأشهد
لكأني قد تلقيت فيما تلقيت نعيًا جديدًا للفقيد
نكأ الجرح ، وأثار كما من الحزن ودفين الأسنى .

ويشهد الله ما ترددت في قبول الدعوة ،
حرصا مني على الوفاء لرجل صاحبه أطول

ذلك كتب لاتزال إلى يومنا هذا مرجع طلاب
كلية الحقوق .

وفي تلك الفترة التي قضها سفيراً علمياً
ناجحاً موفقاً في السودان سعى إليه عارفو
فضله، وأكسب على حضور مجالسه كثير من
تلاميذه الذين وثبوا فيما بعد إلى أعلى المناصب،
وظلموا محتفظين له بالتبجيل والإعزاز والصلة
الوثيقة والعرفان بالفضل إلى يوم لقائه ربه. فقد
كان من خصائص فقيده أن يحسن استمالة
الفضلاء إلى مجالسه، وكان يحسن احترام
الناس فيحسن الناس احترامه، ويجيد توثيق
الصلة والمودة بينه وبين من يعرفه حين يلتمس
فيه الفضل، أو يلتمح منه بارقة نبوغ، فإذا
الصلة قرابة، وإذا المودة وشيخة من وشائج
النسب . . . ولقد حفظ هناك كرامة بلده،
وهيبة منصبه، وكان له نفوذ العلماء المبهجلين
الذين تسمو بهم أقدارهم فوق كل أقدار .

وفي سنة ١٩٤٣ عاد من وفادته العلمية
في القطر الشقيق إلى كلية اللغة العربية حيث
عين وكيلاً لها، وكان له أثر واضح في
تطويرها، وإعلاء شأنها، حتى إذا كانت سنة
١٩٤٦ عين مفتشاً بالمعاهد الدينية، وظل في
هذا العمل إلى سنة ١٩٤٨ إذ عين أستاذا بكلية
أصول الدين، فكث بها زهاء أربع سنوات
حتى اختير مديراً لتفتيش العلوم الدينية
والعربية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية .
وبعد انقضاء سنتين على هذا عين في سنة
١٩٥٤ عميداً لكلية اللغة العربية، وظل شاغلاً

وهنا يكمن السر في أن فقيدنا العالم الحليل
الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد كان من
طراز هيئت له الأسباب ليرز في تكامل
متناسق، وكان - غفر الله له - ينوه بذلك
 ويفخر ؛ ويعتز به اعتزازاً .

كما كان لنشأته في بيئة علمية، تغمرها
الثقافة الإسلامية، ذلك الأثر في إمامته العلمية
التي ظلت ردحا طويلاً من الزمان تؤتي ثمارها
في أرجاء الجامع الأزهر، وتخط السطور تلو
السطور في تاريخ نهضته الحديثة .

فنحن نرى الفقيد لإثر تخرجه يتلقفه معهد
القاهرة مدرسا به، فإذا ما أنشئت كليات
الجامع الأزهر في سنة ١٩٣١ نجده على رأس
المختارين للتدريس في كلية اللغة العربية، وهو
امتياز لم يحصل عليه بعض أساتذته وشيوخه .

فإذا أطلت سنة ١٩٣٥ وهي السنة التي أنشئ
فيها قسم الدراسات العليا بالجامعة الأزهرية
كان من الصفوة المختارة للأستاذية فيه واستطاع
في خمس سنوات قضها فيه أن ينشئ جيلاً
من أساتذة اللغة العربية يعتز بهم الجامع الأزهر،
ويذكرون له ذلك الأثر البارع في الإرشاد
والتوجيه .

وعند ما فكرت حكومة السودان في إنشاء
دراسة في الحقوق في كلية غوردون، وذلك في
سنة ١٩٤٠؛ اختارت الفقيد بعد تمنع منه وإباء،
ليشارك في وضع مناهج العلوم الشرعية فقام
بوضعها على أساس وطيد، موشارك في تدريس
هذه المناهج زهاء أربع سنوات، وألف في

لهذا المنصب العلمي خمس سنوات، كانت أزهى عهود هذه الكلية وأضوأها . . . فالمعروف عن الفقيه أنه كان نصيراً للتجديد في حدوده المعقولة ، كما كان من أعداء الجُمود الذي لا يقوم على ساق . كان حركة ونشاطاً ، وكان انطلاقا وتوثبا .

وعاد بعد هذه السنوات إلى الأستاذية بكاية أصول الدين خمس سنوات، رجع بعدها مرة أخرى عميداً لكاية اللغة العربية من سنة ١٩٦٤ إلى ١٩٦٥ حين بلغ سن التقاعد . وفي أواخر سنة ١٩٦٤ اختير عضواً بمجمعنا هذا، وكان حفل استقباله في الثاني والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٦٥. ولتنوع خبراته وتعدد نشاطه كانت له مشاركة في عدة لجان : لجنة المعجم الكبير ، ولجنة الأصول ، ولجنة إحياء التراث القديم ، ولجنة الأدب ، فكان يادى النشاط والدعوى غير مبال باعتلال صحته أو حقوق بدنه ، حقيقياً بعمله سخياً بوقته إلى اليوم الأخير من حياته الحافلة .

ولإخوانه في هذا المجمع يعرفون فيه ما كان له من سماحة شيمة ونبل خلق ، ونفس طيبة تتجافى عن العنف إلا في الحق ، وتستمسك بالإنصاف والوقار الذي لا تشوبه شائبة من شوائب التكليف أو التصنع . وإذا ما عنت قضية مشكلة تدبرها في تواضع العالم ، وتكلم فكان قوله الفصل في كثير من مشكلات اللغة والعلم .

لقد طبع الفقيه منذ نشأته على التحقيق والتبحر في العلم ، وحسن الفهم لما يعالجه من أمور : ومما لا يعرفه من لم يمت إليه بسبب وثيق أنه قام في مقتبل شبابه أزمان طلبه للعلم بالأزهر بعمل أدبي جليل ، هو شرح مقامات بديع الزمان الهمداني ، وهو شرح مسهب مستفيض ، مشحون بغرر الفوائد وتفسير الإشارات الأدبية والتاريخية بما ينم عن مقدرة بارعة ، ورعة متدرة في تلك السن التي قلما أن ينضج فيها علم عالم ، وهي سن الحادية والعشرين .

وقد صدد هذا الشرح بإهداء إلى والده المغفور له الشيخ عبد الحميد إبراهيم مفتي الأوقاف العمومية إذ ذاك ، وقال في هذا الإهداء :

« سيدى الوالد :

إلى نفسك الطاهرة وحكمتك العالية ، وأدبك الجهم وفضلك الغزير ، أقدم كتابي هذا . . . لقد رببتني على الفضيلة ، وحببتني إلى العمل ، وزهدتني في الدعة والوئى ، وعند الله في ذلك جزاؤك ، فليس بيدي شيء منه ، ولا في استطاعتي أن أناله ولو رقيت أسباب السماء . ولكنى أتقدم إليك بكتابي هذا برهانا على أنك غرست فأثمرت وبذرت فأثمرت ، ودليلا على أن غراسك سيزداد نموا بمر الأيام ، إلى أن يوتئى أكله مرتين بإذن الله . »

صورة من صور الوفاء ، و نموذج من نماذج بر الأبناء بأبائهم ، واحتفائهم بالتنويه بفضلهم عليهم في حسن تكوينهم وتقويمهم . وقد حقق الشيخ مأمول والده فيه ، كما حقق أمل نفسه بنمو غراسه ، نموا يعد نادراً فريداً فيما ألف الناس من إنتاج العلماء المثابرين ، فبين يدي زهاء ثمانين عنوانا لكتب يربو عدد صفحاتها على عشرات الألوف . أقولها غير مبالغ ولا متزيد : وهذا خلاف ما غاب عنى حصره ، وما لم أستطع تقصيه وتبعه . . ومما يخرج عن نطاق هذا الحصر ما صنعه من العناية بنشر شرح ابن يعيش على المفصل في عشرة أجزاء لم يرقم عليها اسمه ، ولم يدخلها في حساب ما قام على نشره من أمهات الأصول . لقد كان الولوع والشغف بإحياء التراث العربي يسرى في عروقه كما تسرى دماء الفداء في شرايين أجناد الكفاح ، وفي ذلك يقول طيب الله ثراه :

« وكان الذي دفعني إلى أن أختار هذا الطريق : أن عملي الأصيل في الجامع ثم جامعة الأزهر كان أعظم عناية بعبارة هذه المؤلفات ، وأنى أردت أن أضع بين نابتة البلاد العربية هذه المؤلفات في صورة دقيقة الإخراج ، ومعها شروح قريبة المنال ، ليقبلوا على هذا التراث الذي لم يكن يبعد عنهم عنه سوء الإخراج واستغلاق عبارة الشروح » .

ويكفيه فخرا في النحو ويكفي النحو فخرا به أنه عالج معظم كتبه المتداولة ، لتيسر دراستها

وتذليل القراءة والبحث فيها ، بدءاً من الأجرومية وانتهاء بشرح الأشموني للألفية ، وشرح ابن يعيش للمفصل : ولا يزال كثير منا نحن أعضاء هذا المجمع الموقر ، يرجع إلى كتاباته وتعليقاته ، وإلى هذا المدد الزاخر من المكتبة النحوية التي نقلها من ظلام القدم إلى نور الجدة والشباب :

لم يكن الفقيه العزيز نحويًا فحسب ، بل كان مشاركاً في مختلف العلوم الإسلامية الدينية منها وغير الدينية ، ففي مجال الفقه الإسلامي نجده يؤلف في الأحوال الشخصية ، وكتابه فيها يعد مرجعاً من المراجع الجلية ؛ ويؤلف في أحكام الموارث كتاباً يعد مرجعاً لمجتازاً ويؤلف (سبيل الفلاح في شرح نور الإيضاح) ، وينشر اللباب للبيداني في شرح الكتاب : كتاب القدوري . بل نجده يؤلف في غير مذهبه الفقهي (الدروس الفقهية على مذهب السادة الشافعية) و (الإقناع في حل ألقاظ أبي شجاع) .

وفي أصول الفقه يحقق الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي ، ومنهاج الوصول في معرفة علم الأصول ، والمسودة في أصول الفقه ، التي تتابع على تأليفها ثلاثة من أئمة آل تيمية . وفي الفتاوى : الحاوي للفتاوى للسيوطي :

وفي الحديث يحقق سنن أبي داود ، والترغيب والترهيب للمنذري . وفي مصطلح الحديث يشرح ألفية السيوطي . وفي التوحيد يشرح جوهرة التوحيد للشيخ اللقائي ،

ويكتب تعليقا علميا على رسالة التوحيد للإمام محمد عبده . وفي علم الكلام يحقق مقالات الإسلاميين للأشعري ، والفرق بين الفرق للبغدادي . وألف مختصرا في أدب البحث والمناظرة يعد بحق أجمع وأيسر ما كتب في هذا العلم .

وفي علوم البلاغة يبعث معاهد التنصيص للعباسي ، وكذلك المثل السائر لابن الأثير ، ويؤلف تهديبا لشرح السعد .

وفي اللغة : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وجواهر الألفاظ لقدماء ، وهو أكبر موسوعة في معاجم الأساليب . وفي مراجع الأدب القديم : يقيمة الدهر للثعالبي ، وزهر الآداب للحصري ، ومجمع الأمثال للميداني ، والعمدة لابن رشيق .

وفي دواوين الشعر : شرح ديوان عمر ابن أبي ربيعة ، وشرح ديوان الشريف الرضي ، وشرح حماسة أبي تمام للتبريزي . ويعلق على شرح المعلقات للزوزني ، وشرح القصائد العشر للتبريزي .

وفي التاريخ الإسلامي : سيرة ابن هشام ، ونفح الطيب للمقري في هشرة أجزاء ، ومروج الذهب للمسعودي في أربعة أجزاء ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي .

وفي الجغرافيا العربية ينشر : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسهمودي ، وغير ذلك . فالأمر كما قلت يخرج عن حد الإحصاء

السكامل ، هو صورة حياة مجاهدة مصابرة مرابطة ، مشغوفة بالعلم أينما وجد ، وبالمعرفة حيث يلمع نورها أو يسطع ضوءها . وفي هذا شاهد صدق على التسكامل العلمي الذي قل أن يتاح لعالم واحد .

ليس على الله بمستنكر

أن يجمع العالم في واحد ولقد رأيت رحمته الله مع هذا كله يواظب على قراءة كثير من الكتب الحديثة قصارها وطوالها فلا يكاد يفوته جزء من أجزاء سلسلة اقرأ وأخواتها ، من منشورات دار المعارف ، أو منشورات دار الهلال ونحوها .

جلد صارم وشغف عارم واستنارة دائمة واستفادة دائمة ، فليس لي في هذا المقام إلا أن أردد مقاله فيه من قبل زميل لنا كريم اختاره الله إلى جواره هو العلامة المغفور له الشيخ محمد علي النجار :

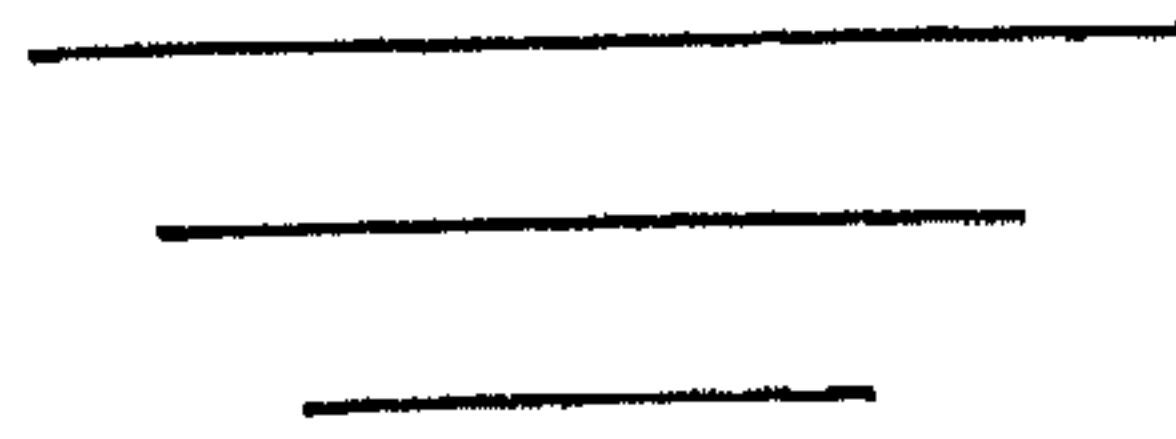
« لقد قيل في الطبري : إنه كان كالقاري الذي لا يعرف إلا القرآن ، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه ، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب . . . وكذلك يقال في الشيخ محيي الدين : إنه كالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو ، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه ، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالمتكلم الذي لا يعرف إلا الكلام » .

وقد نال - رحمه الله - الحظوة في معظم ما ألفه أو قام على نشره من أمهات الكتب ، فقد كان يفهم ما يقول حق الفهم فيؤديه إلى أناس أحسن ما يكون الأداء . . ورزقه الله من حسن البيان ومعرفة التبيين ما جعل الدارسين يهرعون إلى الاستقاء من معينه ، والارتشاف من منهل .

كان الفقيه حركة دائبة عرفها الناس ولم يستطيعوا إغفالها في الهيئات العلمية والدينية والأدبية . فنجده رئيسا للجنة الفتوى ، وولقاه رئيسا للجنة إحياء أمهات كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ثم نجده متوجا بتاج العضوية لهذا المجمع الموقر ، الذي منحه من صحته وجهده وإخلاصه ما جعل فقده خسارة فادحة ورزا جليلا .

إني - وأنا من أقرب الناس إليه ، ومن أعرف الناس بقدره - لا أستطيع إلا أن أستعلن عجزى عن تأبينه وعن تبيان فضله ومآثره ، إلا أن أصنع في ذلك كتابا أظل أنمقه دهرًا . ولكني أراني قد ألقيت شيئًا من الضوء على حياته الحافلة المباركة المفعمة بالتوفيق ، الهادفة إلى خدمة وإسعاد بني وطنه المصري ووطنه العربي ووطنه الإسلامي ووطنه الإنساني .

إن مجمع اللغة العربية ، إذ يودع عضوًا جليلا من أعضائه المخلصين ، ليستمطر شآبيب رحمة الله على جدته الطاهر ، ويدعو له بمغفرة الغفور ورضوانه ، وأن يجعله الله في زمرة الشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .



◆ ◆ كلمة الدكتور ابراهيم محمد نجا

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذ الحليل الدكتور طه حسين رئيس مجمع اللغة العربية وعميد الأدب العربي .

أساتذتنا الأجلاء، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد ، فإنه لي شرفي أن أنوب عن كلية اللغة العربية للوفاء ببعض الحق الذي يجب على أبناء المرحوم المغفور له أستاذنا الفاضل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

وإن خير ما أبدأ به قول أبي فراس الحمداني :

سينكرني قومي إذا جد جددهم

وفي الليلة الظلماء يفترق البدر

أبي وأستاذي :

يقتضى الوفاء أن أجد ذكرك وأن أخلد أثرك، فالذكر للإنسان عمر ثان، ولقد أوليت تلك الكلية الفتية رعايتك وحبوتها عطفك وعنايتك ، ولذلك كان الخطب جسيما والمصاب أليما، ولولا إيمان اعتصم به أبناؤها وبقين راسخ اعتصم به علماءها لما احتملوا هول الفاجعة . ولا اقتدروا على مواجهة المصاب .

أيتها النفس أجملى جزعا

إن الذي تحلرين قد وقعا

إن الذي جمع المروعة (م)

والنجدة والحزم والندى جمعا

الألمعى الذى يظن بك الظن (م)

كأن قد رأى وقد سمعا

حقاً إن العروبة فجمعت في ابن من أعز بنينا، فقدت قلباً نابضاً التاعت لفقدته القلوب وارتاعت لفقدته النفوس، ولولا إيمان بالله لكان الموقف شاقاً على جميع بنينا .

أبي وأستاذي :

إن اللوعة التي خلفها فقدك والمصيبة التي تركها فراقك جعلت المآتى تدرف الدمع المدرار ، والقلوب يعتصرها الألم كأنه سيف بتار ، ولكننا وقد عشنا في رحاب الأزهر رحاب الدين لا ينبغي أن ننساق وراء تلك العواطف الحزينة التي تلهب النفوس، ولكننا نرسل بعض الأناث الخافتة الحزينة التي تضم بعض الذكر لأستاذ كرس حياته لخدمة تلك الكلية ، وإننى وقد سمعت من أستاذنا الحليل الأستاذ عبد السلام هارون كثيراً من جهوده وجهاده أحب أن أضم إليها أموراً تخفى على الكثير تتعلق بكرامته، فإنه عاش أبى النفس عزيزا لا يمكن أن يمكن من نفسه أى إنسان مهما كانت منزلته ؛ دعاه إلى ذلك حفاظه على كرامته ، حفاظه على رجولته ، حفاظه على خلقه . وإن في اختياره أستاذاً لكلية اللغة العربية ولما يبلغ الثلاثين بعد كان ذلك مؤذناً بأن ذلك الرجل الألمعى جدير بأن يكون

موطن التقدير والإعجاب : وما كاد عام ١٩٣٥ يبدأ ، وكانت الأمور السياسية في مصر مضطربة ، وكان الأزهر آنذاك معرضاً لبعض الاضطرابات الخطيرة ، قام الأزهر بثورة قوية ناصرنا فيها أستاذنا الحليل وعالمنا الفذ الدكتور طه حسين ، فكتب مقالات قوية بعنوان « صبريات » ؛ لأنه كان يراد إقصاء الجمهرة الغفيرة من أبناء الأزهر وصددهم عن التعليم .

قامت الثورة وكانت ثورة قوية ، ثورة هادفة تهدف إلى تخليص الأزهر من براثن الرجعية ، وإلى النهوض به نهضة قوية ، وكان عماد تلك النهضة أساتذة أجلاء على رأسهم المغفور له الأستاذ الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .

إنه آنذاك عرضت عليه العروض لكي يمتنع عن مناصرة تلك الثورة ، ولكي يبتعد عن الوقوف بجانب أبنائه ، ولكنه لم تلبس له قناة ولم يخضع لتهديد ولم يأبه لو عيد ، وذلك خلق قوى في تلك الفترة العصبية التي يدركها الجميع .

ظل أستاذنا على هذا الوضع إلى أن صدر قرار بنقله مدرساً إلى معهد الإسكندرية انتقاماً لموقفه المشرف ، فلم يزد ذلك إلا إصراراً على مناصرة الحق ، وإلا إصراراً على

السير في ركاب الحرية ، وإلا إصراراً على الوقوف في وجه أولئك الطغاة الذين لا هم لهم إلا أن يكتبوا الأنفاس ، ويحمدوا الأرواح [الطاهرة البريئة : وقد أراد الله للأزهر أن ينتصر ، وأراد الله أن تعود الدراسة بعد تعطيلها وأن يعود أستاذنا إلى كليته ، موفور الكرامة مرفوع الهامة ، مظلاً لأبنائه بظله الوارف القوي لا يأخذه زهو العلم ، ولكنه كان الأب الحنون العطوف على أبنائه ، بيته بيت الأبناء ، مكتبته مكتبة الأبناء . فكنا نعد إليه نستطلع رأيه ونستفيد من خبرته ونستفيد من تجاربه ، فلم يضمن على إنسان يوماً ما بأى ناحية من تلك النواحي المتعلقة بدراسته . وعندما أنشئت الدراسة العليا كان الرائد الأول لنا والموجه لنفعنا ، ولم نقف جامدين في تلك الدراسة بل إنه وجهنا وجهة لغوية سديدة . كان يأتي إلينا بالموضوعات التي تحتاج إلى معالجة قوية ، كدراسة النحو البغدادي الذي لم يكتب فيه أحد ، ويريد منسأ أن نخرج تلك الأبحاث لتكون نبراساً لتلك الكلية ، يستفيد منها الأبناء ويستفيد منها الجميع ، ولكنه كما قلت - حفاظاً على كرامته - عندما عين وكيلاً لكلية اللغة العربية ، وكانت الكلية آنذاك في حرب ضروس ومعاناة قوية من الداخل والخارج ، إلا أنه ما كاد يتولى أمرها ويسوس شأنها حتى رأيناها يقود السفينة بحكمة

يطلب منك أن تقابل بعض المسئولين ، فأبت عليه عزة نفسه أن تخضع لتلك الرغبة قائلًا أمامنا جميعاً والله يشهد على ما أقول إنني صادق فيه : « إن المنصب إن كانت الدولة تعترف أنني في حاجة إليه فلتسندني ، وإن لم تكن معترفة بي فلا حاجة بي إلى مقابلة أي مسئول مطلقاً » .

لم يقلها رحمه الله غرورا أو تأبيا ، بل حفاظاً على كرامة العلماء ، وعلى كرامة الرجال الذين أثبتوا في شتى العهود السابقة أن رجال الأزهر يجب أن يثبتوا للملأ أن الأخلاق الفاضلة وأن الرجولة الحقة هي التي يجب أن تسيطر عليهم ، وألا تغريهم المناصب ، وألا يبعدهم زهو الحياة وبريق المسال إلى الانحراف عن الحادة القوية ، التي سار عليها أستاذنا ، والتي دربنا عليها تدريباً قوياً .

إن أستاذنا الراحل لم يقف عند اللغة وعند الدين ، بل كانت جهوده رغم اعتلال صحته رئيساً للجنة الفتوى في الجامع الأزهر ، وفتاواه قوية ظاهرة ، وحججه واضحة باهرة ، ورياسته للجنة السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وعضويته لمجمع البحوث الإسلامية - كل تلك الجهود يظن من لا يعرف تلك الشخصية أنه رجل بعيد عن المجتمع . ، ولكنك إذا جلست إليه وتحدثت معه رأيت منه اللغوي الناضج ، رأيت منه الفقهي البارع ، رأيت منه المحدث اللبق ، رأيت منه السياسي المتفتح ، رأيت منه

الربان الماهر الحكيم ، فبنى المآزق القوية ويقضى على الفتن التي كادت تقضى على تلك الكلية . وإن أستاذنا الحليل الدكتور عبد الرزاق السنهوري ، وكان وقت ذلك وزيراً للمعارف ، رأى بثاقب فكره أن ذلك الرجل جدير بأن يتولى عمادة الكلية ؛ لتفتح ذهنه وتوقد فكره وإمكانه التفاهم مع كل الناس ، ولكنه لم يتمكن من إقناع المسئولين لما عرف عن فقيدنا الراحل من جرأة في الحق لا ترضى بعض الناس آنذاك ؛ فانتقل إلى التفتيش ونقل من التفتيش إلى أصول الدين ظناً منهم أن ذلك الرجل الذي كرس حياته في علوم العربية لا يمكن أن يجلي في أي ميدان آخر ، ولكنه بحمد الله - وهو الحصيف الرأي القوي البيان المتين الحججة - أهكته أن يكون رائداً في علوم الدين كما كان رائداً في علوم اللغة ، وأن يكون قوياً بين أساتذته مما جعل الجميع يشيدون بفضله ويعترفون بنبهه ، ويرجعونه إلى عمادة تلك الكلية التي أرسى فيها قواعد العدل ، والتي هيأ فيها للجميع حياة مستقرة ، والتي أمكنه بفضل تفتح ذهنه أن يوجد فيها الأقسام المختلفة ، لتتمكن تلك الكلية من متابعة الدرس ومن السير في الدراسة اللغوية والأدبية ، فأنشأ فيها قسماً لأصول اللغة كان هو النواة الأولى فيها والمرجع الأوفى فيها .

إن أستاذنا الحليل ووالدنا الراحل كرس حياته معتزاً بكرامته معتزاً بفضله معتزاً بعلمه ، لم يتمكن أحد من أن ينال منه إطلاقاً ؛ عرضت عليه المناصب وقيل له إنه

الذين شمتهم بعظمتك والذين أوليتهم رهايتك
أن يسيروا على نهجك ، وأن ينهضوا بتلك
الكأبة القوية التي نأمل أن تكون راعية للغة
القرآن حارسة لها ، والله المشول أن ينزلك
منازل الأبرار والصديقين ، طيب الله ثراك ،
وجعل الجنة مثواك ، وجزى الله المجمع
ورجاله والمقدرين لفضلك خير الجزاء ،
والسلام عليكم ورحمة الله .

الاجتماعي الذي يستحق كل تقدير .
فلن بكيناه اليوم ، وإنما نبكى رجلا فاضلا
وعالما فذا ، وأستاذا جايلا ينذر أن يجود
الزمان بمثاه ، إن الزمان بمثله لبخيل .

أستاذي وأبي :

لأني في هذا المقام أذكر لك بعض مالك
علينا من حقوق ، وأرجو الله أن يوفق أبنائك

♦ ♦ كلمة الأسرة للأستاذ أحمد نبيل محيي الدين

سيادة الرئيس

حضرات السادة الأفاضل أعضاء مجمع
الخالدين :

يطيب لي إذ أقف في هذا الحشد الخافل
برجالات العلم وشيوخ الأدب وشمسوة
الصفوة من قادة هذه الأمة أن أنتقل إليكم
هرفاني وشكري وعرفان أسرة محيي الدين
لما أبدىتموه من كريم المشاعر وما أجزلتتموه
من وفاء وإخلاص نحو راحل كريم جمعه
بكم حبه للعربية ، والتقى وإياكم على مائدتها
فأعطى ماشاء الله له أن يعطى ، وكان يحفظ لكم
دائماً أن منحتتموه ثققتكم واخترتتموه ليسهم
معكم في إحياء العربية وبعث أمجادها
وعسى الله أن يكون قد وفقكم إلى حسن
الاختيار . . . ولست بسبيل الإطناب في
امتداح أفضالكم فإن من تنزه صنيعه عن
العلائق أزهد الناس في المدح . . . ولئن كان
رفقاء والدي وإخوانه وتلاميذه قد كرموه
وأظهروا من آيات الوفاء وصوره
ما كان تواضعه الجهم وحساسيته الشديدة

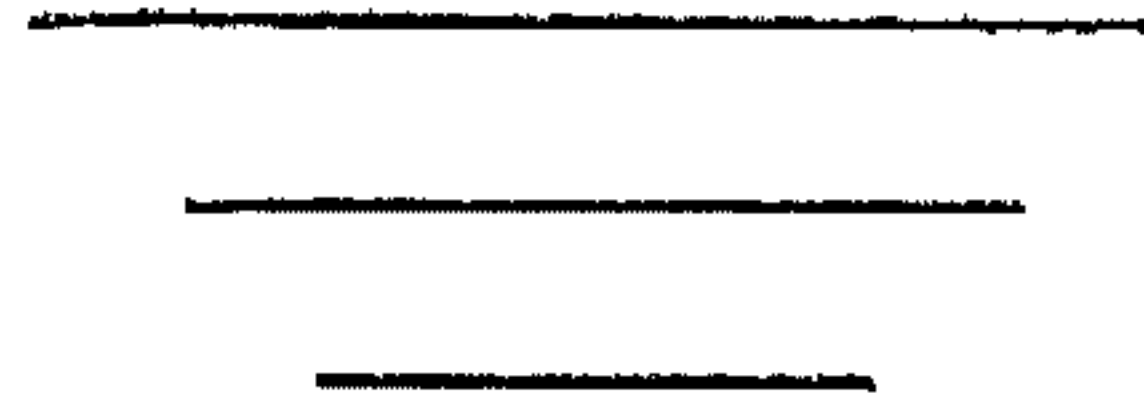
يمنعانه من إظهاره فهي فرصة أبي كرمكم
الوفير إلا أن يجعلكم تمنحونها وهي أن أعبر
عن بعض فضله على . . . فوالدي رحمه الله
رغم وفرة أصدقائه وكثرة عارفه في شتى
البقاع كان له صديق حميم عرفه منذ نعومة
أظفاره ولازمه حتى صعد إلى بارئه ، ذلك
هو الكتاب : فقد ألف الكتاب وألفه الكتاب
حتى لم يترك دنياه إلا وقد غارت بصماته فوق
أكثر من خمسة وسبعين كتاباً هي ما ألفه
وأخرجه ، وأينما كان له مكان مختار فهو
وسط جدران من كتب متراصة وأسفار ،
كتب بقدر ما أضافت إلى علمه الكثير فقد
أثرت منه الكثير ، وحملت بين طياتها
نبضات رنانة من روحه وومضات وضاعة
من كيانه . . . وخطرات لماحة من وجدانه
وإن كان مدحى إياه يلام في حياته ، فلتغفروا
لي أن أثنى عليه ثباته في الحق وصرامته في
وجه الباطل ، واعتزازه بما أشرب من مبادئ
الإسلام وتعاليمه وروحه ؛ اعتزازاً يغبطه
أولو النزاهة ويرفضه المتسلطون .

وعونه ، لتعضدوا لغة قرآنه ، وأن يمنحكم
طول البقاء لتبقوا أبداً مناراً لنا والأجيال
القادمة ❖

والسلام عليكم ورحمة الله .

حضرات السادة الأفاضل أعضاء مجمع
الحالدين :

إن الكلمات ولا شك تعجز عن الوفاء
بما أحمل إليكم من تقدير وعرفان عسى الله
أن يحسن جزاءكم ويمدكم بمزيد من توفيقه





من أنبياء المجمع

تحية المجمع لقواتنا المسلحة

في حرب رمضان المجيدة :

حيا أعضاء المجمع في جلستهم المنعقدة في ١٢ من رمضان سنة ١٣٩٣هـ الموافق ٨ من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٣م قواتنا المسلحة المصرية والسورية ، في حربها التحريرية التي بدأت تخوضها في العاشر من رمضان المبارك (٦ من أكتوبر) ، معيدة للأمة العربية ثقتها بنفسها ، مستردة لها تقدير العالم واحترامه .
وقد قرر أعضاء المجمع التبرع بمكافأة شهر للمجهود الحربي .

قرار جمهوري :

باعتماد عضوية أعضاء جدد :

صدر قرار جمهوري باعتماد عضوية : الدكتور أحمد الحوفي ،
والدكتور حامد جوهر ، والدكتور ابراهيم الدمرداش ، والأستاذ
مصطفى مرعى .

وفيما يلي نص القرار :

قرار رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ٤٩٧ لسنة ١٩٧٣

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور ؛

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ بإنشاء
مجمع اللغة العربية ؛

قرر :

(المادة الأولى)

اعتماد عضوية السادة الموضحة أسماؤهم فيما بعد بمجمع اللغة
العربية وهم :

- ١ - الأستاذ الدكتور أحمد محمد الحوفي .
 - ٢ - الأستاذ الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر .
 - ٣ - الأستاذ الدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش .
 - ٤ - الأستاذ مصطفى مصطفى مرعى .
- وعلى وزير الثقافة تنفيذ هذا القرار .

صدر برياسة الجمهورية في ٨ ربيع أول سنة ١٣٩٣ (١١ أبريل
سنة ١٩٧٣) .

((أنور السادات))

رئيس المجمع الراحل :

استأثرت رحمة الله تعالى برئيس المجمع ، وعميد الأدب العربي ،
الدكتور طه حسين ، في ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٧٣

اعضاء راحلون :

كما استأثرت رحمة الله تعالى ببعض أعضاء المجمع وهم
المغفور لهم :

• الأستاذ على الجندي (في ١٩٧٣/٦/٤) .

• الأستاذ عزيز أبانة (في ١٩٧٣/٧/١٠) .

• الأستاذ محمود تيمور (في ١٩٧٣/٨/٢٥) .

• الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور (عضو المجمع المراسل من
تونس) .

• الأستاذ بلاشير (عضو المجمع المراسل من فرنسا) .

خيران جديدان :

وافق مجلس المجمع على اختيار خبيرين جديدين هما :

***الدكتور محمد فتحى الشنقيطى رئيس قسم الفلسفة بكلية
الآداب (فرع المنيا) خبيرا بلجنة العلوم الفلسفية والاجتماعية.

*** الدكتور جمال زكريا قاسم 'الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة عين شمس خبيرا بلجنة التاريخ الحديث والمعاصر .

صلات المجمع الثقافية :

*** ورد المجمع كتاب من الأستاذ جودت نور الدين مرفق به بحث
في تطوير الكتابة العربية ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة في
١٩٧٣/٤/٢ احواله على لجنة تيسير الكتابة العربية .

*** بعث الاتحاد الدولي للأكاديميات رسالة الى المجمع يدعو فيه
الى الاشتراك في عضوبته . وهذا الاتحاد يضم أكثر أكاديميات
أوربا ، وأكاديميات الولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا ،
والكسيك ، واليابان . وأستراليا . وقد أرفق الاتحاد برسالته
الى المجمع قانونه الأساسى ، ومحضر جمعيته العمومية التى
انعقدت فى بلجيكا ، فى يونيه الماضى ، وقررت فيه توجيه
الدعوة الى المجمع للاشتراك فى الاتحاد . وقد وافق المجلس
فى جلسته المنعقدة فى ١٩٧٣/٤/٩ على تلبية هذه الدعوة .

*** ورد المجمع كتاب من اتحاد الجامعات العربية ، مرفق به
قوائم بالمصطلحات الاحصائية الواردة من جامعتى دمشق
واللاذقية ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٣/٥/١٤
احالة هذه المصطلحات الى لجنة الرياضة ، لنظرها ، وابداء
الرأى فيها .

*** قام الدكتور ابراهيم مذكور الأمين العام للمجمع بتمثيله في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين ، الذي عقد بباريس ، في المدة من ٧/١٦ الى ٧/٢٢/١٩٧٣

*** كما قام الدكتور عبد الحليم منتصر ، والدكتور محمد أحمد سليمان ، والدكتور حامد عبد الفتاح جوهر ، بتمثيل المجمع في المؤتمر العلمي العربي السابع ، الذي عقد بالقاهرة ، في المدة من ٩/٢٢ الى ٩/٢٦/١٩٧٣

*** بعث الى المجمع الأستاذ «حسان داود» من العراق بمقترحات تتعلق بمصطلحات العلوم ، فأقر المجلس بجلسته المنعقدة في ١٠/١/١٩٧٣ إحالتها على اللجان المختصة ، لدراستها وإبداء الرأي فيها .

*** تواصل الشركة العربية الأمريكية للنفط (أرامكو) ارسال قوائم بالمصطلحات البترولية (بالانجليزية والعربية) الى المجمع . وقد أرسلت قائمة جديدة بهذه المصطلحات ، فأحالها المجلس بجلسته المنعقدة في ١٠/١/١٩٧٣ على لجنة الكيمياء .

*** ورد المجمع كتاب من الاتحاد العلمي العربي ، مرفق به مجموعة من المصطلحات التي قدمت لمؤتمر الاتحاد ، الذي عقد في شهر سبتمبر الماضي ، وهي تبلغ ٣٤٠٠ مصطلح ، في الهيدروليكا ، والهندسة الكهربائية ، والمساحة . وطلب الاتحاد العلمي العربي من المجمع أن تتولى لجانه المختصة نظرها ، ووضع التعريفات المناسبة لها ، ثم عرضها على مجلس المجمع لإقرارها . وقد أقر مجلس المجمع بجلسته المنعقدة في ١٠/٨/١٩٧٣ إحالته على اللجان المختصة .

*** في الجلسة الافتتاحية للدورة الأربعين (الاثنتين ٥ من رمضان المبارك سنة ١٣٩٣ هـ الموافق أول أكتوبر سنة ١٩٧٣) تليت مذكرة بعث بها الى المجمع السيد وزير الثقافة ، بشأن اللغة العربية ، ومكانتها قوميا وعالميا ، وقد كانت هذه المذكرة نتيجة لاجتماع مجلس شئون الثقافة والتعليم باتحاد الجمهوريات العربية ، الذي بحث فيه وسائل تعزيز اللغة العربية ، ونشرها في البيت والمدرسة والجامعة والمصنع ودواوين الحكومة والهيئات ، والتزئها في جوازات السفر والمحافل الدولية ، وغير ذلك .

وقد بعث السيد وزير الثقافة بهذه المذكرة الى المجمع لدراستها دراسة وافية ، وإبداء الرأي فيما ورد فيها من مقترحات ، لرفعه الى مجلس شئون الثقافة والتعليم باتحاد الجمهوريات العربية .

وهذا هو نص المذكرة :

مكانة اللغة العربية قويا وعالميا

لا خلاف على أن لغة الضاد هي العروة الوثقى لهذه الأمة لا انفصام لها إلا إذا أغلقنا وأجبنا أزاء الحفاظ عليها والعمل على تثبيت أقدامها وترسيخ قواعدها والتصدي لمن يدبرون لها ولهذه الأمة ويتربصون بها .

ولغة الضاد هي الفصحى التي نزل بها القرآن على الناس هدى وصراطا مستقيما . وهي لغة يمكن أن تكون من السهولة واليسر بحيث تصبح أداة طيعة قادرة على التعبير والتوصيل .

أما أن نستسلم تحت أى اعتبار من الاعتبارات لألوان الاستعمار اللغوى أو الاستعمار الثقافى عن طريق الكلمة فهذا ما يجب أن نرفضه ونأباه .

من أجل ذلك كان واجبنا أن نعيد النظر فى شأن هذه اللغة الفصحى وتيسيرها وفى شأن تثبيت دعائمها وتحقيق سيادتها حتى نحقق للأمة العربية وجودها ووحدتها وعزتها .

فأما على الصعيد القومى فالواجب أن نعمل على انتشار الفصحى السهلة بكل الوسائل وأن نهذب العامية واللهجات المحلية ونردها إلى منابعها من الفصحى كلما أمكن ذلك . فهناك الكثير من الكلمات الفصحى قد أصابها التحريف أو التعديل أو الالتواء فأصبحت عامية ومن الواجب أن نردها إلى أصلها العربى الصحيح وأن نيسر الفصحى غاية التيسير حتى تصبح لغة التخاطب .

ولابد من وضع مخطط تلتزم به الأقطار العربية وفى مقدمتها دولة الاتحاد لنشر الفصحى السهلة الميسرة وتعميم استخدامها على أن يتناول هذا المخطط :

أولا - مرحلة الطفولة :

وهى أهم المراحل التى يقوم عليها إبناء الإنسان ومن الواجب أن نوجه إليها عناية خاصة ستواء فى البيت أو فى المدرسة ولابد من الحرص على أن يكون المسموع للطفل والمنقول إليه والقول له بهذه اللغة الفصحى السهلة الميسرة .

ثانيا - المرحلة التعليمية :

ولابد فى هذه المرحلة اعتبارا من مرحلة الإلزام من التشدد فى أمرين أحدهما تعليم اللغة الفصحى مع مراعاة التشكيل فى كل ما يقدم للتلميذ وثانيهما التزام المعلم لاستخدام اللغة الفصحى السهلة الميسرة ، ليس فى تعليم اللغة العربية فحسب وإنما فى تعليم المواد الدراسية المختلفة كالحساب والعلوم .

ثالثا - الثقافة والأفلام :

بكل وسائلهما فلا بد أن تستخدم السينما اللغة العربية الفصحى دون تعقيد أو إبهام وهذا أمر يستطيع الكتاب أن ينهضوا به ويتفروا عليه وقد فعله الكثيرون منهم فى كتاباتهم وفى قصصهم ولابد للمسرح كذلك أن يقدم عطاءه باللغة الفصحى السهلة الميسرة ولابد أن تجد طريقها إلى آذان الناس وإلى صدورهم بهذه اللغة .

رابعا - الصحافة والاعلام :

عليهما واجب مقدس أن يلتزما العربية السليمة في الكتابة والأحاديث والندوات والمحاضرات والخطب ولا بد من أن تكون القيادات على كافة المستويات، قدوة في هذا الشأن وأن تتدرج في هذا الشأن حتى تبلغ ما نريد بعد أن يألفه الناس .

خامسا - القرآن وتحفيظه وتلاوته :

وتقرير ذلك في كافة المراحل التعليمية بصورة ميسرة ومحبة ولا يجافى المسماحة الدينية أن يحفظه المسلم وأن يحفظه المسيحي والعربي لأن القرآن هو المرجع الأول لهذه اللغة وهو حافظها وهذا الجانب من جوانب الموضوع من أهم ما يجب دراسته والعناية به .

ولا بد من أن نعمل على تنفيذ هذا المخطط بكل وسائل الاقتناع ثم وسائل التشريع .

فأما على الصعيد العالمي فإن واجبنا نحو اللغة العربية أو بمعنى آخر نحو قوميتنا وعروبتنا يقتضينا أن تتبع الخطوات التالية :

أولا : أن تكون مكاتبنا مع الدول الأجنبية باللغة العربية ولا عيب في هذا ولا غرابة فإن الدول الأجنبية لا تكتب إلا بلغتها الأصلية .

ثانيا : أن تكون المحادثات والمفاوضات والمشاورات على الصعيد الرسمي باللغة العربية من جانبنا تماما كما يحدث من جانب الدول الأجنبية التي تستخدم لغتها وتستخدم في نفس الوقت المترجمين إلى اللغات المقابلة .

ثالثا : أن تكون العقود والاتفاقيات محررة من جانبنا مع الجهات الأجنبية باللغة العربية ولا بد من أن يكون في جانبها صور بلغات هذه الجهات .

رابعا : أن تكون كلماتنا وخطبنا في اللقاءات مع أي دولة من الدول الأجنبية باللغة العربية .

خامسا : أن نصر على استخدام اللغة العربية في المحافل الدولية وفي المؤتمرات والمنظمات العالمية وفي جوازات السفر وأن تستخدم كافة الأساليب والوسائل الأدبية والمادية لتقرير ذلك واحترامه .

سادسا : أن تكون هدايانا من الكلمة المطبوعة أي الكتاب ومن الكلمة المسموعة أي الاسطوانة والتسجيل باللغة العربية في كل المناسبات .

وبعد، فهذه عجالة يمكن أن تتسع حتى تشمل كل ما يدور بيننا وبين الغير من الدول الأجنبية من معاملات نصر على استخدام اللغة العربية فيها ابتداء من جوازات السفر إلى خطابات الود .

للسادة أعضاء مجلس التعليم والثقافة أن يتفضلوا بالرأي والفكر لتثبيت مكانة اللغة العربية على الصعيدين القومي والعالمي .

يوسف السباعي

وزير الثقافة

وقد بعث الدكتور ابراهيم مذكور الأمين العام للمجمع برد على
مذكرة السيد وزير الثقافة - باسم المجمع - وهذا نصها :
مجمع اللغة العربية

مكانة اللغة العربية قوميا وعالميا

يعيش المجمع منذ نشأته مع هذه القصة ، ويبدل ما يستطيع
من جهد في سبيلها - وهو يؤمن :

١ - بأن في لغة الحياة العامة الفاظا كثيرة من أصل عربي سليم ،
ان دخل عليها شيء من التحريف ، وقد بذل منذ ربع قرن أو يزيد
جهودا في سبيل جمعها ، ورد اليها اعتبارها ، وأفاد من قدر كبير
منها في ترقية لغة العلم والحضارة - وهو يرى انها ادخل في الالف
والعادة وأيسر في الاستعمال من لفظ أجنبي معرب ، ويكفي أن تصحح
وأن يعترف بها .

٢ - بأن الصحافة والأذاعة وسيلتان ناجعتان في نشر العربية
السهلة المستقيمة وتيسير أمرها للناس وترغيبهم فيها ، على النطاق
القومي والعالمي ، وكون من بعض أعضائه لجانا متابعة ما قد تقع
فيه من لحن أو خطأ ، وكم ساءه أن تكون لغة الأذاعة في بلد عربي أحيانا
أدنى منها في بعض الأذاعات الأجنبية - ولم يفته أن يوجه النظر الى
انصراف بعض الصحف العربية قصدا عن الفصحى ، وكأنما تحاول
التحرر منها والخروج عليها - وتجه بالشكوى من ذلك الى المسؤولين
في مصر وخارجها ، وحذر منه غير مرة في قرارات مؤتمره السنوي
ويرى أن هذا الجانب بالذات يستأهل عناية خاصة ورعاية مستمرة .
وليس شيء أدل على الاعتداد بلغة من أن تحترمها وتصونها
الصحافة السيارة والأذاعة الناطقة .

٣ - بأن المسرح والسمنما بابان من أبواب لغة الحياة العامة وهما
دون نزاع في تطور ملحوظ ، وفعلهما في الجماهير ليس أقل من فعل
الصحافة والأذاعة ويمكن أن تؤدي بلغة عربية سهلة واضحة ، وحتى
بتمكن العيون بهما من لغتهم ففى وسعهم أن يكتبوا ويتكلموا في سلاسة
واستقامة بحيث يفهمهم ويتابعهم العامة والخاصة ، وربما أيسر لهم
استعمال بعض اللهجات الفصحى للتفكه والترفيه على أن المسرح
والسينما من أنجح الوسائل لتقريب اللهجات العربية بعضها من
بعض وتوحيدها ما أمكن .

ويعتقد المجمع أن لدينا من المنظمات الفنية كالتقانات والهيئات
والاتحادات ما ييسر الاتصال والتفاهم والتعاون في العالم العربي
جميعه .

٤ - وقبل هذا كله فإن العربية حية ومتطورة وكفيلة بأن تسد
حاجة العصر علما وحضارة ، وحياة اللغة بحياة أهلها دائما ، وفي
العالم العربي اليوم وعى صادق بحرص على أن تسترد العربية
مجدها وتستعيد مكانها بين اللغات العالمية الكبرى وقد بذل المجمع
ولا يزال - في سبيل تيسيرها وتطورها جهودا متلاحقة :

(١) فهو ييسر متنها ومفرداتها ما استطاع منحيا الحوشى
والفريب ، ومحيا ما حرفته العامية وعدلته ، ومقرا
لما يمكن أن يشتق أو يوضع من لفظ جديد ما دام

لا يتعارض مع أصول اللغة ، وأخذا بالتعريب كلما دعت الحاجة اليه ، ونعتقد أنه بذل في سبيل ذلك جهودا لها وزنها ، فأخرج معجمه الوسيط الذي استن في التأليف المعجمي سنه لا يجرؤ عليها سواه ، واعتبر بحق المصطلح العلمي الشائع جزءا من اللغة ، ولا بد أن تشتمل عليه معاجمها . وما أن نفذت طبعة هذا المعجم الأولى حتى أخرج طبعته الثانية بعد تنقيح ، بل وإضافات جديدة . وبغية أن ينتشر هذا المعجم في العالم العربي جميعه . ويحس بأن الحاجة ماسة إلى معجم مدرسي أصغر حجما لدينا مما أخذ به المعجم الوسيط من منهج جديد .

وتيسيرا لمن اللغة وملائمة لمتطلبات العام والحضارة يخرج المجمع معجمات علمية متخصصة ، ويتوسع في ذلك الآن بعض الشؤون ، أفادة من الثروة التي تجمعت لديه من المصطلحات العلمية ، وهو بهذا يسد حاجة قد لا يجاريه فيها هيئة علمية أو لغوية أخرى في العالم العربي ويأمل أن ينشر إنتاجه وأن يعرف بين الناس جميعا ، تمهيدا لتعزيز المصطلح العلمي العربي وتوحيده .

(ب) وقد بذل جهودا ملحوظة في تبسير النحو وتقرينه إلى أذهان الناشئين دون أن يمس أصلا من أصول اللغة أو قاعدة في القواعد المقررة .

حاول ذلك بناء على أمر تكليف من وزارة المعارف - وزارة التربية والتعليم اليوم - وقد طبقت مقتراحاته زمنا في مصر وسوريا ، ثم أوقف العمل بها ، ولا يزال المجمع يرى أن هذا الأمر جدير بالعناية من الناحية المدرسية والتعليمية .

(ج) شغل المجمع أيضا موضوع تسمية الكتابة العربية ، ووقف عليه جائزة خاصة ، انتمى إليه ضبط صندوق الطباعة ضفطا ملحوظا ، ودعا إلى شغل الكتاب المدرسي ما أمكن في حلحلة الابتدائية والأعدادية الثانوية . ولعل خط الـ قعة أسم في الكتابة العادية السريعة علم ، أن نعم من الناحية الفنية بالخطوط العربية الأخرى ، كالثابت والنسخ ، والكوفي ، والفارسي ، وأن تقوم على أمها فنون متخصصة .

ولم تفت مشكلة الاملاء المجمع ، واقترح فيها حله لا قد لا تكون مكتملة ولكن لم يؤخذ بها جميعا ، والأمر من الناحية المدرسية والتعليمية جدير بالأعمال والتنفيذ .

٥ - يقر المجمع المقترحات التي أشارت إليها مذكرة السيد وزير الثقافة والخاصة بمرحلة الطفولة والمرحلة التعليمية . ويرى أن مكافحة الأمية وسيلة من وسائل التقريب بين العامية والفصحى ، وتعتقد أن اللبنة الأولى في ثروة الطفل اللغوية إنما تتكون في الأسرة والمنزل ، ويقدر استنارة الأب والأم يستنير ابناؤهما ، وأشار المجمع نموها وتدرجها ولكل سن ما يلائمه وينبغي أن نعد في كل مدرسة نموها وتدرجها ولكل سن ما يلائمه وينبغي أن نعد في كل مدرسة مكتبة ينهل منها عاما بعد عام ، وتعار له كتبها مجانا ، فهذا يقوم لغته وينميها - والكتب المدرسية العامة في حاجة إلى أن تعنى بالعربية وأساليبها .

٦ - وفي الصعيد "لعالمى يلاحظ المجمع أن العربية المعاصرة لعتت الأنظار إليها ، فترجم عنها الى لغات مختلفة ، وأصبحت لغة معتمدة في الهيئات الدولية وفي اليونسكو بوجه خاص ، وكلما عنى بها أهلها ، وازداد ايمانهم بقوتها وحيويتها ، وانتجوا فيها انتاجا أصيلا ، فرضت نفسها على العالم بأسره .

ابراهيم مدكور

الأمين العام للمجمع

انشاء مجمع للغة العربية في الأردن :

زار المجمع الدكتور عبد العزيز الخياط عميد كلية الشريعة بجامعة الأردن ، والدكتور أحمد سليم سعيدان أستاذ الرياضيات بهذه الجامعة ، وهما عضوان بلجنة التعريب والنشر والترجمة بالأردن ، وذلك للاطلاع على نظم المجمع ، وقوانينه ، وسير العمل فيه ، للاهتمام بها في انشاء مجمع للغة العربية في الأردن .

وقد حضر الزائران الكريمان جلسة المجمع الثانية والثلاثين (في ٩/٤/١٩٧٣) حيث رحب بهما الأعضاء ، ورئيس الجلسة الاستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع .

فرد الدكتور عبد العزيز الخياط بالكلمة التالية :

اسمحوا لى اساتذتى الاجلاء بكلمة قصيرة وانا بين ايديكم تلميذ من تلامذتكم وابن من أبنائكم ، يسرني أن أقدم جزيل شكرى وتقديرى اليكم جميعا ، وبخاصة بعد سماع كلمة الترحيب الكريمة من أستاذنا الكبير زكى المهندس ، حيث ذكرنى وزميلي الدكتور أحمد سليم سعيدان بما لا نستحقه ، وأعتقد أن الله قد أنعم علينا بحضور هذه الجلسة ، لنستمع فيها اليكم ونستفيد من علمكم وثقافتكم ، ولا أحب أن أطيل عليكم ، إذ الأردن بسبيل انشاء مجمع للغة العربية يكون ذراعا من أزرع مجمعكم وفرعا من الشجرة الباسقة هنا ويؤدى رسالة جلييلة لخدمة اللغة العربية ، ونحن بسبيل دراسة انشاء هذا المجمع نود أن نعرف عن كثر سير المجمع اللغوى هنا وانتاجه وكيفية أداء رسالته ، وتأدية خدماته للغة القرآن الكريم ، وأسأل الله العون فى أن نسير خطوات مسددة فى خدمة القرآن واللغة العربية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركانه

مسابقة المجمع

أعلنت نتيجة مسابقة المجمع لعام ١٩٧٢/١٩٧٣ ، وموضوعها :
« اللغة في أدب القصة والمسرحية » . وفاز بالجائزة الثانية السيد
المهندس حسين حلمى خليل ، وبالجائزة الثالثة السيد المهندس
زكريا هاشم زكريا .

كما أعلنت المسابقة الجديدة لعام ١٩٧٣/١٩٧٤ ، وموضوعها :
« تاريخ الجمعيات والندوات الثقافية والأدبية في قطر عربى ، فى عصر
النهضة الحديثة » . وآخر موعد للتقدم إليها هو ١٩٧٤/٣/٣١ .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اولاً

رئيس مجلس الادارة

عنى سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٤/٢٠٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٢٠٠٢-١٩٧٤-٥٦٥

